حجاج أدّول

ميشيما
الساموراي

Telegram:@mbooks90

رواية

إهداء

إلى عائلة سمسم..

سمير عبد الغني، مروة عز الدين، يوسف وحسام وفريدة سمير.

محبة وتقدير

حجاج أدول

معركة دان نو أورا

معركة «دان نو أورا». المعركة البحرية الفاصلة. قبيل الفجر والظلام في المحيط الشاسع سائد. الغيوم في السماء والرياح نشطة. أسطول قبائل تائيرا بقيادة زعيمها الفارس كييوموري ومعه أياياسو قائد قواته والمخطط للمعركة المهمة. ملبسهم القتالي أزرق. الأسطول التف وأتى من عنق خليج طوكيو ليتوغل فيه. فصارت الأمواج والرياح في صالحه، والأسطول مع الأمواج والرياح متجهون لشاطئ الخليج. في الوقت نفس، أسطول قبائل مينا، وملبسهم القتالي أحمر، انطلق بقيادة زعيمهم الفارس المشهور يوريموتو. أقلع الأسطول الحربي ليتوسط مياه الخليج. حركة أسطول قبائل مينا بطيئة. أشرعة مراكبه مطوية فالرياح معاكسة، تعتمد فقط على قوة المجاديف الطويلة. الجنود في الأسطولين يحملون دروعهم وعلى رؤوسهم الخوذ المعدنية. أكتافهم وصدورهم وظهورهم، محمية بالجلد السميك ومغطاة بقطع معدنية صلبة لامعة.

أسطول مينا فوجئ بمشاهدة أشرعة مراكب أسطول تائيرا، تتراقص من بعيد وكأنها أشباح متنمرة تأتيهم متوعدة. استغل أسطول تائيرا المفاجأة. انطلقت سهامهم تصفر في السماء بقوتها وقوة الرياح التي معها، وانهمرت على جنود أسطول مينا، تضرب في خوذهم ودروعهم المعدنية فتتكسر. السهام التي تضرب في الأماكن غير المحمية، تقتل وتُصيب إصابات خطرة.. صرخات المصابين تتعالى. سهام أسطول مينا تسقط في المياه ولا تصل لمراكب تائيرا. مراكب أسطول تائيرا استغلت قدرتها على المناورة بقوة الرياح والأمواج التي تحملها لأعلى وتهبط بها في قوة. فتصدم بمقدماتها المتينة باطن مراكب أسطول مينا، فترجها رجًا وتخلخلها وتلقي بأغلب جنودها في مياه الخليج. ثم بسيوفهم

يثبون على المراكب المصابة، ليقتلوا الجنود الذين تمسكوا بسطح المركب ولم يسقطوا. مبارزات وحشية لا رحمة فيها. صيحات الجنود وصراخ المصابين واصطدام المراكب ببعضها. صليل ضرب السيوف على الدروع، كل هذه الأصوات والصرخات، خلفيتها هدير الأمواج المحملة بجثث القتلى والمصابين. سرب من الدلافين يتخبط في الخليج مرعوبًا من كل هذه المرعبات، وزاد عليها الجنود الذين سقطوا في المياه، وصاروا يصرخون ويتخبطون وينشرون طعم الدماء الغزيرة.

القتلى استراحوا من استمرار العذاب، لكن المصابين على أسطح المراكب يقاومون حتى لا يقتلوا، ومن يسقط منهم في البحر، يتخلص سريعًا من دروعه وخوذاته، ليقاوم الغرق في هذا اليم المضطرب بأمواجه ورياحه. يحاولون التشبث بمراكبهم ليصعدوا عليها. لا يستطيعون. جدران المراكب عالية، ومن عليها من زملائهم في قتال إما قاتل وإما مقتول. وسط الساقطين في المياه والغارقين. سرب الدرافيل تشتت هلعًا.

بخطة أياياسو الذكية، أسطول تائيرا ناور مستغلًا الأمواج والرياح لصالحه. وكانت تلك المفاجأة، جالبة للنصر المؤكد، صفوف مراكبهم الأولى، أغرقت عددًا كبيرًا من مراكب مينا. لكنهم تلقوا مفاجأة من أسطول قبائل مينا. لقد أعدت قبائل مينا مراكب ضعف عدد مراكبهم، وأبقوا هذا سرًا عن الجواسيس، لذا بعد ساعة زمن، كانت المعركة فيها لصالح قبائل تائيرا، تداخلت مراكب الأسطولين في حروب فردية، انقلبت كفة التوازن لتكون في صالح قبائل مينا. فكل مركب من مراكب تائيرا تجد مركبين يقاتلانها، وكل جندي من جنود تائيرا عليه أن يقاتل جنديين من جنود مينا.

ضوء ما قبل الفجر يظهر في بطء، وحينها أتت مفاجأة المناخ. تكاثفت السحب وشقت السماء رماح البرق وأعقبها دوي الرعد، وتلتهما أمطار غزيرة، فاشتدت الرياح وتجبّرت الأمواج وتلاعبت بالمراكب كما تريد والجنود لا يستطيعون السيطرة عليها. تصادم المراكب يتزايد بين تلاطم الأمواج، واقتربت المراكب من بعضها فتلاصقت. تداخل الجنود من الجانبين كما تداخلت مراكبهم. صرخات المحاربين طغت على أصوات صدامات المراكب، بما عليها من معارك متناثرة. تلاحم بالسيوف والحراب والبُلط. الصرخات متبادلة، صرخات من يَطعن وصرخات من يتلقى الطعنة. على سطح مركب، جنديان كل منهما يقبض على يد الآخر التي تحمل السيف يصرخان وأعينهما جاحظة. أحدهما يضرب برأسه أنف الآخر فيحطمه، ذو الأنف المحطم ينقض على أذن غريمه ويقضمها، ومازال كل منهما يقبض على يد الآخر. يسقطان على سطح المركب. يعتلي أحدهما الآخر وقد ظن أنه سينتصر، ينال طعنة في ظهره فيندهش وهو يسقط جانبًا يلفظ أنفاسه. ثلاثة من الحمر يحاصرون عدوًا أزرق، ويطعنونه طعنات متواليات ثم يقذفونه في البحر. وهم يستديرون لمتابعه القتال. أحدهما يلمح رمحًا طائرًا ناحيته، لا يجد فرصة ليتفاداه. يخترق الرمح بطنه فيصرخ وهو يسقط على مقعدته. زميلاه يسرعان ليقتلا قاذف الرمح الأزرق. رامي سهام على سقف حجرة المركب، يطلق سهامه في الأعداء الذين هبطوا على ظهر مركبه، فيصعد من خلفه عدو ويطيح برأسه بضربة سيف. الرامي يميل جانبًا بجذعه فاقد الرأس، والرأس تتدحرج لتسقط في المياه. الجنود الساقطون في المياه يصرخون وهم يحاولون باستماتة الصعود إلى المراكب القريبة منهم. صيحات المتقاتلين تعلو وتعلو والمراكب صارت حركات عشوائية. عشرات تقاربت حتى التلاحم، وقد صارت سطحًا متصلًا لا يقطعه سوى أسوار المراكب. الجنود تداخلوا بملابسهم

Telegram:@mbooks90

الحمراء والزرقاء، وإن كانت الحمراء أكثرية واضحة.

يوريموتو مشهرًا سيفه، يقف في مقدمة مركبة يتابع القتال العنيف، رغم بدايات ضوء النهار، فمازالت الرؤية صعبة، الأمطار صارت غلالات فضية تحجب يقين الرؤية. يوريموتو تأكد أن أسطوله استوعب مفاجأة العدو، وصار بأكثرية مراكبه وجنوده قريبًا من الانتصار. فجأة مركب من مراكب تائيرا، من الظلام تهبط عليه مع موجة قوية وبمقدمتها الصلدة، ضربت باطن مركبه فحطمتها. وبقوة الصدمة سقط يوريموتو وغيره في البحر. سقط أيضًا عدد من جنود العدو، وكل الساقطين في اليم، تركوا سيوفهم الثقيلة وألقوا بخوذهم في المياه وأشهروا خناجرهم. وحدثت الكثير من المعارك بين الغارقين. الأمواج تطيح بهم وهم في طعن بعضهم. ثنائيات منهم غرقوا معًا وهم ممسكون بتلابيب بعضهما. يوريموتو اشتبك مع أثنين من الزرق. طعنهما وتركهما يغوصان. في قتاله اضطر لتجرع جرعات من مياه البحر المالحة، والتي دخلت في أنفه. يسعل وملامحه مأزومة. موجة قربت من ظهره جنديًا أزرق. الأزرق وهو يهم بالطعن، تلقى طعنة في جانبه. الطعنة وصلت لظهر يوريموتو فأصابته إصابة ليست بالعمق الكافي. يوريموتو، يستدير ببراعة ويسدد طعنة قاتلة للأزرق، لكنه تلقي طعنة لم تكن خطيرة.

المعركة مستمرة. وضوء النهار وضّح الرؤية كثيرًا، رغم الأمطار المستمرة. ووسط كل هذا الهرج القتالي، لم يلاحظ أحد أن يوريموتو في البحر يقاوم الغرق. فقط بعض الساقطين في البحر من مركبه تبينوه، لكن لا أحد يستطيع لغيره نفعًا. بين الغرقى كانت الدلافين تسبح وتصعد لتتنفس في اضطراب ورعب. بعضها أصيب بالسهام الساقطة خلال أوائل المعركة. الجنود الساقطون

في البحر، من لم يستطع منهم مقاومة الإرهاق استسلم وغاص في المياه. يوريموتو بدأ يتعب وقد أثرت فيه الطعنة التي نالها. شاهد أكثر من جندي من جنوده يغرق بجانبه. صرخ لمركب ليست بعيدة عنه:

- أنا يوريموتو.

لم يسمعه أحد. توقف عن الصراخ. اقترب من مركب تابعة لأسطوله. جنوده فوق المركب يحاولون التحكم في الدفة، لكن العاصفة وأمواجها تتلاعب بهم. التعب استنزف الكثير من طاقة يوريموتو. لكنه مستمر في محاولة الاقتراب من المركب المضطرب، والموج يضرب فيه ويشتت مقصده. أمامه لحظات وتستنزف بقايا طاقته وسيغوص في الأعماق. خارت قواه تمامًا. بدأ يستسلم للغرق، وإذا بموجة ترفعه وفي نفس الوقت دولفين مرعوب يندفع من عمق المياه لأعلى ليتنفس. فصعد من بين ساقي يوريموتو ليرفعه لأعلى وللأمام وهو مازال ممسكًا بخنجره، فصار يوريموتو وكأنه يعتلي صهوة الدولفين. يطلان على سطح المركب بما فيه من جنود. يوريموتو والدولفين سقطا مرة أخرى في المياه المضطربة. يوريموتو في ثانيته التي أطل فيها على مركبه. ثلاثة من جنوده شاهدوه معتليًا الدولفين. صاحوا في زملائهم بأن الزعيم في الماء. ألقوا إليه مجدافًا فأمسك به بيسراه، ويمناه مازالت تمسك بخنجره. تدلى جندي بنصفه العلوي لأسفل وزملاؤه يمسكون بساقيه. يوريموتو ترك المجداف وأمسك بيد الجندي وصعد لظهر المركب.

استمرت المعركة حتى الغروب. انتصر أسطول قبائل مينا بعد أن خسر الكثير من القتلى. أما المنهزمون فقد خسروا أكثر من نصف جنودهم، كما فقدوا زعيمهم الفارس كييوموري. وقائدهم الحربي أياياسو مصاب ومغشي عليه فوق سطح

إحدى مراكبه التي نجت.

عادت مراكب المنتصرين ومعها عدد من مراكب العدو عليها الأسرى من المنهزمين. وعلى الشاطئ سبقتهم عشرات من جثث القتلى من ذوي اللون الأزرق والأحمر، وثلاثة من الدلافين المقتولة. تجمع جنود تائيرا الأسرى على جانب. رؤوسهم عارية من خوذها ولا يحملون أسلحة. بجوارهم الجرحى ما بين جالس وممدد. أياياسو مطروح على ظهره يتنفس بصعوبة. أتاهم يوريموتو على ظهر حصانه وكأنه لم يصب في ظهره. معه بعض من جنوده. الإرهاق باد على الجميع. منتصرين ومنهزمين. صاح يوريموتو:

- يا جنود تائيرا الشجعان. لقد قاتلتم ببسالة ولن أقبل أن آخذ منكم أي أسير. كلكم ستعادون لقبيلتكم.

اعتدل أياياسو ورفع يده ليوريموتو. أقبل إليه يوريموتو على حصانه. ينظر لأياياسو في احترام ودار بينه وبين أياياسو حوار:

- أياياسو القائد العظيم. لك التحية.

أجاب أياياسو بصوت مرهق:

- يوريموتو القائد العظيم المنتصر. لك التحية. ننتظر منك احترام زعيمنا كييوموري ميتًا كما كنت تحترمه وهو حي.

- سأفعل وحين نجد جثته سأرسلها لقبائله معززة مكرمة.

- وأنا تسمح لي بأن أكفر عن ذنبي في هزيمة جيش زعيمنا كييوموري.

- لقد قمت بدور عظيم يا أياياسو!

- لكنني انهزمت وتسببت في هزيمة قبائلي وتلويث سيرة حياة زعيمنا كييوموري؛ لذا ساعدني أن أموت بكرامة وشجاعة.

- لك ذلك.

عاد يوريموتو على حصانه وأمر بإحضار المطلوب. في سرعة احضروا المطلوب من خيمة يوريموتو. كيمونو أبيض ومنضدة صغيرة عرضها ثلاثة أشبار عليها سيف صغير في جرابه الثمين، كأس من خمر الساكي. وجندي أتى حاملًا أربع قرب جلد مليئة بالمياه. أسرى تائيرا استلموا المطلوب. ساعدوا أياياسو على القيام. أحاطوا به وحمّوه بقرب المياه الأربع، وألبسوه الكيمونو الأبيض وعصبوا رأسه بعصابة بيضاء تلتف من جبهته لمؤخرة رأسه. خرج من بينهم مستندًا إلى كتف أسير من قبائله. خطواته ضيقة منهكة. أمام المنضدة ساعده من يسير معه ليجلس أمام صخرة بارزة. جندي أعطى أحد الأسرى سيفًا، فأخذه ووقف على يسار أياياسو وخلفه بنصف خطوة، رفع السيف عاليًا قابضًا عليه بكفيه في قوة. تناول أياياسو الكأس وشربه في جرعة واحدة. الأسرى يتابعونه وجيش يوريموتو، ويوريموتو نفسه يتابعه من فوق ظهر حصانه. أياياسو فتح نصف الكيمونو العلوي وألقاه خلف ظهره. استل السيف القصير من جرابه. أياياسو أخرج السيف الصغير من جرابه وألقى الجراب. بقبضتيه أمسك المقبض ورفعه أمام بطنه من ناحية الشمال. طعن نفسه طعنه قوية ووجهه يتغضن والسيف القصير انغرس في بطنه لما يقرب المقبض. قبضتا أياياسو تسحبان السيف من يسار بطنه للمنتصف لنهاية يمين بطنه وقد قطع أحشاءه. آلامه وصلت لذروتها ولم تعد محتملة. مال بوجهه المُعذب لشماله. حنى رأسه لأسفل،

فصرخ الأسير حامل السيف وهو يهوي بسيفه على عنق أياياسو ويفصل رأسه عن جسده.

ومثلما طلب أياياسو. دُفِن جثمانه في نفس مكان موته، بجوار الصخرة. شارك جنود من الجانبين في دفن القائد الشجاع، ثم قُدم الطعام والشراب للأسرى قبل أن يعودوا مكرمين لقبائلهم.

جثث القتلى تستمر لأسابيع في الوصول للشاطئ مع أمواج الخليج. تصل مهترئة ومشوهة تمامًا من المياه المالحة، ومن أكل السمك لجوانب منها. الجنود من قبائل مينا وقبائل تائيرا معًا، وانضم إليهم العديد من الصيادين، يجمعون الجثث من الجانبين. وجدوا جثة زعيم تائيرا كييوموري، فأوصلوا الجثمان إلى مقر قبائله في احترام يليق بفارس مرموق وزعيم لقبيلة كبيرة.

الجنود الذين تم أسرهم من قبائل تائيرا، والذين شاهدوا انتحار قائدهم أياياسو، عادوا للصخرة التي دفن بجوارها، وصقلوها وكتبوا عليها اسم البطل أياياسو، فصارت من وقتها شهيرة باسم صخرة أياياسو.

الحال البائسة قبل الموقعة البحرية

كانت الفوضى قد ضربت بلاد الشمس المشرقة، بلاد اليابان ذات الجزر العديدة المتنوعة. الإمبراطور ضعيف لا حول له ولا قوة. المناصب الكبيرة الخطيرة تولاها المنافقون والمرتشون، فنشروا النفاق والرشوة في كل الأنحاء. الأقوياء من الناس قسوا على الضعفاء، وطغى النبلاء وكبار الإقطاعيين على الفقراء وبطشوا، فلا محاسب لهم ولا قوة تحد من بغيهم. الفوضى زادت، والخوف والضياع خيما على اليابانيين وتصاعدا في جديلة بؤس ليكونا رعب الليل والنهار. صار القانون السائد قانون القوة البهيمية، وأصبح الضعيف مأكولًا وصاحب الحق مبلوعًا. فانفلتت أمور الحياة تمامًا، وزادت حوادث القتل والخطف. سطا اللصوص على الدكاكين والمخازن والبيوت. وتشكلت عصابات تجبّرت حتى أنها سطت على جباة الضرائب واستولت على الأموال المخصصة للإمبراطور نفسه. لم يجد الحرفيون عملًا يتكسبون منه، فساحوا في الطرقات والساحات يشحذون مكسوري الكرامة. وفي الريف، سُرِقت المحاصيل من صوامعها، وقتلوا من يتصدى لهم من الفلاحين، فهجر الفلاحون أراضيهم. وعليه انتشرت الفوضى وعَمّ اليأس وساد الجوع، حتى أن العائلة التي تأكل نصف طبق من الأرز تعيش به، تكون من المحظوظين.

صار أغلب الناس حفاة وفي ملبس مهلهل حقير. لم يعد للإمبراطور سليل الآلهة أي وجود مؤثر، ففكرت بعض القبائل القوية في الاستقلال بجزرها عن بقية الجزر. صاح عدد من الرجال في الناس: علينا أن ننتفض، فليست هذه حياة، علينا أن نرفض ما يحدث علينا. وقبل أن يفقه الناس الصياح. ضربت الزلازل أرخبيل الجزر اليابانية بقسوة، فهدمت بيوتًا ومعابد ودفنت آلاف الناس

تحت الأحجار والغبار. فسحقت إنسانية الناس، وصار كل واحد يقول لنفسه.. على أن أنقذ نفسي. ومع استمرار التردي وموت الناس جوعًا، عدد كبير من كبار السن؛ ليوفروا لأطفالهم وعموم عائلاتهم ما يأكلونه من قليل الطعام، قرروا أن يموتوا سريعًا. ارتحلوا جماعات إثر جماعات يرتدون أسمالًا لا تقي بردًا، متكئين على عصي في سير بطيء، يتجهون إلى غابة سفح البركان. وهناك وسط الأشجار الضخمة الكثيفة، يتساقطون أرضًا ليموتوا. بعضهم كان يحمل حبلًا، ينتقون غصنًا ليس عاليًا بحيث لا يعجز عن الصعود له. كل منهم يربط طرف الحبل بالغصن، ويضع حول رأسه أنشوطه الحبل ويلقي بنفسه ليموت.

ولما استمرت حالة البؤس والتعاسة، توجه للغابة نفسها عدد من الرجال والنساء، وقاموا بالانتحار شنقًا، أو الارتماء أرضًا مستسلمين للموت جوعًا، فتحول اسم الغابة من غابة سفح البركان، إلى غابة المنتحرين. مع استمرار حالة البؤس، زاد عدد الرجال والنساء المتوجهين لغابة المنتحرين، ليتخلصوا من حياتهم فيها شنقًا وجوعًا.

جزيرة هونشو وبها العاصمة طوكيو، هي أكبر الجزر حجمًا. ويعيش فيها غالبية سكان اليابان. وفيها ثلاث مجموعات من القبائل. قبائل الدايمو وهي قبائل فقيرة قليلة العدد، فأراضيهم الزراعية ضيقة. لذلك فإن من رحلوا منهم لغابة المنتحرين لينتهوا هناك، كانت نسبتهم كبيرة. ليس لها دور مؤثر في مجريات جزيرة هونشو. أما المجموعتان المؤثرتان، فهما قبائل مينا وقبائل تائيرا عظيمة العدد. تطلعا للتحكم في اليابان، ونيل سؤدد الحكم، فحكم اليابان ذات التاريخ العريق، شرف عالٍ للقبيلة التي ستنال هذه المكانة المرموقة. والقبيلة التي ستحكم، عليها إنقاذ اليابان من تلك الحالة البائسة التي طالت. فقامت

بين مينا وتائيرا معارك عديدة أسالت الدماء وأزهقت الأرواح. واستمرت هذه المعارك لسنوات. سالت دماء جنودهما في امتدادات حقول الأرز وعلى سفوح الجبال. هاجما بشراسة قرى بعضها وخربوها وأحرقوها، وقتلوا النساء والعجائز والأطفال. ولم تسلم طوكيو عاصمة الجزيرة من الدمار أكثر من مرة. حتى كانت معركة دان نو أورا البحرية التي انتصرت فيها قبائل مينا وقُتِل فيها زعيم تائيرا. وبهذا صارت قبائل مينا هي سيدة جزر اليابان كلها. وأصبح على كاهلها القضاء على الفوضى واستتباب الأمن في بلاد الشمس المشرقة كلها.

الشوجن الأول يوريموتو

بطولة يوريموتو التي أظهرها في الموقعة، زيد فيها وبولغ في تفاصيلها، حتى صارت خلال شهور، أقرب للأساطير. الرواة ذوو الخيال الفائق، تلقوا واقع ما حدث، وطوروه لحكي غرائبي ملحمي ساحر. حكوا.. كيف أن يوريموتو قفز في البحر الهائج ليقتل الأعداء الذين سقطوا في البحر نتيجة لتصادم المراكب. وقتل عشرات من الأعداء في مبارزات مائية، منها ما هو فوق السطح ومنها ما هو تحت المياه. وكيف كانت صرخاته تشق الأمواج القريبة منه. ثم أنه لما أراد الصعود لمركب من مراكبه القتالية، وليدير المعركة من فوقها، أتاه دولفين طائعًا ليمتطيه يوريموتو ويصعد به عاليًا أعلى من شراع المركب، وهو يصيح بقوة ممسكًا بخنجره اللامع. ومن علوه الفائق، قفز يوريموتو فوق ظهر المركب واستكمل المعركة الهائلة.

بعد مرور شهر على الموقعة. تحسن الجو قليلًا وضعفت الرياح وخفّت الغيوم. جبل يطل على الخليج حيث دارت المعركة النهائية، الجبل من ناحية الخليج وكأنه حائط عمودي. مستحيل الصعود عليه من ناحية الخليج. من الناحية الأخرى منحدر ترابي صخري، وبه مسطحات متناثرة تنتصب فيها الأشجار. وفي وسطه مدق ملتوٍ يربط سفح الجبل بقمته. أما في قمته العريضة، فمن يقف عليها يرى نهر سايكو على جانب، ومن بعيد تبدو قمة جبل فوجي الثلجية. أقيم استعراض عسكري حاشد فوق تلك القمة شبه المستوية. الكل بملابس القتال. خوذ القتال على الرؤوس والكل يمسك بالسيوف والرماح. يقف الزعيم يوريموتو فوق صخرة ملوحًا بسيفه. أمامه صفوف من كبار قبيلته، ومن كبار قيادات قبيلة تائيرا المنهزمة الذين ارتاحوا للمعاملة الكريمة التي لقوها هم وجثمان زعيمهم

القتيل، واحترام انتحار قائدهم. وحضر عدد بسيط من مقاتلي قبائل الدايمو، حضروا مضطرين، فلا قِبَل لهم بمعاندة القبيلتين الكبيرتين. وسط الحشد الحماسي العظيم، أعلنوا الخضوع ليوريموتو، والانضمام للعمل تحت إمرته.

الحشود من القبائل الثلاث، يهتفون له بحماسة. وقف بجانب يوريموتو أكثر من خطيب يمدح في الزعيم يوريموتو، أفصحهم كان الأخير. صاح بصوت جهوري:

- بالأمس كان اجتماع مهم جمع الزعيم بكبار القبائل، واتفقوا.. أن إمبراطور اليابان سليل الشمس، في حالة ضعف واضحة. وبسبب ضعفه سادت الفوضى وما تلاها من بؤس وجوع في جميع جزر اليابان. وأن اليابان الآن تحتاج لقائد شوجن يجمع مزايا المهابة والحزم، وقادر على السيطرة، يعمل باسم الإمبراطور. وأن هذا القائد ليس إلا الزعيم الشجاع الفذ القوي يووررييموتووو.

يستكمل الخطيب:

- واتفقنا أن يوريموتو يكون لقبه هو الشوجن.

هتف الحشد:

- الشوجن يوريموتو. الشوجن يوريموتو. الشوجن يوريموتو.

ويستمر الخطيب في خطبته الصاخبة:

- وأن اتفاق الأمس من بنوده، أن الجنود المحاربين البواسل بوصفهم مقاتلي السيف والرمح والقوس. يعلنون الولاء المطلق للشوجن حتى الموت. وبذلك يكون لقبهم هو الساموراي.

هتافات الحشد تردد اللقب الذي نالوه:

- ساموراي. ساموراي.

وخلال الهتافات العالية من الجنود وكبارهم باسم الشوجن والساموراي، تنقشع الغيوم وتظهر الشمس واضحة. فيهتف الجنود فرحين، فهذه علامة من آلهة الشمس أنها راضية عن الشوجن، راضية عن الساموراي.

أيام استعد فيها يوريموتو للذهاب للإمبراطور الضعيف في قصره العظيم، ليأخذ رضاه الصوري ويوافق على تولي يوريموتو مسئولية ضبط اليابان. وهو تحت لقب الشوجن يوريموتو يقول لقياداته.. الإمبراطور والنبلاء سيبقون في تربص بنا، ليستعيدوا الحكم، فعلينا أن نسرع خطواتنا، خاصة أنهم في أضعف وضع مر عليهم.

انطلق مائة فارس على خيولهم بملابسهم القتالية وكل منهم يتمنطق بسيفين، مروا خلال شوارع طوكيو وفرقة الطبول تدمدم بإيقاعات حماسية. الشوجن يوريموتو على حصانه وبعده فرسانه. الشوارع في فوضى عارمة. الأهالي في ملابسهم الفقيرة الممزقة، غالبهم يرتدي في نصفه السفلي قطعة قماش مربوطة عند الخصر بأحبال، وتتهدل حتى ما فوق الكعبين. يلوحون له محبين مبتسمين راضين عنه، متوقعين التخلص من كل مشاكلهم. البائعون الذين وضعوا أشياءهم في مجرى الطريق، فتعرقل مرور الفرسان. البائعون خشوا من غضب الشوجن يوريموتو. بسرعة يخلون الطريق. يمرون على ضفة نهر سوميدا، الناس بنوا بيوتًا حقيرة على ضفتيه، فحولوا جماله لقبح.

عَبَر سرب الفرسان مساحة واسعة من حقول الأرز المهجورة، حتى وصلوا إلى الحي القديم، حيث القصر المحصّن، قصر إمبراطور الشمس، إمبراطور اليابان. من بعيد أسواره متينة. قصر عالٍ راسخ وقد بني على تل عريض. حرس مسلح قوي يصطف على جانبي الباب. يعرفون بمقدم الشوجن يوريموتو. فتحوا الباب الكبير لمروره هو واثنين فقط من قياداته. مساحة متوسطة ثم سور ثان، ثم باب ثان ثم فناء القصر الواسع. القصر فخم. من دورين هائل الاتساع. في الأعلى ظهر محدب من القرميد الأحمر اللامع، ليحمي القصر من الأمطار الغزيرة والشمس المحرقة. شرفات ونوافذ. يعبر يوريموتو حديقة خضراء معبأة بأنواع الورد. على جانب أشجار باسقة. وبحيرة واسعة غير عميقة، منثور عليها عدد من قوالب صخور مستوية ملساء، بالكاد أسطح تلك القوالب تظهر من سطح المياه. وفي ركن بعيد بيت للحرس الإمبراطوري. في الواجهة مبنى القصر الفخم. سمحوا للشوجن فقط بالدخول. قابله حارسان مسلحان كل على جانب. وقادوه ليعبروا البهو الرخامي، في ممرات مبهرة، دخلا به إلى قاعة بالغة الفخامة، على جانبيها حرس مسلح بحراب. توقف الحارسان المرافقان فتقدم يوريموتو وحده ومقبضا سيفيه بارزان من حزامه. أمامه في نهاية القاعة، الإمبراطور يجلس على عرشه في وقار، وعلى جانبيه حاشيته من كبار النبلاء وقوف.

الإمبراطور عابس الوجه. عيناه حزينتان. التاج الذهبي على رأسه ومن تحته شعره الطويل مدهون لامع. يرتدي الملبس التقليدي الياباني، من أرق وأنعم الحرير. والنبلاء كل منهم يرتدي ملابس راقية وإن كانت أقل فخامة وتألقًا من ملابس الإمبراطور. أجناب القاعة مزينة بالنقوش المذهبة وأرضيتها بالسجاد الفاخر. وقف يوريموتو أمام الإمبراطور وانحنى احترامًا، ثم اعتدل ينظر في عيني الإمبراطور في ثقة. لم يأبه لنظرات النبلاء المتعالية، فهم يعرفون قوته،

لكنهم يحاولون إظهار أنهم أيضًا أقوياء، أما الإمبراطور فلم يستطع الادعاء بالقوة، سيرة يوريموتو الأسطورية وصلت له، ووصله أن شعبه صار يحب يوريموتو حبًا جمًا، ويتوقعون الخير على يديه هو ومحاربي الساموراي التابعين له. شعب اليابان في كل جزر الأرخبيل، سمعوا عن قوة وحزم الشوجن يوريموتو، ووصلتهم بطولاته وحكايته مع الدلافين. والآن ينتظرون حكامًا عادلين من طرفه، ثم زيارته هو شخصيًا لهم.

. الضعف في عيني الإمبراطور مقابل الثقة في عيني يوريموتو. تكلم يوريموتو بثقة واحترام، وأكد أنه سيوقف الفوضى ويفرض النظام باسم الإمبراطور. فالإمبراطور هو الرمز المقدس. هو سليل آلهة الشمس. وأن جيش الإمبراطور قليل العدد وأسطوله الرمزي، سيبقون كما هم، ولن يقترب منهم يوريموتو. حاول أكبر النبلاء سنًا، أن يضع باسم الإمبراطور والنبلاء شروطًا على يوريموتو، تضعه تحت وصايتهم، هم وكبار الإقطاعيين، وأن عليه أن يرجع لهم قبل تنفيذ أي شيء. وأهم حجّة عند هذا النبيل، أن المحاربين مهما كانت شجاعتهم وحسن نيتهم، فنظرهم قصير وفهمهم بسيط، والتاريخ وضّح أنهم يسرعون في البناء وربما ينتصرون في البدايات، ثم يرتكبون أخطاءً تضيع كل ما بنوه، وما كان مبنيا سلفًا قبل توليهم الحكم. فيتركون الحكم والشعوب في فشل واضح.

يوريموتو لم يعجبه كلام النبيل، ولم يأبه لتأييد النبلاء لكلام كبيرهم، ولم يلن لأن الإمبراطور بتعبيرات وجهه استحسن هذا الرأي. يوريموتو قال في إصرار:

- لولا وجودي لانفصلت أكثر من جزيرة بنفسها وخرجت من سيطرة الإمبراطور، أليس كذلك؟ وإن تركت الأمور لن يستطيع الإمبراطور التحكم في الشعب الياباني ولا في الحفاظ على وحدة الجزر؛ لذا أقول لكم.. إما كامل

السلطة، وإما لا.

قال المتحدث باسم النبلاء:

- لماذا لا تعيد لنا مساحات الأراضي التي انتزعتها منّا؟

وكان رد الشوجن:

- إنها مساحات مهما كانت شاسعة، فهي لا تساوي شيئًا بجوار ما تمتلكونه. وفعلت هذا لأنني يجب أن يكون لي مورد دخل يعينني في عملي، ويمكنني من رصد مكافآت كافية لقيادات الساموراي والمحاربين؛ ليضطلعوا بواجباتهم دون قلق. وفوق ذلك، فإن التجار والصنّاع وأصحاب الأراضي مثلكم، عليهم دفع ضرائبهم الأساسية لي أنا، فأنا من يحميهم وأنا من يفرض الأمن.

ساعة مضت في محاولات من النبلاء، بتحجيم مطالب الشوجن، فشلوا وكان للشوجن ما أراد. وافقوا على كل شروطه.

وحين عاد لبيته الكبير الواسع، أحس بأن بيته ضئيل فقير. فرق شاسع بين بيته وبين قصر الإمبراطور، قرر أن يكون له قصر محصن يسكنه ويدير أعماله فيه. وقبل أن يبني القصر، عليه العمل. عين على كل جزيرة من الجزر الكبرى الأربع قائدًا تابعًا له. ومع كل حاكم عددًا من محاربي الساموراي. وكل منهم في جزيرته، عليه أن يجند شبابًا قويًا ويدربهم على الطاعة والقتال، ليزيدوا عدد الساموراي، عليهم أن يغروهم بالمكانة والمكافآت. أما في جزيرته الأساسية هونشو، حيث تركيز مقاتلي الساموراي، فقسم الساموراي لأقسام خمسة، كل قسم عليه قائد كبير ومساعد له. وهؤلاء العشرة هم مستشاروه، مع الأربعة

حكام الجزر. نظام هرمي متصاعد ينتهي بالشوجن يوريموتو صاحب أسطورة الدولفين.

فرق من الساموراي تجوب طوكيو، تفسح الشوارع وتكسر وتحرق كل من وضع بضاعته في مجرى الطريق. ثم أتوا بالرجال لينظفوا الشوارع. وأعلنوا حماية الفلاحين والعاملين في كل مهنة. بعدها أزالوا كل بيت أو دكان أو حانة بنيت مباشرة على حافة نهر سوميدا. فرق سريعة من فرسان الساموراي تهاجم عصابات الفوضى وتقتل فيهم وتشنق من يقبضون عليه، حتى قضت عليها.

الاستثناء الوحيد، كانت منطقة قبائل الدايمو. قبائل من تاريخها القديم وهي تعتز بنفسها وتتباهى بصلابة أبنائها. ورغم فقرهم لضآلة مساحات أرضهم المزروعة، وقلة عددهم، فهم يحسدون القبيلتين الكبيرتين مينا وتائيرا على غناهما وكثرة أعدادهما. اعتادت قبائل الدايمو على تكوين العصابات التي تسرق وتنهب الريف والمدن، وتدخل في معارك مع كل من يقف في طريقها. وبعد أن اتحدت قبيلتا مينا وتائيرا تحت حكم الشوجن، عدّت هذا الاتحاد ضدها. فتحول الحسد فيها إلى كراهية وعداء. وكلما هاجمت قوات الشوجن قبائل الدايمو وأعملوا فيها الانتقام، تزداد الكراهية والعداء في النفوس والدايمو، ويصرون على الانتقام. وانتقامهم لا يخرج عن أساليب تقوية عصاباتهم في فنون القتال الجماعي والفردي، ليستطيعوا تعويض غلبة أعداد الأعداء عليهم.

بعد ظهور الشوجن والساموراي. لم تتوقف قبائل الدايمو عن تصدير معظم العصابات وأخطارها إلى جزر اليابان. عصابات تهاجم وتسرق وتقتل من يقاومها، وتعود لقراها لتختبئ وسط أهاليهم وبين تلالهم. أخطأ قائد من قيادات الساموراي، فطارد عصابة من عصابات الدايمو الكبيرة، وهو على رأس سرية من

مقاتليه. وصلت المطاردة حتى داخل أرض الدايمو. قامت معركة بين بيوت قبائل الدايمو، فشارك الأهالي مع أفراد عصابتهم، ورشقوا سرية الساموراي بالسهام والأحجار. فقتلت الكثير من محاربي الساموراي، فتقهقرت السرية بعد أن فقدت نصف أفرادها.

هنا قرر الشوجن معاقبة قبائل الدايمو عقابًا قاسيًا، حتى تمتنع عن تصدير العصابات، وإن خرجت منها عصابة، لا تدافع عنها. سريتان قويتان من فرسان الساموراي هاجمت قرى قبائل الدايمو، قرية بعد قرية، وقتلت منهم الكثير ولم تفرق سريتا الساموراي بين رجل وامرأة، ولا بين شاب جَلَد أو عجوز. وخربت البيوت ثم أحرقتها. وكان انتقامًا بشعًا. فأدت تلك القسوة إلى أثر عكسي. ازداد كره قبائل الدايمو للشوجن وللساموراي. وظهر شاب ذكي من قبائل الدايمو، قرر أن أسلوبهم في القتال يجب أن يتغير. فقلة عددهم وفقرهم لن تساعدهم على الانتصار، خاصة أن فرسان الساموراي أكثر عددًا بكثير، وشجعان ومدربون تدريبًا عاليًا. ابتكر هذا الشاب حرب ماكرة. تعتمد على اللياقة العالية والمفاجأة. مع قتال سريع خاص بهم. وأطلق على عصابته صغيرة العدد التي كونها اسم عصابة النينجا.

باستثناء الفشل في محو عصابات قبائل الدايمو، فإن الشوجن يوريموتو نجح في فرض الاستقرار في طوكيو وجزر اليابان بكاملها. وعادت الأراضي الزراعية تزهو بخضرتها ومحاصيلها، وتكدست البيوت بكميات الأرز الكافية. ومن محاصيل الأرز الفائضة، أنتجوا كميات هائلة من خمر الساكي. ومع استمرار الاستقرار، انطلق الصناع والتجار في العمل السريع، فكسبوا الكثير ودفعوا للشوجن الكثير. ورغم الشعبية والحب الذي حصل عليه الشوجن، ورغم الغِنى

الذي صار فيه وعلو مكانته، فإنه حافظ على احترامه للإمبراطور سليل آله الشمس. فللإمبراطور مكانة غير قابلة للمس مهما كان ضعفه باديًا. وحول الإمبراطور طبقة النبلاء، رغم ما انتزع منها، مازالت تملك مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، وعلى درجة عالية من الغنى، ولها نفوذ ليس من التعقل تخطيه. فأعطاهم الشوجن يوريموتو حقهم من الاحترام، وتعمد أن تكون بينه وبينهم صداقات وإن كانت شبه باردة، بسبب تعالي طبقة النبلاء، والتي تحس في داخلها بأنها الأنبل والأرقى مهما علا نجم مقاتلي الساموراي، ومهما كانت شعبية الشوجن يوريموتو.

استتب الأمن واختفت الفوضى وقُضِيَ على عصابات الإجرام في كل جزر اليابان، خاصة أن الشوجن أعجب بفكرة إنشاء ما يُسمى عيون المراقبة، وهي مجموعة سرية تتجسس على كل من يتوقع منه إشعال المشاكل. أُعجب اليابانيون بحكم الشوجن وبحسم محاربي الساموراي وبطشهم بالظالمين. بدأت اليابان تزدهر، خاصة مدينة طوكيو حيث مقر الشوجن يوريموتو. أتت أفواج من أصحاب الصنائع ليفتتحوا دكاكينهم. وبنيت صوامع تخزين الحبوب الوافرة التي حصدها الفلاحون خاصة الأرز. والتجار الكبار ثرواتهم أخذت في التضخم وبنوا بيوتًا كالقصور. ومع الوفرة وبدايات الرخاء، انتشر رداء الكيمونو الأنيق الجميل بين الناس، ولم يعد أحد يرتدي هلاهيل الملابس الرثة. وعلى ضفة نهر سوميدا مباشرة، ظهر حي الجيشا، الذي تخصص في خلق البهجة وإمتاع الناس. بنيت فيه بيوت واسعة مفروشة ببذخ، وبأفنية ذات حدائق يانعة. بيوت تعطي متع فنون الموسيقى والرقص والغناء، كل زبون حسب رغبته وحسب ما هو مستعد لصرفه على مبتغاه. المنطقة اشتهرت بحي الجيشا، حيث الحانات المتنوعة، وبيوت جميلة تحوي بنات الجيشا الجميلات الفنانات في العزف

والرقص والغناء، وإن كان هذا لا يمنع وجود عدد منهن، تخصصن في منح المتع الجسدية.

أرسل الشوجن يوريموتو رسائل إلى النبلاء وكبار الإقطاعيين ليدفعوا مبالغ لتحسين حال عامة الناس. رسائله رقيقة في مظهرها تراعي مكانتهم وترفعهم، ولكنها بين سطورها تصر على ما يريد، أن يدفعوا المال، لتناسب تصاعد احتياجات الشوجن وقيادات الساموراي. دفعوا مرغمين، فإن الشوجن يوريموتو هو الآمر الناهي، وليس الإمبراطور والذين يلتفون حوله.

بوصول الأموال من النبلاء، بدأ الشوجن يبني أولًا معسكرًا كبيرًا في كل جزيرة من جزر اليابان. معسكرًا مُسَوّرًا وبه أبراج مراقبة لمقاتلي الساموراي. ويحوي فناءً واسعًا للتدريب بالخيول وعلى الأقدام. ومبنيين، أحدهما للقيادات، في مدخله مساحة عريضة بعلو ذراعين، ليقف عليها من يريد إلقاء كلمة للجنود. والمبنى به أجنحة متعددة للنوم وقاعة للاجتماعات، والمبنى الثاني للمحاربين. يحوي غرفًا واسعةً كل منها يسع لإقامة عشرة من المقاتلين. ومطبخ وحظيرة للخيول. وما كاد هذا المعسكر يتم استكماله، حتى بدأ الشوجن في بناء حلمه الكبير. القصر المأمول. قصر الدولفين من طابقين. الأرضي للخدمات والعلوي خاص به وبعائلته. القصر يُبنى على قمة نفس الجبل الذي نال فيه لقب الشوجن. سور القصر المتين يكون من الجانب المنحدر، فمن هنا فقط يمكن أن تتم مهاجمة القصر. فناء يحوي بحيرة مائية أنيقة وحديقة زهور وأشجار مازالت في طور النمو، وإن كان الفناء والبحيرة والحديقة ليسوا بالاتساع المتواجد في قصر الإمبراطور. وعلى جانب يُبنى بيت لحرس الشوجن الخاص، ثم مبنى القصر نفسه الذي يشرف بظهره على جرف مستحيل. مبنى القصر ذو سقف محدب من

القرميد الأحمر. مساحة القصر ضيقة، لكنها ممتازة عبقرية. جناح الشوجن يحوي شرفة عريضة، تطل على خليج طوكيو حيث جرت موقعة دان نو أورا التي يفخر بها، كما تطل تلك الشرفة على نهر سوميدا، ومن بعيد قمة جبل فوجي البيضاء، تظهر وتختفي حسب كثافة الغيوم. والقصر يطلق عليه اسم قصر الدولفين. ليشير للأسطورة التي بزغت عن علاقته بالدلافين. ورسم الدولفين واضح على باب القصر، وفي واجهة كل مبنى داخله. وصار شعار الدولفين هو شعار الشوجن يوريموتو، يرسم على درعه ودروع جنوده، وعلى بيارقه كلها.

لم تستقر الأمور للشوجن يوريموتو ببساطة، حدثت قلاقل في جزيرته هونشو وبقية الجزر، فالضرائب التي فُرِضَت رفضها الكثيرون. فعمد الشوجن يوريموتو إلى التخويف فخافوا وصغروا. واضطر للذهاب للجزر الأخرى بأسطوله وجيوشه شبه غازٍ. وأجبر الكل على الدفع. وحدثت بينه وبين بعض محاربي الإمبراطور معارك، سببها كبرياء بعض قيادات الإمبراطور. انتصر فيها يوريموتو بعد سفك الدماء. نجاح يوريموتو في الصعود السريع، وغناه الفائق بالأموال. شجّع بعض المحاربين أن يحذوا حذوه ويقتلوه ويتولوا مركزه. فهاجمهم يوريموتو ودحرهم، ثم أخطر معركة هي التي وقعت بينه وبين أحد الذين عينهم قائدًا لعدد كبير من المحاربين، فاغتر هذا بجيشه واطمأن لبعد جزيرته وحاول الاستقلال بالجزيرة، على أن يهجم بعدها على جزيرة هونشو حيث الشوجن يوريموتو، وينتزع منه المنصب الجديد المغري. أبحر إليه يوريموتو وهزمه وقتله بسيفه. بعدها عاد الشوجن يوريموتو إلى جزيرته الأساسية منتصرًا وقد ازداد سطوعًا وثقة وفخرًا، وأخذ ثقة العامة أكثر بأنه قادر على فرض الاستقرار وجلب الرخاء. وفي نفس الوقت ازداد النبلاء وعلى رأسهم الإمبراطور حسرة وتخاذلًا، فقد وضح لهم أن يوريموتو ظهر فوقهم ليبقى.

انتهى بناء قصر الدولفين، فكان افتتاحه يومًا مشهودًا. موكب الشوجن يوريموتو يبدأ من معسكر الساموراي. ويخترق شوارع طوكيو. ضربات الطبول تعلن مسيرة الموكب بأعلامه متنوعة الأشكال والألوان، وكل علم مرسوم عليه شعار الدولفين. فرسان الساموراي على خيولهم يتقدمهم الشوجن السعيد بإنجازاته على حصان لا يقل خيلاء عنه. ملبس الشوجن كيمونو حريري بني فاتح فاخر، وبعده الفرسان في أبهى صورة من صور المقاتلين. وبعدهم مئات من الساموراي على أقدامهم وفي عدّة الحرب الكاملة. المتابعون على الجانبين يهتفون للشوجن الأسطورة، يوريموتو الذي أرسى النظام وأمّنهم على أنفسهم وعلى أعمالهم.

بعد استعراض القوة في شوارع طوكيو، صعدوا عند أسوار القصر. دخل الشوجن وخلفه الحرس الخاص بالقصر وعاد البقية لمعسكرهم. بعد الافتتاح بشهور. بدأ الشوجن في تدعيم أسطوله بعدد من المراكب القتالية، والفاخرة، ليتجول في خليج طوكيو خاصة، وخلال المناخ المعتدل، يقفز من مركبه في البحر مستحمًا آملًا في وجود الدولفين معه. وبمراكبه الفاخرة، يزور بقية جزر اليابان وهو في أبهة تليق بالشوجن.

طوكيو تنتعش ومعها كل جزر اليابان. المحاصيل الزراعية صارت تكفي الناس وتزيد. والمصنوعات تتألق بالجودة. عادت ثقة اليابان في نفسها وهي تحت حكم قوي باطش، ثم استفحلت عند أهل السيف والرمح والقوس، عند محاربي الساموراي، فكانت غرورًا، ثم تورمت فصارت مقولة إن اليابان هي الأمة وغيرها لا شيء. وما عداها أغراب أقل قيمة وأتفه شأنًا، لذا حين أتت مراكب للغرباء طوال القامة ذوي العيون الزرقاء الواسعة، ورست في ميناء طوكيو وغيره،

يأملون في التجارة والاستفادة مما تنتجه اليابان، ضرب القلق عامة اليابانيين وكبارهم، حتى وصل القلق للشوجن يوريموتو. فجمع عددًا من مستشاريه، قالوا لهم:

- كيف نأمن لأناس غرباء السحنة واللغة والطبع.

وكان القرار إغلاق موانئ اليابان أمام مراكب الأغراب. ويمنع التعامل معهم، فلا ثقة فيهم ولا فائدة منهم. ثم إن جزر اليابان مستكفية بما لديها من خيرات. كراهية الغرباء وعدم الثقة فيهم صارت بندًا أساسيًا عند الساموراي والشوجن.

سنوات عديدة مرت، والشوجن يوريموتو صار قدم به العمر. وسيطرته على اليابان مستمرة في رسوخها. وصار جنود الساموراي على درجة عالية من المهارة والانضباط، وعُرفوا بأنهم أمهر فرسان الدنيا وأشدهم بأسًا وأعمقهم إخلاصًا لقياداتهم. نال الشوجن يوريموتو رضا الناس مثلما نال رضا الساموراي، ونجح في تحييد النبلاء. الأمراض حاصرته وهو يقاوم بعناد، حتى تَعب من المقاومة وقرر الرحيل.

كما أمرهم ألبسوه أجمل كيمونو لديه، ووضعوه على مقعده العالي الكائن دائمًا في شرفة القصر المطلة على خليج طوكيو. الجو صحو. يوريموتو ينظر للخليج ويتذكر معركته الكبرى. معركة دان نو أورا. ابتسم في رضاء عن نفسه وهو يتذكر صعود الدولفين الذي رفعه عاليًا، والانتصار العظيم المبين. التفت لمصب نهر سوميدا. ثم لقمة جبل فوجي شاهقة البياض. مات الشوجن يوريموتو جالسًا في مقعده المحبب الكائن في شرفته العريضة التي تطل على أهم معلم من معالم حياته الصاخبة.

سنوات حكم الشوجن يوريموتو والساموراي، استمرت في رخاء واستقرار ورضاء اليابانيين، وبقي الإمبراطور ضعيفًا هو والنبلاء الذين حوله، وبقي جيش الإمبراطور بنفس قلة عدده وضعفه. إلا أن نظام الشوجن، كان به ثغرتان اتسعتا مع طول السنوات، وأدتا لبلاءات أصابت بنيان الشوجن والساموراي. الثغرة الأولى هي خِصلة العجرفة التي ظهرت منذ البدايات ولو على استحياء، ففرسان الساموراي، مع كل فوائدهم، وتطورهم في أساليب القتال، من دواخلهم أحسوا بأنهم أفضل من الجميع، وأن دونهم لن تكون اليابان أمة قوية تعتز بنفسها، أما الثغرة الثانية، فهي عصابات النينجا التي طورت أساليبها في القتال، واخترعت أسلحتها المبتكرة. وأهم سلاح ابتكرته، هو قدرتها على جمع المعلومات. استغلوا شتاتهم في أماكن كثيرة وعملهم في أعمال متنوعة، فاستطاعوا سماع ورؤية الكثير وإيصال ما يعرفونه لمكان فيه كبيرهم. وصاروا بالغي الخطورة على نظام الشوجن. ونجحوا في اغتيال العديد من قيادات الساموراي، وفرضوا إتاوات على كبار التجار وغيرهم. وصارت لهم سطوة، تمنع الشوجن من أن يدعي أنه متحكم تمامًا في الجزر اليابانية.

عشرات السنوات مرت. يرحل الشوجن ليرثه ابنه فيكون الشوجن الجديد، ثم حفيده شوجن جديد، وبعده وبعده. واختلطت عائلات الشوجن بعائلات النبلاء وكبار قيادات الساموراي، وشاركوا في حفلات قصورهم واختلطت أجيال فتياتهم وفتيانهم ببعضها، فحدث زواج مختلط بين القوى الثلاث. زواج أبناء وبنات الشوجن من أبناء وبنات قيادات الساموراي، تقوي الجانبين، أما مصاهرة طبقة النبلاء من الشوجن وقياداته، فهي مصاهرة اضطرارية نفعية. فنظرة النبلاء البعيدة، أن يحتووا الشوجن ليكون يومًا تابعًا لهم، ويضعفوا قيادات الساموراي ويصيبوها باللين. أما الإمبراطور، فسلالته لن تتزوج سوى من طبقة النبلاء،

فمن المستحيل أن يتزوج ابن الإمبراطور أو ابنته، من عامة الشعب، والشوجن وقيادات الساموراي، ما زالوا عند الإمبراطور من العامة التي من العار الزواج منها.

تعوّد الشعب الياباني على هذا النظام المستقر. أغلب حكام الشوجن يميلون للعدل وإن اتسموا بالثقة المفرطة والحياة اللينة، كلما مرت سنوات طويلة وهم متحكمون في السلطة. وفرسان الساموراي مع ازدياد أعدادهم وتعمق مهاراتهم في القتال، وتنامي ثرواتهم، زاد تكبرهم على غيرهم، وبعض قياداتهم تضخمت فيهم العجرفة. وتطلع بعضهم لانتزاع لقب الشوجن لأنفسهم. وحاولوا أكثر من مرة وفشلوا، ومن يفشل كان يفقد حياته خلال قتاله هو وأتباعه ضد الشوجن ومحاربيه الأكثر عددًا، ومن يبقى حيًا من المنقلبين، عليه أن يموت بشرف، حسب عقيدة يوشيدو الخاصة بالساموراي، فيقتل نفسه على طريقة الهاري كيري. يشق بطنه بخنجر قصير، وفي الثانية التي يصل في الخنجر لنهاية مهمته، وتبدأ آلام المنتحر تصل لذروتها، يقوم أقرب صديق له بقطع رأسه بضربة سيف قوية.

الشوجن ماساموني

بدايات الصباح وسماء الشتاء الرمادية تنفث رذاذ أمطار. طيور تحلق في العلو تطلق صيحات قوية. أصوات حوافر خيول عتية. كوكبة خيول تسرع وهي تتخطى مزارع ممتدة، الخيول تصعد الجبل في سرعة وتقترب من قصر الدولفين الذي تلمع أسقفه القرميدية الحمراء. على ظهور الخيول، قيادات سامورية بملابس القتال الفخمة. خوذات حديدية لامعة على رؤوسهم. دروع من أكتافهم لجذوعهم لأعلى أفخاذهم. كل من الفرسان يتمنطق بسيفين، طويل وقصير. يتقدم الكوكبة فارس نظراته حادة قاسية، وفي وسطهم جندي ملابسه القتالية عادية، موثق اليدين عاري الرأس، علامات الخوف واليأس على وجهه.

من أبراج قصر الدولفين حراس القصر واللون الأحمر غالب على ملبسهم، يتابعون كوكبة الفرسان المقبلة تصعد مدق الجبل الملتوي. أحد الحراس يسرع في ممرات السور ويدخل من باب ضيق قصير. سريعًا يخرج من الباب قائد الحرس. فتى يافع في ملابس قتال أنيقة. يسرع لفناء القصر ومنه لمبنى القصر.

الفرسان يصلون لباب القصر. قائدهم يصيح بصوت عالٍ. ينفتح الباب. يدخلون لفناء القصر بخيولهم. يترجلون في وسط الفناء. أحد الفرسان يساعد موثوق اليدين في النزول. المطر الخفيف مازال مستمرًا. عدد من حراس القصر بأسلحتهم المتنوعة يقفون قريبًا منهم، يأتي مسرعًا قائد الحرس من داخل بيت الجنود، يقف أمام قائد الكوكبة وينحني تحية له ولمن معه، فيردون التحية في كبرياء. قائد الحرس يخص قائد الكوكبة بانحناءة ويحييه:

- القائد الكبير أكيشي.

يجيب أكيشي التحية باستعلاء واضح:

- مَنْ! سياجو الفتى الصغير الذي صار قائدًا لحرس قصر الدولفين!

يتقدم أكيشي ويتبعه سياجو ثم الفرسان في خطوات منتظمة وبينهم الجندي، يعبرون بجوار البحيرة. يقفون أمام باب مبنى القصر. عدد من الحرس المسلح هيئته قتالية، مصطفون أمام مدخل البهو. الجندي موثوق اليدين يركع على ركبتيه ناظرًا للأرض. من بهو القصر، يظهر الشوجن ماساموني في كيمونو صوفي داكن اللون، وعلى رأسه غطاء ثقيل. في قدمه خُف بسيط. ماساموني عجوز في منتصف الخمسينيات من عمره. نحيف هضيم الوجه. تكشيرته تبين حالة غضب عارمة. على يمينه ابنه الكبير روكاكو الذي بلغ العشرين من عمره. وسادا الذي لم يتعد ستة عشر عامًا على يساره. كل منهما في كيمونو قطني لامع. لا يحمل أي منهما سيفًا. في أقدامهما أحذية خفيفة مثل التي ينتعلها أبوهما. القيادات تنحني أمام الشوجن ماساموني ثم يعتدلون. يقول كبيرهم:

- الشوجن ماساموني. لك الاحترام والتقدير.

يجيبه الشوجن ماساموني في استعلاء وغضب:

- أكيشي يا كبير قياداتي. هل صرت مهملًا.

- مثلي لا يكون مهملًا أيها الشوجن العظيم.

- مثلك يقال عنه مهمل، بالإضافة إلى النعت الذي أنت موصوم به.. الأحمق.

أكيشي وهو يتمالك نفسه من الإهانة:

- سيدي الشوجن العظيم.

- إن لم تكن على قدر المسؤولية. أعزلك يا أكيشي. أفهمت؟

- فهمت أيها الشوجن العظيم.

- وإن بدا منك أي علامة من علامات الضيق، أقتلك.

يحني أكيشي رأسه ليبين الخنوع، وليخفي علامات ضيقه وكراهيته للشوجن.

يلتفت الشوجن ناحية ابنه روكاكو. يصيح فيه:

- ألست أنت المسؤول عن قيادات الساموراي؟

يحني روكاكو رأسه:

- نعم يا مولاي.

- إذن لم لا تقوم بعملك كما يجب؟ أتظن إني سأترفق بك؟

- لا يا مولاي.

- لأنك ابني الكبير؟

- لا أيها الشوجن العظيم.

- لن أسمح بأن تدب الفوضى بين فرساني. وإن فشلت يا روكاكو في إيقاف تلك الفوضى، سأنفيك وأجعلك تعيش محتقرًا يا بن الشوجن العظيم ماساموني. والآن. اذهب أيها الخائب وقف بجوار تلك القيادات الخائبة. هيّا.

يسرع روكاكو ويذهب ليقف بجوار القائد أكيشي. المطر يبلل ملابسه. يصيح الشوجن في أكيشي:

- أكيشي.

- مولاي.

- قل ما عندك.

- أتينا بالجندي الذي تهور وقتل زميله. ها هو.

يشير للموثوق اليدين الراكع أرضًا. يصيح الشوجن:

- لماذا أتيت قبل أن تستأذن من قائدك المباشر. أليس روكاكو هو قائدك يا أكيشي؟

- نعم. لكن..

- أليس هو الشوجن التالي من بعدي؟

- نعم. لكن ابنك النبيل روكاكو لم يكن في معسكرنا وقت الحادثة، وحادثة القتل هذه خطيرة، والانفلات يهدد نظامنا المتين. مولاي.. يستدعي الأمر أن يرفع مباشرة للشوجن العظيم ماساموني.

- هكذا إذن! أين قائد هذا الجندي القاتل، وأين قائد الجندي المقتول؟

يتقدم قائدان وينحنيان، فيصيح فيهما الشوجن ماساموني:

- إن كنتما تقومان بواجبكما كما ينبغي، لما حدثت هذه الفوضى. صار

القتال بين الجنود وقتلهم لبعضهم أمرًا عاديًا عندكم. يسكرون في كل وقت، ويتسابقون في امتطاء النساء. يعتدون على التجار ويهينون الناس. وأنتم معشر القيادات تسكرون أكثر منهم وتتسابقون على مضاجعة النساء مثلهم. وتزيدون عليهم في المباهاة بما تمتلكون من ذهب وفضة. وتتباهون بمكانتكم في كبرياء. أليس كذلك؟ مكافآتكم صارت مبالغ طائلة تجنونها فصرتم تعيشون عيشة النبلاء. أليس كذلك؟!

أكيشي ومن معه صامتون صاغرون. يستمر الشوجن ماساموني في لومه:

- إني أرى مجد الساموراي ينهار. بهذا التسيب في نظامنا العسكري، أرى مجدنا ينهار. أيها القائد أكيشي.

- أمرك أيها الشوجن العظيم.

- أمام ملأ من الجنود، تقطع رأس هذا الجندي القاتل. ليكون عبرة للجميع. وأعلن أنه في حال نشوب قتال بين جنود الساموراي، فسيتم قتل كل المتقاتلين، من على خطأ ومن على صواب. أما القيادات المسئولة عن اشتعال هذا القتال، فسيعاقبون بما يهينهم بين الساموراي. سآمر بحلق شعورهم. وسأبدأ بهذين القائدين. روكاكو.

تقدم روكاكو خطوات للأمام والتفت إلى والده الشوجن وحني رأسه:

- نعم يا مولاي.

- أنت وأكيشي تقومان بقص شعر القائدين المقصرين. الآن. فورًا.

وقع الأمر صاعقًا على القائدين. يضطران وهما صاغران أن يرفعا خوذتيهما

من رأسيهما ويمسكان بها، يحنيان عنقيهما صاغرين. يتقدم القائد أكيشي ويسحب سيفه القصير من حزامه. روكاكو يمسك بخصلة شعر أولهما ويرفعها. عينا روكاكو وأكيشي يلتقيان في نظرات قوية. أكيشي بسيفه القصير يتقدم. سادا تظهر على ملامحه الاضطراب. أكيشي في سرعة يضرب بسيفه ما بين كف روكاكو ورأس القائد، فيقطع الخصلة. يلقي بها روكاكو أمام القائد مقصوص الشعر. ويكرران هذا مع القائد الثاني. القائدان في إذلال يتناولان خصلتيهما المقطوعة من الأرض. يقفان ويرتديان خوذتيهما. يشير الشوجن بيده للجميع في ضيق. تنصرف الكوكبة ووسطهم الجندي موثق اليدين. يعبرون الفناء حتى يخرجوا من القصر، وحرس القصر في مقدمتهم قائدهم يسيرون خلفهم، حتى ينغلق الباب بعد خروج الكوكبة. يصيح الشوجن في ابنه روكاكو:

- ابقَ هنا في وقفتك هذه أيها القائد الخائب.

يعود الشوجن للداخل تاركًا ابنه سادا واقفًا مكانه يراقب أخاه المُعاقب. سادا ينظر إلى أخيه في حزن، لكن روكاكو يجيبه بنظرات ثبات قوية. الشوجن ماساموني يصعد درجًا ويسير بخطوات سريعة في ممرات أرضيتها الخشبية الناعمة، وعلى الجانبين قاعات مختلفة الأحجام، ثم حجرات جدرانها وباطن أبوابها، من ورق أبيض سميك مقوى بأعواد خشبية رفيعة.

يدخل الشوجن ماساموني الشرفة العريضة. يجلس على نفس المقعد العالي الذي أحبه جده الكبير الشوجن يوريموتو، ثم مات جالسًا عليه. خادم يقف في الداخل وعيناه على الشوجن. يقترب من خلف الشوجن ويضع على كتفه شالًا صوفيًا سميكًا. الشوجن يأمره باستدعاء سياجو. يسرع الخادم خارجًا. ماساموني ينظر لخليج طوكيو مستغرقًا، بضعة مراكب مشغولة في صيد

الأسماك. ثم يرفع وجهه ناظرًا للغيوم السائدة في سماء خليج طوكيو. السُحب الرمادية تتلاحق عابرة في السماء. طيور البحر تحلق وتصيح. طائر يقترب من الشرفة ويصيح صيحة زاعقة تفاجئ الشوجن. تعبر سحابة قلق على وجه الشوجن. يدخل عليه ابنه سادا، وقبل أن يتكلم قال له أبوه الشوجن:

- اذهب لأخيك وعد لي به سريعًا.

يبتسم سادا فرحًا وهو يسرع عائدًا. ماساموني يستمر ناظرًا للسماء الممطرة في تفكر عميق. فترة ويأتي ولداه. يقفان خلفه صامتين. يشير لهما أن يجلسا. يجلسان بجانبه متربعين أرضًا. يخاطبهما أبوهما الشوجن وهو مستمر في النظر بعيدًا:

- قص شعر الساموراي عقاب مُهين. أوقعته على القائدين لتنتبه كل القيادات لعملها.

فترة صمت، ثم يواصل الشوجن حديثه:

- العجيب أنه رغم تجاوزات مقاتلي الساموراي، وأطماع قياداتهم وعجرفتهم الزائدة، مازال شعب اليابان يتحمل ويضع أمله في قوة وحزم الشوجن، لذا عليّ أنا تحمُّل مسئولياتي ومواجهة عجرفة وكبرياء بعض قيادات الساموراي. إنها العجرفة والكبرياء التي حذرنا منها الشوجن الأكبر يوريموتو.

يلتفت إلى ابنيه وقد ظهر على وجهه القلق ويقول:

- عيوني المندسة بين القيادات والمحاربين قالت لي، ستحدث محاولات انقلاب في وقت قريب. وأنت يا روكاكو يقولون عنك، إن اهتمامك بمعرفة

الغرباء وتاريخهم أعمق من اهتمامك باليابان! وإنك تكلمت أكثر من مرة عن قدرات الغرباء. معنى هذا أن قدرات اليابان أقل! وحتى إن كان هذا الاتهام غير صحيح. وأنا موقن بأنك فخور بيابانيتك، لكن مجرد أن يدور هذا الاتهام حولك، فهذا يقلل من قيمتك ليس بين الساموراي فقط، بل بين العامة. وسيأخذ النبلاء الذين حول الإمبراطور هذا الاتهام ليلوثوا مقامك حين تكون الشوجن. أفهمت يا روكاكو؟

قال الشوجن هذا والتفت ناظرًا في حدّة لروكاكو، فحني هذا رأسه صاغرًا. بعده الشوجن ركز عينيه اللائمتين على سادا:

- وأنت أيها الشاب اللين. تعيش وكأنك لست ابن الشوجن وأخا الشوجن القادم. سادا أنت لست مقاتلًا ماهرًا مثل أخيك. حزمك مفقود وإرادتك مهزوزة. لا أنت بالثعلب في سلمك ولن تكون الدب إن حاربت! ربما السبب وفاة أمك بعد ولادتك مباشرة. ربما خطئي أني كنت ليّنًا معك من صغرك. ربما..

قاطعه سادا في حزن واحترام معًا:

- أيها الشوجن العظيم. أنا مقاتل ساموراي قوي. ربما لست بمهارة أخي الكبير روكاكو، لكن أنا..

رفع الشوجن يده وبكفه أشار لابنه سادا أن يصمت. وأكمل الشوجن كلامه في إصرار:

- ترفقت بك ولم أقش عليك. حتى روكاكو شارك في تدليلك. سادا. الأيام القادمة ستكون قاسية. يجب عليك أن تعي، أن تفهم أنك ابن الشوجن، وستكون

المساعد الأول لأخيك روكاكو حين يتولى مركز الشوجن. تسللاتك كثيرة إلى حيث حي الجيشا. حيث الموسيقى والغناء والرقص والفتيات. اخشوشن يا سادا. ركز عقلك ونفسك على مشاغل الحكم أيها الشاب الأحمق، ولا تظن أن الأيام ستترفق بك دومًا.

نظر لروكاكو وقال له:

- ستكون معي حين يأتيني المسئول عن تجميع الأخبار السرية.

اقترب خادم وانحنى وهو يخاطب الشوجن. قال:

- سياجو رئيس الحرس يا سيدي.

رفع الخادم رأسه ورأى إشارة الشوجن بأن يسمح للقائد بالدخول. انصرف الخادم ودخل سياجو قائد حرس القصر. انحنى ثم اعتدل واقفًا في احترام خافضًا رأسه لأسفل ينتظر أوامر الشوجن. أشار له الشوجن بأن يجلس، فجلس على مبعدة خطوتين من الابنين وخلف منهما بخطوة.

الشوجن ماساموني رفع وجهه عاليًا، قال وكأنه يخاطب السحب الرمادية:

- نظامنا يتآكل وإن كان ببطء. لا يلاحظه قليل الإدراك، وقوى النبلاء من حولنا تتزايد. الإمبراطور يزيد أعداد جيشه، ويبني مراكب جديدة ليقوي أسطوله. وفي نفس الوقت، الساموراي كثرت انقساماتهم، قياداتهم تحتك بعضها ببعض. وزادوا في التكبر على بقية طبقات الشعب الياباني. زادوا في العجرفة والعيش اللين تقليدًا لطبقة النبلاء. ومنهم من ظن نفسه قريبًا من مقام الشوجن! مثل هذا الأحمق أكيشي. في كل الجزر اليابانية بدأت انقسامات واحتكاكات بين

قيادات الساموراي. وما يزيد أمورنا خطورة، تلك القبائل العنيدة الرافضة لنا. قبائل الدايمو. عصاباتهم الفوضوية التي لا تنهار، تصاعدت في عنادها وظهرت فيها عصابات منظمة خطيرة. عصابات النينجا. عصابات حقيرة. لا تواجه قوانا وجهًا لوجه، بل تعتمد على الاغتيال والكمائن، لكنهم.. لكنهم يؤمنون بما يظنونه حقوقهم؛ ولذلك فهم مقاتلون شرسون شجعان.

الثلاثة يستمعون صامتين. يستكمل الشوجن ماساموني حديثه:

- إنه القائد الكبير أكيشي. تلاقت عيناي بعينيه. فيهما أمور لا تريح. الأحمق عيناه فضحت دواخله، وأكدت لي ما سمعته عن أموره المريبة. وهو عرف أن عينَي قرأت خباياه. لن يصبر كثيرًا ليهاجمني ويقتلني ليجلس على مقعدي هذا ويكون هو الشوجن. روكاكو. اسمعني جيدًا يا روكاكو.

- أنت المسئول عن قيادة فرسان الساموراي. وضعتك فوق كل كبار قياداتي بصفتك ابني البكري ووارث لقب الشوجن من بعدي. عليك أن تكون أكثر حذرًا. الشوجن يجب عليه أن يكون الثعلب والدب معًا. الذكي الماكر الحريص، والقوي الباطش معًا. أقرب الساموراي إليك هو قائد الحرس سياجو. لقد عينته قائدًا للحرس بناء على طلبك، فأنت تثق به. اسمع يا سياجو.

هب سياجو واقفًا خافضًا رأسه مستمعًا للشوجن:

- سيحاولون اختراق القصر خلال أسبوع على الأكثر، فهل أنت منتبه يا سياجو؟

- نعم.

- هل تثق في معاونيك وبقية الحرس؟

- نعم.

- إن لم تكن ثقتك في محلها، وحدث تقصير من أحد جنودك. فأنت المسئول. وسأفصل رأسك عن جسدك.

- نعم أيها الشوجن العظيم.

- عيوني رصدت تحركات مريبة من القائد الأحمق. كن يقظًا يا سياجو.

- سأضع حارسين على باب حجرتك يا سيدي الشوجن. بخلاف الخمسة الذين يقفون على مدخل مبنى القصر نفسه.

أشار الشوجن لسياجو بأن ينصرف، فانصرف سريعًا. وقف الشوجن ودخل في أروقة القصر يسير مسرعًا وولداه يسيران مسرعين خلفه على بعد خطوتين، وهما يستمعان لما يقوله لهما أبوهما خلال السير

- الغد القريب يحمل لنا متاعب تُخيف. أنت سادا سمعت مني لومًا أكثر من مرة، ولن أزيد. أما أنت يا روكاكو، فرغم اهتمامك بتدريبات الساموراي القتالية، رغم مهارتك، فإنك تعطي وقتًا أطول في القراءة ومجالسة مفكري اليابان وكبار رجال الدين. هذا ليس سيئًا، لكنك لا تمكث في معسكر الساموراي بما يكفي ولا تتداخل مع قيادات الساموراي بما يكفي. فترة طالت لم تزر بقية جزر اليابان ليراك شعبك وتعمق صداقاتك مع قيادات الساموراي هناك. القيادات في أغلبها تحبك، أريدك أن تكون وسطهم أكثر وأكثر. اقترب منهم وقرّب منك أكثرهم إخلاصًا وأقل جنوحًا. القائد أكيشي يكرهك وتعمد تخطيك في حادثة قتل

الجنود لبعضهم.

توقفوا عند باب حجرة. صوت عزف موسيقى ناعم. أزاح الشوجن الباب المنزلق جانبًا. دخل الحجرة وخلفه ولداه. فتاة تجلس جانبًا وتعزف على آلة وترية. تتوقف وتقف محنية الرأس وتضع الآلة جانبًا. الحجرة على جدرانها رسوم وباقات ورد. وأيضًا خزانة ملابس وثلاثة أرفف أنيقة تحمل سيوفًا متنوعة. على حشية أرضية رقيقة، شابة في آخر أيام حملها تنام على ظهرها، وبجانبها خادمة عجوز. وقفت الخادمة سريعًا وخرجت من الحجرة وخلفها الفتاة العازفة. حاولت الحامل أن تجلس، فأشار لها الشوجن أن تبقى كما هي. الحامل تنظر لروكاكو في استفهام. جلس الشوجن وجلس ولداه على جانبيه. الشوجن ينظر للرسوم المعلقة وباقات الورد، يتوقف عند السيوف المعلقة مبتسمًا، ثم ينظر في حب أبوي للشابة الحامل. مد كف يده وملّس في رقّة على بطنها مبتسمًا. قال:

- آياكا. زوجة ابني روكاكو. رغم عشقك للفنون والموسيقى، فإنك ستنجبين ذكرًا محاربًا مثل والده، وليكن اسمه فوكوزاوا، وسيكون يومًا ما الشوجن مثل والده وأسلافه.

تبتسم آياكا. يستمر الشوجن ماساموني في حديثه لها:

- آياكا أنتِ سليلة طبقة النبلاء المرفهين العاشقين للفنون. في حفل كبير في قصر والدك. اختارك ابني روكاكو لأنك جميلة، ولأنه مثلك محب للفنون. يعشق القراءة مثلك، وتشهدان معًا جلسات وحوارات مع الكتّاب وكبار الكهنة. لا أعترض على ذلك، كما لم أعترض على حضور المطربين والعازفين كثيرًا للقصر، بل

حضرت معكما ومع غيركما بعض تلك الحفلات. حفلات جميلة. حقيقي جميلة، لكن وكأنكما تقلدان طبقة النبلاء. يقرءون التاريخ ويبحثون في العلوم، ويتعالون على تعلم فن القتال. صحيح أنا مطمئن أن زوجك كما يحب القراءة والفنون، فهو في نفس الوقت مقاتل ساموراي ماهر، لكن آياكا، على زوجك أن يقلل من الاحتفالات ويبقى وسط الساموراي جنود وقيادات أكثر وأكثر. آياكا.. شؤون الحكم ليست في الكتب فقط.

. يقوم الشوجن ويخرج من حجرة آياكا وخلفه ابناه. يشير لهما الشوجن بأن يتركاه وينصرفا. روكاكو وسادا يقفان عند باب حجرة روكاكو. يقول سادا:

- الشوجن له عيون تخبره بكل ما يحدث في اليابان، وأيضًا ما يحدث داخل القصر!

- علينا أن نتعلم منه. أن يكون كل منا ثعلبًا ودبًا في نفس الوقت. سادا:

- نعم يا أخي.

- لا تذهب هذه الأيام لحي الجيشا.

- أنا آخذ معي حارسين.

- ابق داخل القصر. ربما اغتالوك.

- يغتالونني! هل يمكن:

- من يتآمرون على أبي، سيكون كل همهم قتله وقتلنا.

في نفس تلك الليلة والغيوم تمنع ضوء القمر. من علو يبدو الجبل ساكنًا هادئًا.

قصر الدولفين والحراس المراقبون على أسوار القصر وداخل أبراجه، لا يرون المتسللين الخطرين. المتسللون ثلاثون يرتدون ملابس سوداء ضيقة، وعلى رؤوسهم أقنعة لا تترك سوى مساحة ضيقة للعيون. ينحنون في تسللهم فتبرز مقدمات سيوفهم القصيرة المعلقة على ظهورهم. واثنان منهم يعلقان على ظهريهما قوسين وجعبتي سهام.

اقتربوا من أسوار القصر والتصقوا به في سكون. أحدهم يمسك بحبل متين في نهايته خطاف حديدي مُغَلّف بلفائف قماش سميكة. يقذف الخطاف في الجو باتجاه حافة السور. ينشبك الخطاف بأعلى السور. المتسللون واحدًا بعد الآخر، يمسكون بالحبل ويصعدون سريعًا في خفة، ويتسللون في الممرات الداخلية للسور. قائدهم يتقدمهم. ينظر خفية متمعنًا. الفناء وبحيرته وجانبه المُشَجّر، هادئ شبه مظلم. أضواء متفرقة داخل القصر بعض الممرات مكشوفة وبعضها مستور. والفوانيس المعلقة على جدران القصر الخارجية تنير واجهة القصر، ضوؤها يصل ضعيفًا للفناء بما فيه. يتمعن قائد المتسللين في الفناء وبحيرته، ثم الجانب الأشد عتمة خلف مجموعة أشجار عالية. مبنى القصر نفسه، يحرس بابه خمسة من الحراس. القائد يشير بيديه وأصابعه يؤكد على خطة الهجوم. في صمت يسرعون في نفس انحناءاتهم ويهاجمون عددًا من الحراس ويذبحونهم. حارس في البرج الأساسي، لن يستطيع أحد التسلل إليه خفية، المسافة طويلة ومكشوفة. حاملو القوسين والسهام يسددان عليه. يطلقان سهميهما معًا فيطير السهمان ويرشقان في صدر الحارس. الحارس لا يتمكن إلا من إطلاق صيحة سريعة لا تكفي لإيقاظ بقية الحرس، لكن حربته تسقط من يده وتتدحرج على بلاط وأحجار سور القصر، فتحدث إزعاجًا. ينتبه عدد من الحراس. أحد الحراس يشاهد خيال أحد المهاجمين، فيصيح:

Telegram:@mbooks90

- احترسوا. تسلل في القصر.

يضطرب المهاجمون وقد انكشفوا وضاعت مفاجأة الهجوم، ينظرون لقائدهم الذي يشير لهم بإصرار على التقدم. سايجو قائد الحرس شاب يافع، يخرج من مكان مبيته ممسكًا بسيفه وهو في سروال وسترة خفيفين، وفي قدميه خف بسيط. يصيح بصوت آمر:

- حرس القصر. انتباه. النينجا تسللوا لداخل القصر.

سايجو ينادي عددًا من الحراس؛ ليسرعوا للقتال، ويشير للخمسة المدافعين عن المبنى بالبقاء في أماكنهم. تندفع مجموعات من الحرس خارجة من أبواب بيت الحرس. يتجهون لأعلى السور لنجدة زملائهم، بداياتهم يتلقون سهامًا ترشق في صدورهم وبطونهم، فتلقيهم من أعلى أسوار القصر صارخين. من ينجو من السهام يتلقى سيوف المتسللين وحرابهم ، فيواصلون السقوط من أعلى صارخين. يبدأ المتسللون في النزول لفناء القصر، حيث يتصدى لهم الحرس بقيادة سايجو. تتعالى قعقعات الأسلحة المعدنية المتلاطمة من سيوف ورماح وبلط. عشرة من المتسللين يسرعون ويختبئون وسط مجموعة الأشجار في جانب من الفناء. القناصان صاحبا القوسين من النينجا، يطلقان أسهمهما على كل حارس يقترب من المتسللين العشرة.

في أقصى ممر الطابق العلوي. الشوجن عاري الرأس يخرج من حجرته وهو بملابسه الخفيفة ممسكًا بسيفه. الحارسان على بابه يحاولان منعه، فيدفعهما بعيدًا ويسرع في الممر صائحًا:

- إنهم النينجا. إنهم النينجا القتلة السفاحون.

الحارسان يسرعان ويقفان بظهريهما أمامه كسدين يمنعانه من الاندفاع. يتحملان سبابه الغاضب لهما وضربهما بأسفل مقبض سيفه على أعلى خوذتيهما. ينفلت منهما فيعودان ليقفا أمامه مرة بعد أخرى. أحد قناصي الأقواس يشاهد الشوجن. يسرع منحنيًا ويقبع في برج من أبراج السور، ويبقى متابعًا للشوجن وأمامه حارساه. الثلاثة يظهرون للقناص ويختفون حسب حركتهم لصق جدران القصر. وكلما انكشفوا يظهر الشوجن المتحرك للأمام دافعًا ظهر الحارسين. يركز رامي السهام قوسه وسهمه متحينًا لحظة ينكشف له الشوجن.

ينفتح باب حجرة روكاكو وهو في سروال وسترة خفيفين. يبعد عن كتفيه يدي زوجته الحامل المتعبة الخائفة. يدفعها في رفق للداخل ويأمرها:

- ابقي هنا ولا تخرجي من مكانك.

يغلق الباب عليها، يسرع هو فيتقابل مع سادا ممسكًا بسيفه، سادا به علامات قلق عميق، وهو في ملابس نومه الخفيفة. يسرعان خارجين إلى الفناء. ينضمان للحرس في قتال المتسللين من النينجا. روكاكو يبعثر في المهاجمين، في حين يقاتل سادا ببسالة وتوتر. وهو ليس بمهارة روكاكو. القتال تركز في أنحاء الفناء الذي وصله أغلب المهاجمين. مبارزات وإصابات حتى في داخل البحيرة المتناثر عليها الأحجار الصلدة الملساء. ورغم خفة حركة عصابة النينجا ومهارتهم القتالية، فكثرة جنود الحرس جعلت كفة القتال تتحول لصالح القصر. القتلى من النينجا يتزايدون. وقناص السهام الأول يصل له أحد الحراس ويقتله.

صاحب القوس الثاني المتابع للشوجن، يجد فرصة دفع الشوجن للحارسين

بقوة للأمام. يطلق السهم في نفس الوقت الذي يعود الحارسان بظهريهما ليمنعا الشوجن من التقدم. السهم المنطلق لصدر الشوجن، يرشق في صدر أحد الحارسين الذي يتأوه ويميل لأسفل. الحارس الثاني يمسك بالشوجن ويأخذه رغمًا عنه خلف جدار. رامي السهام يختبئ.

يندفع العشرة من بين الأشجار ويهجمون على الخمسة الثابتين أمام باب مبنى القصر. معركة سريعة والحراس الخمسة يتراجعون داخل الطابق الأرضي. سايجو يرى المهاجمين العشرة لمبنى القصر فيصيح محذرًا. يسرع روكاكو وسادا مع غيرهما ليوقفوا العشرة. القتال سريع ضار. روكاكو وسادا يقفان على بداية الدرج، ليمنعا أيا من المهاجمين من الصعود. روكاكو ينقذ سادا من مهاجم كاد يسقطه أرضًا. رامي السهام مازال يتابع الشوجن. المتقاتلون في الفناء من حرس ونينجا، ينفلتون من القتال ويسرعون ناحية القصر، فهدفهم الأساسي هو قتل الشوجن. الحرس يطاردونهم ويشتبكون معهم عند باب القصر وفي أنحاء الطابق الأرضي. ثلاثة من النينجا يبتعدون عن القتال، ويقذفون حرس القصر بقطع دائرية حديدية كل منها تشبه النجمة. بها أربعة بروزات خنجرية كل منها في طول إصبع رجل بالغ. تطير النجمات سريعًا بقوة القذفة، فترشق في الدروع الجلدية للحرس وتخترقها وتوغل في أجسادهم. وإن أصابت العنق أو الزور فالموت السريع. القتال يتحول لعشوائية هنا وهناك داخل الطابق الأرضي. القتال يدخل أماكن غسل الملابس والطبخ وغيرها. يهرب الكثير من الخدم نساء ورجال من مختلف الأعمار والنساء وبينهم من يبكي ومن يصرخ. القتال شرس متلاحم تستخدم فيه أدوات القتال مع قذف سكاكين المطبخ والأواني الثقيلة وغيرها، مع الضرب بالأقدام والأيادي والرؤوس، بل والعض حين يتداخل المتقاتلون في بعضهم. ينتشرون فزعين صارخين هنا وهناك.

يبدأ الحرس في التغلب على أفراد النينجا. مقاتل نينجا يحاصر سادا وينهكه، يتدخل روكاكو ويقتل النينجا، ثم يطلب من سادا الصعود والانضمام لأبيه في الدور العلوي. يسرع سادا صاعدًا. سايجو يقاتل بشراسة وهو يقود الحرس. رامي السهام الذي يراقب، ما زال على إصراره في النيل من الشوجن.

يستطيع عدد من المهاجمين الإفلات والصعود للطابق العلوي. يطاردهم روكاكو وعدد من الحراس. روكاكو وسادا والحراس، يقاتلون ويقتلون العديد من النينجا. سادا دائمًا في خطر خلال القتال. الشوجن يثور حمية للقتال. يدفع حارسه ويسرع ويشارك في القتال رغم سنه، ولا يعلم أن رامي السهام ينتظر الفرصة لقتله. فرد من النينجا ينفلت ليفاجئ الشوجن. يتقاتل معه الشوجن، يكاد النينجا أن يتمكن من الشوجن، لولا سادا الذي يطعن النينجا ويقف أمام أبيه مدافعًا عنه وقد ركز النينجا هجومهم عليهما. سادا والشوجن في وضع خطير. روكاكو وسايجو ينقذان الموقف بحضورهما السريع. حين يقترب سادا وسايجو من بعضهما، يظهر تقارب عمرهما الصغير.

يتم قتل من هجموا على الشوجن. لم يعد حيًا من مقاتلي النينجا سوى ثلاثة يختبئون خلف أعمدة وأبواب. سايجو مع عدد من الجنود يطاردون بعض الهاربين من النينجا. روكاكو وهو يتأكد من عدم وجود متسلل بجوار مكان أبيه الشوجن، يقذفه أحد الثلاثة بنجمة حديدية. النجمة طارت في سرعة لترشق في رقبة روكاكو. روكاكو جسده اهتز بعنف وبرقت عيناه ألمًا. صرخ وهو يركع على قدميه. سايجو قتل رامي النجمة. والحرس قتلوا الثالث. سادا مرعوبًا أسرع إلى أخيه الذي تنزف دماؤه بغزارة. يضرب بيديه على الأرض ويزوم في غضب. الشوجن العجوز يتحرك لاهثًا ليصل حيث ابنه المصاب. قناص القوس والسهام

يترقب تلك اللحظة. أطلق سهمه فأصاب السهم كتف الشوجن الذي صاح ألما وارتكن على الجدار.

الشوجن والسهم مرشوق في كتفه، يحملونه لحجرة ويريحونه على فرشة أرضية. ثم يأتون بابنه روكاكو وسادا وأحد جنود الحرس يحملانه. روكاكو نزفه لوث رقبته ونصفه الأعلى. يضعان روكاكو أرضًا. الشوجن ينهض فيساعده أحدهم ويقترب من روكاكو. يركع الشوجن بجوار ابنه، بجواره سادا يقلب نظراته الحزينة بين أخيه وأبيه. يحاول روكاكو الكلام. أبوه وأخوه يقربان رأسيهما من فمه، فيسمعان وصية روكاكو بصعوبة:

- آياكا وابني. مسئوليتكما.

عجوز طبيب يأتي ويجس رقبة روكاكو. يهز رأسه يأسًا. سادا في بكاء طفولي والشوجن يصرخ مفجوعًا في ابنه. يحملون الشوجن ويريحونه على ظهره. خلعوا عنه ما يرتديه في نصفه العلوي. والعجوز المُطبب يعمل على استخراج السهم بصعوبة. يموت روكاكو ويغمى على الشوجن. يدخل سايجو ويرى المشهد المؤلم. يقترب من سادا ويربت على كتفه ويشير له في حزم أن يتبعه. يخرج من الحجرة وخلفه سادا وهو في بكائه الطفولي. سايجو يقف ويمسك بكتفي سادا ويهزهما في قسوة وهو ينظر له نظرات قوية ويقول له:

- سادا. المسئولية عليك عظيمة. تجلد ولا تعطِ لأحد فرصة أن يراك منهارًا.

يسرع سايجو وخلفه سادا هابطين لفناء القصر. لم ينبلج الصباح بعد. عدد من قوات الحرس يهتمون بالمصابين من زملائهم ويرفعون جثث قتلاهم. سادا يتماسك بصعوبة ويسير بجوار سايجو المشغول برفع الأقنعة عن القتلى

والمصابين من النينجا. يفاجأ بأن أحد المصابين إصابة خطرة، هو واحد من القائدين اللذين تم قص شعرهما في نهار الأمس. سادا ينظر لوجه القائد المصاب مذهولًا. ينحني عليه ويؤنبه غاضبًا:

- أيها الخائن. ألم تقسم بالولاء التام للشوجن، الولاء حتى الموت؟ لماذا تخون؟

القائد الجريح بصعوبة يضع يده داخل سترته ويخرج خصلة شعره التي سبق أن قصوها له عقابًا مهينًا. عرض الخصلة أمام وجه سادا ونظر لسادا في حقد.

سادا يصرخ فيه:

- من المخطط للمؤامرة؟ أليس هو أكيشي؟

القائد الجريح تسقط يده على صدره وهي ممسكة بخصلته المقصوصة ويموت.

صيحة من أعلى سور القصر. ينفتح الباب فيدخل ساموراي على حصانه. يسرع خلال الفناء ويقفز هابطًا ويحني رأسه ويقول لسادا:

- في معسكر الساموراي. قتال بين القيادات وبين القائد الكبير أكيشي الذي حاول تجميع مقاتلي الساموراي التابعين له، للهجوم على قصر الدولفين. إنها حرب حقيقية بين الجانبين. أكيشي يؤازره قائد من أتباعه، لكن بقية القيادات وجنودهم وقفوا ضد أكيشي ويحاصرونه الآن في قتال شرس. المطلوب حضور الشوجن فورًا.

سادا بدأ يتماسك. يأمر بتجهيز الخيول للإسراع لمعسكر الساموراي؛ لوأد نتائج هذا الانقلاب الفاشل، وللقبض على محركيه. انضم سايجو لسادا. امتطيا

حصانيهما وانطلقا في مقدمة كوكبة الحرس ليصلا لمعسكر الساموراي. هبطا من الجبل والصباح ينير المكان. مرا بطرف طوكيو وظهرت أسوار معسكر الساموراي. سادا وسايجو متأكدان أن أكيشي يسانده القائد الذي تم قص شعره مع زميله الذي رفعوا عنه القناع. حين وصلوا للمعسكر الكبير، كان الصراع الداخلي بين الساموراي في نهاياته، المنقلبون قُتل منهم الكثير واستسلم الباقون. أما أكيشي فقد جلس مستندًا على جدار وكف يمناه على جانبه الأيسر المصاب. وعلى يمينه ويساره مقاتلان حدا سيفيهما متجهان لرقبته إن حاول الإتيان بحركة. لم يهبط سادا من ظهر حصانه. سايجو هبط سريعًا ووقف بجوار القيادات الساموراي التي أحنت رأسها طاعة لابن الشوجن. قال أكبرهم مقامًا:

- باسم الشوجن العظيم، تم وأد الانقلاب الذي قام به القائد الخائن أكيشي وتابعه. أكيشي صار أسيرًا مصابًا. والقائد الثاني تم قتله.

سأله سادا:

- أهو القائد الذي تم قص شعره عقابًا؟

قال:

- هو.

فأكمل سادا:

- زميله مقصوص الشعر، كان من ضمن عصابة النينجا التي هاجمت قصر الدولفين، بقصد اغتيال الشوجن ماساموني. لقد أصابوا الشوجن بسهم في كتفه، وقتلوا أخي روكاكو. والانتقام منهم سيكون دمويًا.

فترة صمت لابتلاع الدهشة. قال القائد المتكلم:

- ماذا نفعل في أكيشي الخائن وأتباعه؟

- سأعود لأخبر الشوجن ماساموني، فهو الذي سيقرر. ضعوا أكيشي في سجن المعسكر. أهينوه ولا تعطوا لوضعه القديم بوصفه قائدًا كبيرًا أي اعتبار، فهو خائن للشوجن، خائن لليابان. سايجو. سايجو.

أتى سايجو أمام حصان سادا وحني رأسه. قال له سادا:

- ابق هنا. سأعود للشوجن وأخبره وأتلقى أوامره.

- خذ معك عددًا من الحرس.

سادا ومعه حراسه على خيولهم المسرعة، عائدون لقصر الدلافين. يدخلون القصر ويندفع سادا بحصانه حتى باب المبنى. يهبط ويسرع صاعدا. يدخل الحجرة التي بها والده الشوجن. عدد من الخدم يقفون متأهبين. سادا يرى أباه والضمادات حول جرحه يستكملها العجوز المعالج. جثة أخيه وزوجته آياكا الحامل في آخر وقتها تجلس بجواره باكية وخلفها خادمتاها. يضع سادا باطني كفيه أمام وجهه ليخفي تأثره وضعفه. الشوجن يفيق من إغمائه، يبعد العجوز ويزحف على ساقيه ويده اليسرى. يساعده سادا وأحد الخدم حتى يصل حيث ابنه القتيل. الدموع في عيني الشوجن الذي حاول التماسك. يفشل فيبكي ويلقي برأسه على صدر ابنه المقتول، ويتبعه سادا ويفعل مثله باكيًا. آياكا بدورها تبكي بحرقة ويغمى عليها. الخادمتان يسندانها ويضعانها أرضًا. ويصرخان أن آياكا ستلد. يرفعونها بحرص وإصرار ويخرجان بها في سرعة.

سادا يربت على ظهر أبيه. يجلسان متواجهين بجوار جثة روكاكو. سادا يبلغ أباه بما جرى في معسكر الساموراي. تبرق عينا الشوجن ويأمر بصوت ضعيف مُنهك:

- آتيني بأكيشي هنا في القصر. آتيني به مكبلًا مهانًا خلال شوارع طوكيو. آتيني به سائرًا على قدميه الحافيتين، مقصوص الشعر وعلى رأسه التراب. دعوا الناس ترى خزيه وذله. وآتيني بمن بقي حيًا من أتباعه، اجعلهم يسيرون خلفه منزوعي السلاح.

موكب الخزي المنطلق من المعسكر، يتقدمه فرسان ساموراي وفي مقدمتهم سادا في ملبس قتال فخيم وتحته حصان شاب متباهٍ بنفسه، وحبل مربوط في سرج حصانه، وفي نهايته سرج ملتف حول رقبة أكيشي عاري الرأس مقصوص الشعر والتراب على رأسه ووجهه ويسير حافي القدمين. ملبسه سروال مهترئ عارٍ نصفه العلوي، ثم فرسان ساموراي على صهوات خيولهم وكلهم في ملابس القتال المبهرة. وخلف الفرسان، يسير مشاة من الساموراي وسطهم ثلاثون منكسو الرؤوس في ملابس عادية ودون سيوفهم، هؤلاء هم الذين انضموا للخائن أكيشي. موكب الخزي تحول لما يشبه الاحتفال. شعب طوكيو على جانبي طرق الموكب، رجال ونساء وأطفال. يهتفون للشوجن المحبوب ماساموني، ويلعنون الخونة ذاكرين اسم آكيشي بكلمات ساخرة مؤذية.

داخل أروقة القصر. الشوجن ماساموني يجلس على مقعد على مقربة من حجرة آياكا. صرخات آياكا وهي تلد تصل له وهو ينتظر بوجه جامد يتكتم آلام فقده لابنه روكاكو. وهاهي زوجة روكاكو تضع وليدهما بعد مقتله بساعات قليلة! دقائق وصرخات المولود تتعالى. تنفرج معالم ماساموني قليلًا. تخرج إحدى

الخادمات من الحجرة وتسرع للشوجن وهي بين الفرحة والحزن تنحني أمامه وتقول:

- الحفيد ولد.

فقال الشوجن وهو يمسح دموعه:

- فوكوزاوا.

مسيرة الأسير الخائن أكيشي تدخل قصر الدولفين. ملئوا الفناء. الفرسان هبطوا من على ظهور خيولهم. سادا يقف وبجواره أكيشي المُهان راكعا على ركبتيه ومازال مكبل اليدين. ظهر الشوجن ماساموني عند باب مبنى القصر. يرتدي كيمونو صوفيا أسود وذراعه مربوطة برباط يتدلى من عنقه، الكره وشحنة الإصرار على الانتقام يكسوان ملامحه. بجواره سايجو في ملبس القتال. هتف سادا فردد الهتاف خلفه محاربو الساموراي كلهم باسم الشوجن ماساموني العظيم. صمت الجميع منتظرين ما سيقوله الشوجن، لكن الشوجن صامت ينظر في احتقار لأكيشي محني الرقبة لأسفل في ذل. أكيشي وهو ينظر أرضًا قال:

- الشوجن العظيم ماساموني. أعطني الفرصة لأموت بكرامة. أعطني الفرصة فأنا مهما يكن من قيادات الساموراي. ترفق بي وامنحني فرصة بأن أنهي حياتي حسب عقيدة شجعان الساموراي. دعني أنهي حياتي الحافلة بحسب عقيدة يوشيدو النبيلة. مُرهم بإعطائي خنجرًا لأشق بطني بنفسي. اجعلني أموت بالهاري كيري.

الشوجن وجهه تغضن في تجميع لما في داخله من انفعالات الآلام والاحتقار

والكراهية والتعطش للانتقام. قال في صوت ضعيف:

- كنت قائدًا كبيرًا من قيادات الساموراي. كيف تتآمر مع من هم دوننا! تتآمر مع النينجا؟! ولتغتال سيدك الشوجن؟! ألم تقسم أن تكون مخلصًا لي مدى الحياة؟

- نعم. أنا أخطأت.

- لا أيها الأحمق. أنت لم تُخطئ. أنت خُنت.

- وأنت الشوجن العظيم. مُر لي بخنجر واسمح لي بأن أموت بكرامتي. أشق بطني بنفسي.

- تسببت في قتل ابني. ابني روكاكو. أكيشي. ستموت كماعز ليس له قيمة. ستشنق. ولن يكون شنقك هنا في قصر الدولفين. قصر الشوجن. ولا في معسكر الساموراي. بل ستشنق في شوارع طوكيو وسط العامة.

حاول أكيشي رفع رأسه. وخزه حارسه بكعب الرمح في قفاه فأجبره على البقاء ناظرًا للأرض. أكيشي جسده يتشنج خزيًا. موقفه عار وموته عار ثقيل، وهو كان من كبار قيادات الساموراي.

الشوجن ماساموني نظر لسادا:

- خذوا هذا الخائن الحقير بعيدًا. وآتوا بالساموراي الذين اتبعوه أمامي.

سحبوا أكيشي بعيدًا وأفسحوا للأسرى الساموراي ليكونوا أمام الشوجن ماساموني. ركعوا كلهم صاغرين. فقال لهم الشوجن:

- أخطأتم. أخطأتم وحجّتكم أن الذي أمركم هو قائدكم؛ لذلك سأعفو عنكم،

على أن تعاهدوني على الموت في سبيل الشوجن.

رفعوا رؤوسهم سعداء وصاحوا:

- الشوجن ماساموني. الشوجن ماساموني. الشوجن ماساموني.

في نفس اليوم، تم تعليق أكيشي في غصن شجرة بقارعة طريق. وتُرك ميتًا لأيام ثلاثة. ثم دفنه في مقبرة مهملة وكأنه من أبناء السبيل. في اليوم التالي، كان الانتقام من قبائل الدايمو. فرسان الساموراي هجمت على قراهم وأحرقتها وأعملت فيهم السيوف والحراب والبلط ولم ترحم لا كبيرًا ولا صغيرًا. وكان يومًا دمويًا بائسًا على تلك القبائل، التي ما تنفك تثور وتغتال ومصرة على الانتقام من الشوجن، ومن كل من يتبعه. ومن بعد هذا الهجوم الكاسح عليها، انفرط عقد من بقي حيًا من قبائل الدايمو، وتشتتوا أفرادًا وجماعات هنا وهناك في مذلّة. ومنهم من ذهبوا خلسة لساحل خليج طوكيو، ليعملوا مع الصيادين. وعدد من عصابة النينجا رحلوا إلى بقية جزر أرخبيل اليابان، بعيدًا عن جزيرة هونشو حيث مركز الشوجن والإمبراطور.

أرسل الإمبراطور الجديد رسالة كلماتها في مظهرها عادية، وفي باطنها تصرّح بأن للإمبراطور مكانة مازالت أقوى وأجل من مكانة الشوجن. ذهب الشوجن ماساموني في موكب قوي في ظاهره، لكنه في باطنه رخو. فما حدث لقصره من اختراق، وفقده لابنه المعد لتولي مكانة الشوجن، وما حدث من ارتخاء في مقاتلي الساموراي، وزيادة الخلخلة بين قياداتهم، كل هذا أضعف الشوجن وأوهنه. اخترقوا مساحات الحقول الشاسعة المزروعة بالأرز وغير الأرز. ولما دخل الشوجن ماساموني في قاعة العرش الإمبراطوري. لم تكن خطواته قوية

ثابتة. خاصة وذراعه المصابة معلقة برباط على عنقه، وعيناه منكسرتان رغم محاولته تشخيص قواهما. ابتسم عدد من الحاشية النبلاء. الشماتة في الشوجن واضحة على وجوههم. حتى الإمبراطور الشاب الذي تولى العرش من شهور، استقبل انحناء الشوجن، بهزة رأس خفيفة. لم يستطع إخفاء شماتته وتشفيه في الشوجن ماساموني.

سألوا الشوجن عن الذي حدث في قصره. أبلغوه بما يعرفه. الفوضى بدأت تعود وتسود في كل جزر اليابان. والناس صارت تشكو متألمة من محاربي الساموراي الذين زادوا من تكبرهم، واعتداءاتهم على الناس، وإتاواتهم المفروضة على كبار التجار. وعصابات قبائل الدايمو، والتي عُرفت باسم النينجا، استفحلت وصارت تغتال كل من يقاوم فسادها. ماساموني وعد الإمبراطور بأنه سيعمل على ضبط الأمور سريعًا، فأجابه أحد النبلاء في استعلاء:

- في بداية عصركم، كبيرنا حذر الشوجن يوريموتو، بأن بدايات حكم المحاربين ظاهرها النجاح، لكن نهايتها نكبات وفواجع. اسمع.. إن لم تفلح في تنفيذ وعدك، فعليك بأن تعلن نهاية عصر الساموراي، وانتهاء منصب الشوجن.

عاد الشوجن ماساموني متألمًا مما أحس به من إذلال، وتأكد مما كان هو متأكدًا منه من قبل، وما تأكد منه سابقوه من الشوجن، أن الإمبراطور لن ينسى لهم انتزاع الحكم منه، وأيضًا طبقة النبلاء لن تنسى انحدارهم درجة لأسفل وصعود الساموراي لمكانهم. وغضب إضافي اقتحم قلب الشوجن ماساموني، إن كبير عائلة آياكا، زوجة ابنه القتيل، لم يقف معه ولو بالتخفيف من الضغوط والسخرية المبطنة التي نالها. طبقة النبلاء حتى لو صاهرته، فهي لن تتخلى عن كبريائها وترفعها على الجميع، حتى على الشوجن.

الشوجن ماساموني بعد هذه الأحداث التي فقد فيها ابنه روكاكو، وأصيب تلك الإصابة التي شلت ذراعه، تيقن أن أيامه في الحياة صارت معدودة. فقرر التركيز على إعداد ابنه سادا سريعًا، ليكون شوجن فاهمًا واعيًا. وليعوده على حزم وحسم وعزم لم يعتده من قبل. فمن قبل لم يكن أحد يتوقع أن يكون سادا هو الشوجن القادم. وأتى بقيادات الساموراي ليأخذ منهم العهد أن يقفوا مع ابنه سادا، ولا يتخلون عنه. ثم ألح على آياكا أرملة ابنه روكاكو، أن تقبل بالزواج من ابنه سادا الذي سيصير الشوجن، لكن آياكا رفضت بإصرار. وقالت له:

- لن أضع رجلًا مهما كان في مقام زوجي روكاكو. حياتي ستتركز على تربية حفيدك فوكوزاوا ابن روكاكو وابني.

وافقها الشوجن وأكد لها أن وصية زوجها روكاكو بالاعتناء بها وبوليدها، ستكون واجبة عليه. وأن ابنها فوكوزاوا سيعيش مكرمًا.

بعد سنوات يموت الشوجن ماساموني ويصير سادا هو الشوجن.

الشوجن سادا

والشمس ساطعة في نهار الصيف. يقف حارس في برج من أبراج سور قصر الدولفين ويصيح:

- هجوم. هجوم على القصر.

يتأهب بقية الحرس على السور وهم يرددون نفس الصيحة، ليسمع بذلك كل من في القصر. وينطلق من بيت الحرس عشرات من الحراس منهم من هم بكامل ملابس القتال، ومنهم من يضع خوذته ويستكمل أهم ملبس قتاله. ينطلقون إلى السور وهم يصيحون صيحات القتال. ويذهب كل إلى مكانه المعلوم، ثم يشتبكون مع عدو وهمي، ضد من يتخيلونهم يتخطون سور القصر، القتال بكافة الأسلحة، سيوف وحراب وبلط وسهام. القتال الوهمي بالغ الجدية ليس فيه مسحة مزاح. يسقط بعض الحرس، منهم من يشخص الإصابة ومنهم من يشخص الموت. يدير التدريب التشخيصي شاب يافع قوي الجسد، به حيوية مبهرة وقوة شخصية. يصيح لهذا الاتجاه ثم عكسه، والحرس يستجيبون لتوجيهاته سريعًا، فيسرع بعضهم لمكان من السور ومنه لمكان آخر، ثم مجموعة منهم تهبط من السور لتحاصر من يتخيلون أنهم تخطوا السور وحاولوا اقتحام مبنى القصر.

من نافذة جانبية، تتلصص طفلة صغيرة تتابع تدريبات الحرس في استغراق. الطفلة بها تشوه واضح في وجهها. وحمة مُحمرة تبدأ من منتصف جبهتها سارية ما بين أسفل بداية الشعر وأعلى الحاجب ثم تهبط مشكّلة قوسًا ينتهي بين العين والأذن. نظراتها تتركز على الفتى اليافع الذي يدرب الحرس.

في الشرفة الرئيسية بمبنى القصر، يقف الشوجن سادا وقد تخطى الخمسين

عامًا. فخامة ملبسه واعتزازه بنفسه، لا يخفيان هزاله واهتزازه. على يمينه القائد سايجو. بعكس الشوجن،سايجو عجوز في عافية شاب. منتصب القامة ملامحه بها صرامة وثقة. بعد انتهاء التدريب، وقف الحرس وقد وجهوا أنظارهم ناحية الشوجن سادا. قائد التدريب الشاب اليافع يصيح هاتفًا محييًا الشوجن سادا باسمه، فردد الهتاف جنود الحرس من خلفه. هز الشوجن رأسه راضيًا عن حرسه وخاصة عن قائدهم الشاب، فانصرف الحرس للسور ولبيتهم.

الشوجن يسير في ممرات القصر. يسير معه سايجو على بعد نصف خطوة. عجوزان صديقان من وقت شبابهما اليافع. يسأله الشوجن:

- ما رأيك؟

- إنهم على مستوى ممتاز.

- لقد وضعت شابًا يافعًا قائدًا للحرس!

- إنه هانزو. اخترته من شباب الساموراي. محارب ماهر شديد البأس.

- شاب يافع! أتثق فيه لهذه الدرجة؟

- نعم. هانزو مخلص. خالٍ من الجشع والسلطة. صحيح أنه لم يدخل معارك حقيقية حتى الآن. لكنه مقاتل رهيب. سيكون نعم الخادم القوي للشوجن العظيم.

- فليكن، أنا أثق بك كما وثق فيك أبي الشوجن ماساموني، وجعلك قائد حرس قصره.

- كنت أنا وقتها شابًا يافعًا من سن هانزو أيها الشوجن العظيم. وأشير عليك أيها الشوجن العظيم، أن ترعى هذا الشاب هانزو.

- رأيك محترم. وأنا أثق في كل من تثق فيه أنت.

- أيها الشوجن العظيم، مستوى مهارة حرس قصرك مستمر في علوه. بعكس التدريبات في معسكر الساموراي. مستواهم يقل يومًا بعد يوم.

- آآآآه مرت بنا سنوات مشحونة بالمخاطر وبالانكسارات والانتصارات يا سايجو. الآن حال اليابان كله ليس على ما يرام. يبدو أن حقبة الساموراي بعد التصاعد، أصبحت في تراجع. الشكوى من انحسار المكاسب تزيد كل شهر. كبار التجار وكبار ملاك الأراضي، وحتى طبقة النبلاء، كلهم يشكون. فما بالنا بالفلاحين وأصحاب الصنائع. ومع انحسار المكاسب، حصيلة الضرائب تقل والعديد من قيادات الساموراي، ليس فقط لا يقبلون نقص مكافآتهم، بل يطالبون بزيادتها! هؤلاء القيادات صاروا مشكلتي الكبرى. يعلمون أني أعاني شخصيًا من ضيق بسبب تناقص نسبة الضرائب التي تأتيني. لم أصر على حصولي على نفس مخصصاتي من الضرائب؛ رحمة بالناس، لكن الإمبراطور يصر أن يحصل على مخصصاته دون أي تقليل منها! يعيش في أبهته وجواريه وخدمه وحشمه في بذخه المعهود. آه. هو الإمبراطور سليل آلهة الشمس، ولا أستطيع معارضته مهما كان ضعيفًا في إدارة البلاد. سايجو. أنا متشائم. آآآه.. كيف حال أبنائي؟ أنا في قلق عميق عليهم.

- لك أن تطمئن. فهم محاربون ماهرون، بل هم من أقوى محاربي الساموراي.

- حقيقي. حقيقي قولك أم تجاملني؟ أنا قلق عليهم وعلى اليابان.

- لم أكذب عليك من قبل أيها الشوجن العظيم.

- نعم. نعم. أعلم هذا. أرجو أيضًا أن يكونوا مثلما طالبنا به أبي.. ثعالب السّلم ودببه الحرب؟ ثم ما يقلقني وأنت صديق عمر ومن كبار مستشاري. تعلم يا سايجو أن فوكوزاوا ابن أخي روكاكو، أعده ابنًا من أبنائي.

- كل القصر يعلم ذلك. فأنت لم تنس أباه روكاكو وعظمته.

- نعم. روكاكو وصاني أنا وأبي قبل أن يموت. وصانا بأن نرعى ابنه وزوجته. مات روكاكو وهو المفروض أن يكون الشوجن بعد أبينا، لأتحمل أنا هذه المسؤولية التي قصمت ظهري. روكاكو وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، وصانا بابنه وزوجته. زوجته آياكا نأت بنفسها عنّا وأنا تركتها حسب رغبتها، أما ابنه، فقد رعيته وربيته مثله مثل ابني ميشيما وهيراواكا. الثلاثة مستمرون إخوة متساوون. أنت تدربهم معًا، والحكيم كاتسوتو بجانب تاريخ اليابان، يدرس لهم تاريخ الصين وكوريا والهند وغيرها. تعرف الحكيم كاتسوتو؟

- تمامًا. هو الساموراي القديم ونتيجة لعشقه للقراءة والعلم، صار حكيم اليابان الأول.

- أحيانًا أندم على تكليفه بتعليم وتثقيف أبنائي. أحمله تشجيع ميشيما في طبعه المنغلق الحاد. ويقلقني هذا الصراع في الآراء بين فوكوزاوا وميشيما. الاثنان يعشقان المعرفة قراءة واستماعًا للحكماء، ورغم أن ميشيما قد تشرب بتاريخ اليابان وآلهتها، ويكتب الشعر والحكايات، ولا يمر يومان إلا ويكون مع مجموع من شباب الحرس يقرأ لهم ما يكتبه من حكايات، يروي فيها عن آلهة

الشمس والرمح المرصع بالجواهر الذي انطلق للمحيط وغرس فيه، ثم ارتفع ومن تقاطر المياه منه، تم خلق أرخبيل الجزر اليابانية. يحكي عن أباطرة اليابان وكيف هم من سلالة آلهة الشمس، وليسوا مثل أناس عاديين. هو مغرم بذلك، مفتون، فإن فوكوزاوا أرحب في الفهم. ميشيما يعتز بيابان الساموراي وهو الكاتب! أما فوكوزاوا فيعتز باليابان الفكرية الإبداعية وهو القارئ فقط! ميشيما يعتد ويفخر باليابان المتداخلة باليابان التي في خياله، أما غير اليابان، فهم عنده في مرتبة تلي اليابان. يختلف عنه فوكوزاوا الذي يعتز باليابان، لكنه مثل والده وأمه، يرفض أن يعادي الغرباء ويقاتلهم طالما لا داعي لهذا. فوكوزاوا واقعي ذو مقدرة على المواءمات. آآآه من مشاجرات الأبناء. وأنا كبيرهم مثل ريشة تلعب بها الرياح، وتطيح بها أنواء الأبناء. سايجو.. لا أعلم متى سأستريح من مسئولياتي ومن همومي الثقيلة.

فناء قصر الدولفين. طفلة في العاشرة من عمرها تسير في حديقة الأشجار والزهر. ترتدي كيمونو حريريًا أزرق. في قدمها حذاء جلدي ناعم. شعرها منمق أعلى الرأس. الفتاة عادية حين تُرى من بعيد. وحين الاقتراب منها يتبين للرائي ملابسها غالية الثمن، ثم يفاجأ بوجه الفتاة الذي من المفترض أن يكون جميلًا، وقد شوهته وحمة خسفت بالجمال وبعثرته. الفتاة تسير بين الأشجار وعقلها سارح لبعيد.

الفناء نفسه عند البحيرة. طفلة جميلة في ملابس حريرية لا تتعدى الثامنة من عمرها، عقد من الورد مثبت في شعرها. تقف على بعد خطوات من البحيرة، تنظر للبحيرة في تحدٍ. تنحني للأمام وتقدم ساقها اليمنى واليسرى للخلف. تندفع مسرعة وتقفز في البحيرة، فتهبط بقدمها اليمنى على قمة حجر من الأحجار

المتناثرة في البحيرة، ومنها مباشرة تقفز على حجر ثاني هابطة عليه بقدمها اليسرى. وتثبت عليها قليلًا. تبتسم لنجاحها. تقفز على الحجر الثالث لكنها تنزلق فتسقط في البحيرة. تصرخ وهي تقف والمياه تصل لقرب عنقها. تنتبه أختها ذات الوحمة، فتسرع إليها وتهبط في البحيرة وتأخذ بيد أختها الصغيرة وتخرج بها. تؤنبها وهي تسحبها لداخل القصر.

الصرخة شدت انتباه عدد من الحرس على سور القصر، وعدد من الخدم في النوافذ. يضحكون على الفتاة الصغيرة. في حجرة البنتين. الكبيرة تخلع ملابس الصغرى وتبدل لها ملابسها بأخرى جافة. ثم تبدل ملابسها هي الأخرى. الصغرى تضحك سعيدة بما فعلت. تؤنبها الكبرى لكن الصغرى تستمر في الضحك وتقول:

- لقد نجحت في الوثوب على ثلاثة من الأحجار!

- أنتِ لا تستمعين للنصح يا آكيكو. سأبلغ أمنا.

- لا تفعلي يا تشيكو. أنتِ أختي الحبيبة. ثم إن قلتِ سأقول أنا أيضًا.

- -تقولين ماذا؟

- أنت تتلصصين على هانزو قائد الحرس.

- آكيكو. أنتِ كاذبة. أنتِ لست أختي و لست صديقتي.

- هاها. لن أقول. لن أقول صدقيني. أنا أمزح معك.

- دلالك زاد كثيرًا وربما مرة من مرات شقاوتك يحدث لك مكروه.

تبتسم الصغرى ولا تجيب، فتستمر الكبرى في الحوار:

- تعاهدينني ألا تقفزين على أحجار البحيرة؟

تجيب آكيكو وهي تضحك:

- لا.

- لا! تقولين لا يا مستهترة!

وقبل أن ينتهي حوار الأختين. دخلت عليهما أمهما أستوكو في كيمونو بسيط. خلفها خادمتان من عمرها. أستوكو في كومة شعرها المرفوع لأعلى، به شعيرات بيضاء. وقفت الفتاتان في خشوع وحنتا رأسيهما احترامًا. قالت الأم لابنتها الصغرى في غضب مظهري:

- آكيكو.

- نعم يا أمي.

- عدت للقفز على أحجار البحيرة وسقطت في المياه كما سقطت من قبل عدّة مرّات. صرخاتك أقلقت الحرس وكل من في القصر. ولولا أختك بجوارك، ربما غرقت.

- لم أكن خائفة من الغرق، فالبحيرة ليست عميقة، والمياه نظيفة منعشة.

- أنتِ طفلة مستهترة.

- لست طفلة أنا كبرت.

- ما زلت طفلة. إن عدت للقفز على أحجار البحيرة سأخبر أباك الشوجن. وربما

منعك من النزول إلى فناء القصر تمامًا.

- أمي. أختي تشيكو صارت ماهرة في المبارزة بالسيف. تتعلم من أخي هيراواكا.

تشيكو تضرب بكوعها في كتف أختها الصغيرة آكيكو التي تضحك. تستمر آكيكو:

- تريد أن تكون في مهارة هانزو قائد الحرس.

هنا ضربتها تشيكو بكوعها في قسوة، فتأوهت آكيكو ألمًا ثم ضحكت. الأم أستوكو تنظر في عدم رضاء لابنتها تشيكو وتلومها:

- تشيكو. أنت فتاة. أنتِ ابنة الشوجن سادا. ستكونين زوجة لقائد من قيادات الساموراي، لكن أنتِ لن تكوني ساموراي. أبعدي عن رأسك هذا الأمل. أما هيراواكا، فسألومه. وإن لم يتوقف عن تدريبك سأبلغ أباكما الشوجن ليمنعه ويمنعك.

صياح قتالي منتظم يصل لأسماعهن. صيحة تعقبها صيحات مجمّعة تقلد. خرجت الأم وابتعدت وخلفها الخادمتان. آكيكو أمسكت بيد أختها تشيكو تتعجلها وأسرعا في اتجاه غير اتجاه الأم. أمهما توقفت والتفتت ورأت ما تتوقعه. كانت ابنتاها تسرعان في حماسة. ابتسمت واستكملت سيرها، والخادمتان تضحكان على حماسة الفتاتين.

الفتاتان عند قاعة واسعة مفتوحة الجانب. تشيكو أوقفت آكيكو وقالت لها في حسم غاضب:

- إياك أن تأتي باسم هانزو مرة ثانية.

تشيكو سحبت آكيكو ودخلتا القاعة في هدوء وهما منحنيتان. جلستا بعيدًا بجوار جدار تراقبان في صمت. الحجرة الخشبية ذات أرضية خشبية ناعمة. جدار من الجدران معلق عليه سيوف وخناجر متنوعة الأطوال والأحجام، وحراب ذات أطوال مختلفة. أقواس مقاسات وأجربة سهام، وبعض النجوم الحديدية بنصالها الأربعة. في الوسط يقف ثلاثة شباب صفًا واحدًا في أردية بيضاء خفيفة ذات أحزمة من نفس اللون. ينتعلون نعالًا لينة. كل منهم يمسك سيفًا. يقف أمامهم مدربهم في نفس ملابس الشباب الثلاثة وفي يده سيفه. المدرب رشيق قوي رغم سنه المتقدمة. المدرب العجوز يطلق صيحات باترة حازمة، وهو يتلاعب بالسيف استعراضًا والثلاثة يقلدونه في حركاته. فترة والعرق أخذ يبلل وجوههم. العجوز يبارز كلًا من الثلاثة واحدًا بعد الآخر، ليبين لهم جوانب من فنية المبارزات. اثنان من الشباب في عمر يقارب الرابعة عشرة. ثالثهم لا يزيد عن ثلاثة عشر عامًا. المبارزات قوية سريعة مع صيحات القتال المبهمة والتي تزيد المقاتل بطشًا ومن المفترض أنها وقت القتال الحقيقي تلقي الرعب في الخصم. الفتاتان تخشيان من سيف المدرب أن يصل لأجساد الشباب. فترة راحة. المدرب العجوز ينظر للفتاتين الجالستين في عدم رضاء. الثلاثة يشربون جرعات خفيفة من كؤوس مياه. ثم المدرب ينادي:

- فوكوزاوا.

يتقدم أحد الشابين الكبيرين. يبارزه المدرب العجوز. فقرات من التحامات وضربات وصد متبادل، المدرب يأتي بحركات تعليمية، يتوقف برهات وينصح بالقول والتمثيل. اشتباك سريع فيصل بنصل سيفه لجانب من جوانب جسد

فوكوزاوا، لكنه لا يستكمل الطعن. يعود فوكوزاوا للخلف. ينادي المدرب:

- ميشيما.

يتقدم الثاني في خطوات ثابتة فخورة. يتكرر بالتقريب نفس ما حدث بين المدرب وفوكوزاوا. الفارق أن ميشيما يبارز بهجومية أشرس وأسرع، ثم يحدث ما حدث مع الأول، ويصل سيف المدرب لجسد ميشيما. تتوقف المبارزة ويقول المدرب لميشيما في حيرة:

- ميشيما. أنت مبارز شرس شجاع، لكن قتالك صريح. أنت لا تناور في مبارزاتك. المبارز الماهر يجب أن يكون ماكرًا. المبارز مثل غصن البامبو. قوة وليونة معًا. تمعن في كلامي يا ميشيما.

ينحني ميشيما احترامًا للمدرب ويعود للخلف وفيه خيلاء أنه المبارز الشرس. ينادي المدرب:

- هيراواكا.

بعدما يحدث ما حدث مع سابقيه. الفتى الصغير حركاته فيها ليونة وسرعة، تفاجئان المدرب فتبرق عيناه في دهشة. بعد مجاهدة ووقت، يصل سيف المدرب لصدر الفتى الصغير. والفتاتان تشيكو وآكيكو تكادان تصيحان فرحًا، تكتمان صيحات الفرح بصعوبة. يطلب المدرب مبارزة ثانية يفوز فيها المدرب. الثالثة يفوز فيها هيراواكا. عند انحناءة الاحترام بعد المبارزة، كانت انحناءة المدرب أخشع وأطول زمنًا.

مبارزات بينية بين الكبيرين، بالكاد يفوز كل واحد منهم مرة. ثم أصغرهم يبارز

أحد الشابين الكبيرين، ينتصر الصغير بموهبة يتعجب منها حتى المدرب، ثم يكرر الفوز على الكبير الآخر. تنتهي المبارزات بالسيف. تدريب بالرماح. حركات من المدرب يقلده الشباب. ثم مبارزات بين المدرب وكل واحد من الثلاثة على حده، فيتكرر ما حدث في مبارزات السيف. الفتاتان تتابعان في اهتمام ومازالتا تكتمان صيحات الفرح.

الثلاثة كل منهم يمسك بقوس ويعد سهمًا للرمي. أمامهم في الجانب البعيد دائرة حمراء لرشق السهام فيها. المدرب يعطي الأوامر بالضرب. الأكبر بدأ فكان سهمه خارج الدائرة. بعده ميشيما وصل السهم لحافة الدائرة. الثالث الأصغر هيراواكا سهمه رشق في وسط الدائرة. ضيق يتضح على وجه ميشيما. الطفلة الصغيرة لم تستطع كتم فرحتها هذه المرة. وقفت آكيكو صائحة:

- هيه. أخي هيراواكا بطل.

المدرب ينظر غاضبًا لآكيكو. تشيكو تضحك ثم تتوقف عن الضحك في خجل من نظرات المدرب اللائمة. الشباب الثلاثة يكتمون ابتسامتهم. المدرب يشير في إصرار لآكيكو بالخروج. تسرع الطفلة خارجة وهي تضع كف يدها على فمها لتمنع ضحكاتها أن تستمر. يعودون للتدريب. ينتهي التدريب، فينحني الثلاثة للمدرب ويقول كل منهم:

- شكرًا أستاذي المحترم سايجو.

يتقدم أحد الحراس من سايجو. ينحني له تحية ويخاطبه:

- الشوجن العظيم في انتظارك.

- أبدل ملابسي أولًا.

في حجرة خاصة، ارتدى سايجو كيمونو قطنيًا وسار خلف الحارس. في حجرة شاسعة يجلس الشوجن على مقعد كأنه عرش. خلفه يقف حارسان. على الجانبين عدد من كبار السن. يتقدم سايجو وينحني أمام الشوجن. يسأله الشوجن:

- ما أخبار تدريب أبنائي؟

- الشوجن العظيم. فوكوزاوا ممتاز.

- إنه يكبر ميشيما بعام كامل.

- وميشيما أيضًا ممتاز، تنقصه الليونة في حركات الجسد.

- هو هكذا. لا يلين في آرائه. به جفاف ظاهري، لكن من داخله بالغ الطيبة. في صغره صرّح أكثر من مرة أن اسمه يجب أن يذكره التاريخ مثلما يذكر الشوجن الأول يوريموتو. تخيل، طفل يفكر في اسمه الذي يجب أن يذكره التاريخ! تخيل قبل أن يستكمل الثالثة عشرة من عمره، يحلم بأن يكتب حكايات وأساطير اليابان! وهو في سنه هذه، تجرأ يومًا ولامني؛ لأنني من وجه نظرة لست بالقوة المطلوبة في الشوجن، ولست سريع الفعل كما ينبغي! صحيح بعدها لم يجرؤ على لومي، فقد كبر وعرف حدوده، لكنه بعينيه يقول لي ما قاله وهو فتى. آآه من تشابك دواخل ابني ميشيما. ثم يا سايجو. ما رأيك في الثالث، أصغرهم؟

- هيراواكا رغم صغر سنه، فهو ليس فقط ممتازًا، بل هو موهوب في القتال. موهوب في استخدام الأسلحة كافة. يعتمد في مبارزاته على الذكاء والحدس

معًا، فيأتي بحركات غير متوقعة، مناوراته تربك خصمه مهما كانت مهارة الخصم. على وجه العموم، أبناؤك فوكوزاوا وميشيما وهيراواكا سيصيرون من قمم مقاتلي الساموراي.

- نعم. نعم. سأرسل فوكوزاوا وميشيما مع عدد من محاربي الساموراي في زيارة لبقية جزر اليابان؛ ليتداخلوا مع قيادات ومحاربي الساموراي هناك. ويقووا مكانة الشوجن. نعم. سأرسلهما لقد صارا رجلين محاربين ماهرين.

- كما قلت لك سابقًا سيدي الشوجن العظيم، هذا كان آخر تدريب لي معهم ثلاثتهم. تقدم بي العمر ولم أعد أستطيع الاستمرار، وحقيقة لم يعد عندي ما أضيفه لهم.

- لقد أديت ما عليك بكل أمانة. كنت مخلصًا لأبي. أما بالنسبة لي، فأنت الصديق المخلص؛ لذا أعددنا لك بيتًا واسعًا يليق بك وبما قدمته لي ولوالدي.

أشار الشوجن بيده فأتى له خادم يحمل سيفًا ثمينًا في جرابه. تناوله الشوجن منه ووقف ثم تقدم لسايجو وقدم له السيف. انحنى سايجو وأخذ السيف منه.

في صباح باكر، مركب صغيرة بشراع أنيق، تبحر في خليج طوكيو الهادئ. فوكوزاوا يمسك بالدفة، وفي المقدمة الطفلة آكيكو وقد بلغت العاشرة من عمرها ووردتان مثبتتان في شعرها، تصيح فرحة فاتحة ذراعيها لكل موجة تأتيها، ثم تعود لمنتصف القارب لترقص مع المركب المتراقصة مع الأمواج. على بعد مراكب الصيد مشغولة في عملها. آكيكو تلوح للصيادين على مراكبهم القريبة. ويجيبون تحياتها بالتلويح والابتسام لها ولفوكوزاوا. تتوغل مركب فوكوزاوا وآكيكو في الخليج. آكيكو على ركبتيها في مقدمة المركب. تميل لأسفل فتأخذ ما تستطيعه

من المياه في كف يدها، وتلتفت لتلقيها على فوكوزاوا الذي يضحك فرحًا بها. يعود فوكوزاوا بالمركب رغم اعتراضات آكيكو. على المرسى الخاص بالقصر، الخدم يمسكون بالمركب ويأتون بحصانه. فوكوزاوا يستوي على الحصان ويأخذ آكيكو أمامه. ينطلق بالحصان ملتفًا في دائرة ثم يصعد إلى القصر. يفتحون لهما باب السور، فيدخلان. يهبطان. آكيكو تحتضن فوكوزاوا فيرفعها ويقبلها من خديها. فتقول له وهي في أحضانه:

- اسمع. قلت منذ كنتُ طفلة. لن أتزوج غيرك.

يضعها فوكوزاوا أرضًا ضاحكًا ويسرع ليدخل مبنى القصر، وتبقى آكيكو لتلعب في الفناء. تنظر لأسوار القصر. جندي يتابعها مبتسمًا. تلوّح له فوكوزاوا فيلوّح لها ضاحكًا. تجري ناحية السور. تصعد الدرج وتجري في ممر السور. يحملها الجندي وزميله ويلعبان معها. سريعًا آكيكو تهبط الدرج للفناء وتدخل مبنى الجنود وتلعب ضاحكة مع الجنود في الداخل. تخرج لتجري وسط الأشجار، ثم تقترب من بركة المياه. تنظر حولها وتراقب نوافذ وشرفات مبنى القصر وتتأكد أن أحدًا لا يراها. تخلع رداءها الخارجي. تسرع وتقفز على بلاطات البحيرة كلها وتصل إلى الضفة الأخرى من البحيرة. تتقافز سعيدة بإنجازها، ثم تعود للقفز على الأحجار عائدة للشاطئ الأول. تتقافز فرحة وهي ترتدي ملبسها. صوت من أعلى يناديها:

- آكيكو.

تنظر آكيكو لأعلى وقد ميزت صوت أمها:

- نعم يا أمي.

- اصعدي إليّ.

آكيكو وجهها أخذ تعبير الجد. أسرعت وبمجرد أن دخلت القصر وأخذت تصعد في الدرج، حتى ابتسمت وأخذت في الضحك سعيدة بإنجازها. وفي ممرات القصر عادت لتتخذ تعبير الجد. دخلت على حجرة أمها. خلفها خادمتاها. انحنت لها ابنتها آكيكو ثم انتصبت لتنظر في وجه أمها نظرة البنت الصغيرة التي ترجو عفو الأم وعطفها. قالت أستوكو في جديّة:

- آكيكو. لم تعودي طفلة صغيرة. متى ستتصرفين تصرف الفتيات؟ أبوك يحملني أنا مسئولية دلالك الزائد. لماذا لا تكوني جادة مثل أختك تشيكو؟

قالت آكيكو مبتسمة:

- تشيكو جادة مثل الرجال. وتريد أن تصبح ساموراي مثل الرجال.

- هي أفضل منك.

- هل هي أفضل مني لأنها تريد أن تكون مثل الرجال؟ تريد أن تكون مثل أخي هيراواكا؟

- انصرفي. ليلًا سيتخذ الشوجن موقفًا منك.

تقدمت آكيكو من أمها. واحتضنتها مبتسمة. ثم وقفت قريبة منها وقالت:

- تهون عليك ابنتك آكيكو؟ تبلغين الشوجن المشغول باليابان كلها، ليلوم مجرد طفلة صغيرة. لا. لا. لن تخبريه.

ضحكت الخادمتان. الأم تمسك نفسها من الضحك:

- آكيكو.

- نعم يا أمي يا جميلة.

أمها تجيب وهي غاضبة:

- آكيكو.

- نعم يا أمي يا طيبة.

- دلالك غير مقبول.

- هاها؟

- لماذا تركت حجرتك وانتقلت للحجرة النائية؟

- أمي. نافذة تلك الحجرة تطل على الحديقة. والحديقة جميلة بأزهارها وأشجارها.

- ودون أن تخبريني؟

- نسيت.

- احترت معك.

- لا تحتاري. اتركيني كما أنا. وأنا وأنت ندفع تشيكو لتتجمل أكثر وتتدلل أكثر مثل الفتيات.

- هي جميلة يا آكيكو. هي جميلة رغم تلك الوحمة الثقيلة.

- جميلة نعم. لكن لماذا تتدرب على فنون مبارزة الساموراي؟ هل تظن أنها ستدخل المعارك وتطعن هذا وذاك وتسيل الدماء؟ وهل يرضيك أنت يا أمها، يرضيك أن تصاب ابنتك تشيكو بضربة سيف أو طعنة رمح أو رشقه سهم؟

- اصمتي. اصمتي. لن يكون هذا.

تشير أستوكو لابنتها بالانصراف. تسرع آكيكو لتبتعد فتصطدم بأخيها ميشيما. تحتضنه آكيكو ضاحكة. هو ينظر إليها في حب أبوي هادئ. الخادمتان تنحنيان وتتقهقران للخلف قليلًا احترامًا لميشيما. الأم أستوكو تبتسم لابنها. ميشيما ينظر لآكيكو التي ابتعدت عنه قليلًا وقالت له:

- لماذا لا أراك ضاحكًا؟ لماذا لا تلعب معي مثلما يفعل فوكوزاوا وهيراواكا؟

فوجئ ميشيما بما تقوله أخته الطفلة. قال:

- لعبك كثير أيتها الطفلة التي لا تهدأ. وعليك بالابتعاد عن سور القصر ومبنى الحرس.

- لكني أحب اللعب في أروقة السور وأحب الضحك مع الحرس.

- عليك بطاعة كلامي.

- وإن لم أفعل؟

الأم تضحك رغمًا عنها والخادمتان يمنعان نفسيهما من الضحك. ميشيما مثلهما يمنع نفسه من الضحك حتى لا يهتز وقاره. قالت آكيكو سريعًا:

- كلهن يضحكن فيما عداك. هل الضحك يتعب معدتك؟

عبس ميشيما عندما تعالت ضحكات أمه. قال لها آمرًا:

- آكيكو. اذهبي من هنا.

قالت معاندة وهي ترقص وتخرج لسانها له:

- لن أذهب.

أخذ ميشيما خطوة ناحيتها مهددًا، فأسرعت آكيكو هاربة في عدو راقص. اضطر ميشيما للضحك مع أمه، فضحكت الخادمتان. تمالك ميشيما نفسه وعاد للعبوس، فتوقفت الخادمتان عن الضحك. نظرت له أمه في لوم حانٍ. قال لها:

- تدللينها كثيرًا.

- لا. هي مخلوقة هكذا. ضاحكة. هي تحبك وتحب أن تغيظك. ألا تحبها يا ميشيما؟

- أووه. أنا.. وأنا أحبها.

- ميشيما.

- نعم يا أمي.

- أبوك لم يعد يضحك إلا معها. الشوجن صار غاية في التجهم. يحمل على كتفيه مسئولية اليابان وهي مسؤولية ثقيلة. وآكيكو هي الوحيدة التي تجعله يضحك. وتقلل من توتره.

- يجب عليك أن تربيها بوصفها بنت الشوجن. هي ليست طفلة مثل بقية الأطفال.

- تعلمني كيف أربي ابنتي؟ ليتك علمتني كيف أربيك يا ميشيما؟!

- أعتذر منك يا أمي. لكن..

- ترفق بنفسك قليلًا يا ميشيما. أنت شاب حتى لو كنت الشوجن القادم.

أستوكو تركت ابنها ميشيما حائرًا، وابتعدت وخلفها خادمتاها. في الوقت الذي كانت آكيكو في عدوها الراقص الضاحك وصلت الحجرة. تطرق الباب وتدخل. آياكا بالغة النحافة ذات عينين متعبتين. جالسة أرضًا وبجانبها آلة وترية وأمامها كتاب مفتوح. تبتسم لآكيكو وتشير لها بأن تأتي بجوارها. آكيكو قبل أن تجلس، أخذت خطوات حول جدران الحجرة وهي تنظر للوحات المرسومة والأزهار المنثورة والمجمعة في باقات هنا وهناك. بعدها جلست بجوار آياكا وأمسكت بالآلة الوترية وأخذت تعزف عليها قليلًا. تبتسم لها آياكا معجبة. آكيكو تترك الآلة وتتفحص الكتاب. تسأل:

- ما هذا؟

- إنها خريطة الدنيا.

- خريطة الدنيا! وهل للدنيا خريطة؟

- نعم.

- كيف؟

- انظري. هذه هي الصين. وهذه بلاد الروس. وهذه جزر الهند الغربية.

- إنها معقدة. وهل يعرف فوكوزاوا هذه الخريطة؟

- فوكوزاوا صار يعرف أكثر مني. لا يتوقف عن القراءة والاستماع للمفكرين الكبار.

- لكنه لا يتوقف عن لعب مبارزات الساموراي!

- كلاهما مهم لابني فوكوزاوا. لكن أنتِ لا تحبين كثرة القراءة يا آكيكو؟

- لا. أشعر بالملل سريعًا. وأشعر بالملل أكثر مع المعلمين الذي يعلمونني الكثير من الأشياء. أنا أحب أن أتعلم منك تنسيق الأزهار. أحب أن أرسم معك. أحب سماع عزف الموسيقى والاستماع إليها. وأحب التجوال في شوارع وحدائق طوكيو. والإبحار في الخليج. لكن.. لكن أمي دائمًا تحد من تجوالي.

- تخشى عليك.

- أنا كبرت.

- لم تكبري كفاية.

- أووه. تتكلمين مثل أمي. أين فوكوزاوا؟

- مع ميشيما وهيراواكا في حجرة المكتبة.

- أووه. كنت سأذهب لأعاكسهم.

- احذري. هذا وقت جلوسهم للتعلم. الحكيم كاتسوتو على وصول.

- لماذا الحكيم دائمًا عابس؟ هل الحكماء يجب أن يعبسوا؟

- لا.

- أخي ميشيما عابس، هل هو حكيم.

- لا أظن.

- أووووه من أخي ميشيما هذا. لن أذهب.

تضحك آياكا. تستمر آكيكو في الكلام:

- انظري، أمي تحب ابنك فوكوزاوا وهو يحبها. ويجلسان معًا ويتحاوران ويضحكان. وقتها أحب أن أكون معهما، لكن أنتِ، لماذا لا تجالسين أمي؟ لا أراكما تتحادثان كثيرًا. ألا تحبين أمي؟

- آكيكو! أنا أحب أمك.

- لكنك لا تجالسينها.

- مزاجنا مختلف.

- أم لأنك من عائلة نبلاء، فتشعرين بأنك أفضل منا؟

- آآآه من ظنكم. اسمعي أيتها اللسان المنفلت. أمك سيدة طيبة.

- وأنت طيبة، ثم.. ثم أن ابنك فوكوزاوا وإخوتي ميشيما وهيراواكا أصدقاء

وكأنهم إخوة.

- أليسوا أولاد عم. فوكوزاوا ابن روكاكو بن ماساموني. وسادا ابن ماساموني.

- نعم. وأعرف أن عمي روكاكو كان أكبر من أبي وكان سيكون هو الشوجن، لكنه قتل وهو يدافع عن جدي ماساموني. صح؟

- نعم.

- آياكا. حزنت على مقتل عمي روكاكو كثيرًا. أليس كذلك؟

- نعم. كان فارسًا ومتعلمًا ومحبًا للناس كلهم. وكان يحب أباك سادا كثيرًا. والشوجن سادا أحب أخاه روكاكو؛ ولهذا يعامل فوكوزاوا بن روكاكو مثلما يعامل ابنيه ميشيما وهيراواكا.

- وأنا أحب الثلاثة جدًا. والثلاثة يحبونني. فوكوزاوا وهيراواكا يدللاني كثيرًا، لكن ميشيما، ميشيما يحبني نعم، لكنه متجهم أكثر من أبي الشوجن. وأنا أحب أن أعانده وأعاكسه ليضحك، فلا يضحك! لكن أبي.. أحبه وأستمر في المزاح معه حتى يبتسم ثم يضحك. أنا لا أخاف من أبي الشوجن.

تضحك آياكا وتجيبها:

- أنا أحب الشوجن وأخشاه. ثم يا آكيكو، كل من في القصر يحبونك يا آكيكو. حتى الخدم والحرس.

- اسمعي يا آياكا. أريد أن أتزوج ابنك فوكوزاوا.

- هاها. اتركي هذا الآن. أنتِ طفلة.

- أنا أغضب من هذه الكلمة. خاصة منك أنتِ وأمي. طفلة. طفلة. طفلة!

قامت آكيكو لتخرج. قالت لها آياكا:

- إلى أين؟

- سأتفرج على الحكيم العابس.

وأسرعت تترك الحجرة غاضبة. تجري في ممرات القصر. ومن شرفة وقفت تطل على الفناء. تراقب الحكيم كاتسوتو العجوز وهو على ظهر حصانه بكامل ملبس القتال، بما فيه الخوذة المعدنية. الحصان بتمهل يقترب من باب مبنى القصر. رغم مساعدة أحد الحرس له، يهبط كاتسوتو بصعوبة من صهوة حصانه. عجوز بالغ النحافة والضعف. شعر ذقنه وشاربه خفيف وفي بياض الثلج. يعدل من ملبسه ويضبط وضع سيفيه في حزامه ثم يحاول فرد جسده ويسير في خطوات شبه عسكرية. تضحك آكيكو، فيرفع الحكيم رأسه ناظرًا ناحية تلك الضحكة. يرى الطفلة، فتزداد تعبيراته عبوسًا. تتراجع آكيكو وتجري في ممرات القصر. تهبط في الطابق الأرضي. دخلت مكان الطبخ. خادمات وخدم مشغولون في عملهم. خضروات ولحوم متنوعة. نيران حطب عليها قدور الطعام. كل من يرى الطفلة آكيكو يبتسم لها، ويحذرونها من النار والقدور الساخنة والأدوات الحادة. آكيكو تبتسم للجميع. شاهدت فتاة تكبرها ربما بعامين، جميلة مثلها، مشغولة في كنس المكان. تقترب منها آكيكو وتسألها:

- هل تعملين هنا؟

تجيب الطفلة الخادمة:

- نعم.

- اسمك؟

- كونويتشي.

- أنت جميلة؟

- ..

- لكن ملابسك متسخة.

- ..

- إن وضعت أزهارًا على شعرك، ستكونين أجمل. اسمعي. هيا لتلعبي معي.

تتجمد كونويتشي في نفسها ولا تعرف كيف تتصرف. تنظر لسيدة سمينة تراقبها غاضبة. آكيكو تنظر للمرأة السمينة وتقول:

- لماذا تمنعينها من اللعب؟

- لا. أنا لا أمنعها. سمحنا لها لظروف عائلتها أن تعمل أسبوعًا وتغيب أسبوعًا. لكن لديها عملًا تؤديه.

- أنا أريدها معي لنلعب في فناء القصر.

يقترب خادم عجوز مسئول عن المطبخ. يبتسم لآكيكو ويقول لها:

- كونويتشي ملابسها لا تليق ولا تسمح لها باللعب معك. وأمك ستعاقبني إن

سمحت لها باللعب معك.

- لن تعاقبك. أنا أريد هذه الفتاة كونويتشي.

- سأستأذن من والدتك أولًا.

- أنا سأقول لها.

تركتهم آكيكو وأسرعت صاعدة لأمها. وفي عصر نفس اليوم كانت كونويتشي في ملابس مستعملة من ملابس آكيكو وتلعب معها في الفناء وأزهارًا مثبتة في شعرها مثل تلك المثبتة في شعر أكيكو. كونويتشي تجري مع آكيكو في أرجاء القصر. وفي ليلة أعطتها آكيكو كيمونو خاصًا بها. من القطن الناعم الملون بالزهور، فرحت به كونويتشي، فلم تتخيل يومًا أنها سترتدي مثله. صارت كونويتشي أقرب أصدقاء آكيكو. أرسل القصر من يتأكد من عائلة كونويتشي، حتى لا يأتي يوم تتأذى فيه آكيكو من هذه الطفلة الفقيرة. وجدوا أبا كونويتشي الذي يعمل في مراكب الغير. ماتت زوجته وليس له أقارب. العائلة أب وابنة فقط هي كونويتشي.

في وقت جلوس آكيكو لمعلمتها التي تعلمها القراءة والكتابة، أو الأخرى التي تعلمها العزف، تكون كونويتشي تعمل في المطبخ. تنتهي آكيكو من التَعَلّم، يسمحون لكونويتشي بالانصراف لتبدل ملابسها، وتنضم لآكيكو. فراقهم الزمني وقت دراسة آكيكو، وفراقهم المكاني بين الطابق الأول والعلوي من القصر، فغير مسموح لكونويتشي بالصعود للطابق العلوي، حيث مقر عائلة الشوجن، فهذا الطابق للعائلة فقط، وعدد بسيط من الحرس والخدم المأمون جانبهم، بعد مراجعات لأصولهم العائلية وسيرتهم الطويلة في الخدمة. اطمأنوا من خلفية

كونويتشي، فتركت كونويتشي تلعب مع آكيكو وتقترب من عائلة الشوجن كلها.

شهور وشهور وشهور.

رحلة لجزيرة هوكايدو

انطلقت عدة مراكب من أسطول الشوجن لتتخطى خليج طوكيو وتدخل المحيط، ثم تنحرف لتصل لجزيرة هوكايدو أولًا ثم بقية الجزر. القيادة لفوكوزاوا وميشيما ومعهم ثلاث من القيادات، أبرزهم القائد روسو المقرب من ميشيما. وعدد كبير من محاربي الساموراي. استغرقت تلك الرحلة ستة شهور كاملة. خلال تلك الفترة كثرت الحوارات بين ميشيما وفوكوزاوا، وبقدر ما اتفقوا على تفاصيل كثيرة، فخلافهم أساسي فيما يتعلق بالغرباء، فوكوزاوا يعترف لهم بالسبق في جوانب حضارية، وميشيما يعدد ويضخم من رزاياهم.

لما عادت المراكب، سمع الشوجن سادا التقرير الشفاهي. الحال غير مريحة، خاصة في جزيرة هوكايدو، حيث ناجاهارو قائد الساموراي الطموح، ناجاهارو وقد زادت شعبيته بين محاربي الساموراي، ويحتمل أن يتسبب في مشاكل للشوجن سادا. وأهل الجزيرة في ضيق بسبب أمرين، أولهما تجبر ناجاهارو وتصميمه على أن تبقى الضرائب عالية كما هي، ومثلما لا يُنتقص شيء من مخصصات الإمبراطور! فلن يُنتقص شيء من مخصصات قيادات الساموراي والمحاربين في جزيرة هوكايدو، لا يأبه بأن الشوجن سادا نفسه وافق على تقليل مخصصاته! ناجاهارو لا يهمه شكاوى الناس من انحسار المكاسب، والحال التي تسوء يومًا بعد يوم. ثانيهما أن عصابات قبائل الدايمو التي تنامى خطرها في كل الجزر، خطورتها زائدة في جزيرة هوكايدو، حيث ناجاهارو المستبد الذي يهمه إرضاء الساموراي لا السماع لأنات الناس. عصابات الدايمو وصلت لكل الجزر وأعداد منها تسللت بين تجمعات الناس متخفية، وسكنت أعلى الجبال والغابات وأخذت تغير على المدن، خاصة مجموعاتها المدربة على القتال

المباغت السريع، عصابات النينجا. وقوات الساموراي لا تستطيع محاصرة تلك العصابات والقضاء عليها، فمستوى محاربي الساموراي في كل مكان، ليس بالقوة والانضباط المطلوبين. ترهل وليونة وندرة تدريبات. حالهم أضعف من حال الساموراي في جزيرتنا وفي طوكيو. كل ما يهمهم ويهم الذين هنا هو مكافآتهم التي ينالونها ليعيشوا في ترف، وفي نفس الوقت الذي يعيشون فيه على عمل الغير، يستكبرون على الغير، سواء أكان الغير هم الفلاحون أم أصحاب الصنائع أم التجار أم النبلاء. والنتيجة أن الكل في ضيق من الساموراي. ويحملون الشوجن شخصيًا مسئولية هذا التردي. وما لم يقولوه للشوجن، أن العامة تتقول على الشوجن سادا، بأنه ضعيف، وأين هو من الشوجن يوريموتو، صاحب أسطورة الدولفين؟

كل ما سبق كانت تحليلات اتفق عليها ميشيما وفوكوزاوا، ماعدا ما قالاه عن مقابلاتهما مع عدد من اليابانيين البحارة والتجار الذين جاءتهم فرص للتعامل مع الغرباء. تحليل ميشيما يؤكد قوة وخطورة الغرباء وضرورة منعهم من دخول موانئ اليابان، وتحليل فوكوزاوا يقول بقوة وخطورة الغرباء، وأننا لن نستطيع منع الغرباء إلى الأبد؛ ولذلك يجب أن نتعامل معهم؛ لنعرف سر قوتهم ونضم أسرار قواهم لقوانا.

ميشيما يزيد من التدريبات مع مجموعة من عشرين حارسًا شابًا اختارهم. بملابس قتال خفيفة يخرجون من القصر عدوًا. يستمرون في العدو على أجناب الجبل. وعند قبر أياياسو المنتحر بالهاري كيري، حيث مساحة مستوية، يتدربون على القتال دون أسلحة، مستخدمين الأيادي والأرجل والرؤوس. ميشيما ينهكهم تمامًا بالعدو وتدريبات القتال، ثم يجلسون أرضًا متعبين. يستريحون وهم

يستمعون لميشيما وهو يشرح لهم أهمية لياقتهم البدنية والنفسية والعقلية. وأهمية تقوية نظام الشوجن الساموراي، فلا يابان دون محاربي الساموراي. صار العشرون شابًا تابعين عقليًا ونفسيًا لميشيما.

مرت سنتان على زيارة فوكوزاوا وميشيما للجزر اليابانية. ميشيما مع هيراواكا وفوكوزاوا يكثرون من زيارة معسكر الساموراي. أغلب القيادات وعامة محاربي الساموراي يحبون ميشيما ويعدونه رمزًا للساموراي. وفوق هذا وذاك، فوقع وسامته اللافتة وأناقته وخيلائه تأسر قلوبهم. المحاربون العاديون يقولون إنه متواضع معهم، ولا يشعرون بخيلائه المتواري. بعده يأتي هيراواكا. أما فوكوزاوا فمسافة ما تبعده عن أغلب القيادات وجنود الساموراي. ورغم الجفوة غير الواضحة، فكل الساموراي يحترمونه.

وفي تلك السنتين هيراواكا يزور حجرة ميشيما، ويستعير مخطوطاته ويقرأها ويعيدها ليأخذ غيرها. الكثير منها عن الصين خاصة، وتاريخها ومعارفها وقواها. أرفف عديدة في حجرة ميشيما تحوي مخطوطاته التي ألفها. بجوار تلك الأرفف يجلسان ويتناقشان فيها. هيراواكا قال لميشيما أنت خبير في أمور الصين، وتعرف بعض ما يخص الغرباء. أجابه ميشيما معترفًا بأن فوكوزاوا أكثر معرفة منه في أمور الصين وفي أمور الغرباء أيضًا وأن عيب فوكوزاوا الأساسي أنه يريد علم مواءمات مع الغرباء! وأنه يطالب بتقليل مدارس تعليم القتال، وزيادة مدارس المعارف! استوعب هيراواكا تفاصيل كثيرة، لكنه يداري عدم استيعابه لحدّة أخيه التي لا تلين. وفي تلك السنتين، تكررت المقابلات السرية التي يقودها ميشيما ومعه هيراواكا والقائد روسّو وغيرهم، وكلهم تابعون لفكر الحكيم كاتسوتو.

يوم مشمس. في شرفة من شرفات القصر ناحية الجرف المطل على خليج طوكيو. آياكا تنسق أزهارًا في أوانٍ فخارية وزجاجية. يأتي فوكوزاوا من خلفها. يلقي عليها التحية. تلتفت إليه باسمة وتجيبه ونبرات حروفها حب صاف. يسألها عن آخر كتاب استعاره منها وقرأه. تجيب ثم أوقفت هذا الحوار لتقول له ما يضايقه كل مرة:

- أخشى عليك يا بني.

- أمي. أنا بخير. وأعلم سبب خشيتك. الشوجن القادم هو ميشيما. هو ابن الشوجن سادا لا أنا.

- وهل أنا معترضة على ذلك يا بني؟

- ظاهريًا لا تعترضين. لكن من داخلك تلومين الشوجن سادا وتلومين ميشيما.

- إنه يعارضك كثيرًا. يعارضك بقسوة. بخشونة!

- كما أفعل أنا معه. لكنه يحبني كما أحبه أنا.

- يغار منك قليلًا.

- وأنا أغار منه قليلًا. هذا لأن كل واحد منا به خصال وقوى معلومة. أنا وهو نكمل بعضنا بعضًا.

- أبوك فدى أخاه سادا بحياته؛ لكن سادا لم يرد التضحية بمثلها.

- أووو. طوال حياتي وأنتِ لا تملين من هذا الكلام. ماذا تريدين من الشوجن أكثر مما يفعل ويفعل معي؟ يعاملني مثل ابنيه تمامًا. إنه يحبني يا أمي.

وميشيما وهيراواكا وتشيكو والطفلة آكيكو. إنهم يحبونني يا أمي وأنا أحبهم. قولي لي صراحة.. هل تريدين مني أن أكرههم؟ أن أنقلب عليهم؟

غضبت آياكا من إجابة ابنها، فصاحت به:

- لم أطلب منك كره من يحبونك. أطلب منك أخذ حقك وحق أبيك روكاكو.

- وما هو هذا الحق يا أمي؟

- لا أعرف. لا أعرف.

آياكا أعطت ظهرها لابنها وانخرطت في البكاء. احتضنها فوكوزاوا من كتفيها بقوة حانية. وقال:

- أعرف أنك أحببت أبي حبًا جمًا. وأعرف أنك رفضت الزواج من عمي أو من أي رجل آخر. ضحيت كثيرًا يا أمي. أعرف أنك عشت متألمة لمقتل أبي الذي افتدى بحياته عمي. أعرف أنك ربيتني تربية مثالية وتعلمت منك الكثير، وحكيت لي عن سمو أبي الكثير فتشربت من سموه. دعي الأمور تسير كما تسير، فأنا راضٍ تمامًا بأن أكون بعد ميشيما وهيراواكا في الأهمية. هذا قدري.

زحام في شوارع طوكيو. البيوت جميلة والدكاكين ممتلئة والناس في ملابس لائقة. سوق خضروات وفاكهة ولحوم في شارع ضيق. ثلاثة من محاربي الساموراي يتقدمهم ساموراي به غلظة وعنجهية. الناس يبتعدون عنهم في خوف وكره. مجموعة الساموراي يدخلون شارعًا متسعًا به دكاكين غلال كبيرة. امرأة جميلة تسير مع طفلها. يعترضها الغليظ ويضع يده على كتفها. تفزع المرأة وتبتعد صارخة، والساموراي الذين خلف الغليظ يضحكون بسماجة. يدخلون

دكانًا واسعًا. أحد العاملين يسرع لصاحب الدكان ويصيح محذرًا:

- إنه ناوموري.

ناوموري الغليظ يتقدم داخل الدكان ويصل لآخره حيث يجلس صاحب الدكان. يضحك للتاجر في استهتار والتاجر ينظر له في حياد يحوي ضيقًا. التاجر يمد يده لدرج يستخرج منه كيسًا ويعطيه للغليظ الذي تناوله في استهانة ويخرج وخلفه أتباعه.

ميشيما وفوكوزاوا وهيراواكا. على خيولهم يخرجون من قصر الدولفين. الثلاثة في ملابس أنيقة وكل منهم تمنطق بسيفه. وإن كان ميشيما في وسطهم يبدو قائدًا. وبوسامته أيضًا هو الأوضح وتأنقه الزائد بارز عن رفيقيه. يهبطون من الجبل مسرعين. ثم تبطئ سرعة خيولهم وهم ويخترقون شوارع طوكيو والناس تبتعد عن طريقهم وتحييهم. بعض التحيات مخلصة وبعضها منافقة فالخوف مرتسم في وجوههم، والكثير من الناس يبتعدون متجاهلين الثلاثة في ضيق وغضب. الثلاثة يصلون لسور معسكر الساموراي. يُفتح لهم الباب. مقاتلو الساموراي في الفناء يأخذون خيولهم ويحيونهم في احترام. يتقدم الثلاثة لمبنى القيادات. يستقبلهم أربع من القيادات في احترام رسمي، كل قائد خلفه مساعده. ينحنون للثلاثة فيرد الثلاثة التحية بالانحناء. ميشيما يسألهم في غضب:

- أين القائد جاواي؟

يجيب أحدهم في ارتباك:

- ينتظر في قاعة الاجتماع.

الثلاثة يظهر على وجوههم الضيق. يتقدمهم ميشيما ويتجهون للمبنى الفاخر، مبنى القيادات ويدخلونه. في باب قاعة واسعة يقف القائد جاواي وخلفه مساعده ناوموري. ينحنيان للثلاثة في ابتسامتين باردتين، فيرد الثلاثة التحية بتكبر وضيق. القاعة على جدرانها رسوم لأشهر مقاتلي الساموراي، وأسلحة لامعة متنوعة معلقة. ثلاثة مقاعد متجاورة وأمامها خمسة مقاعد وخلف الخمسة خمسة أخرى. مناضد صغيرة موزعة أمام المقاعد. يجلس ميشيما على المقعد الأوسط للمقاعد الثلاثة، ويجلس على يمينه فوكوزاوا وعلى يساره هيراواكا. بعد جلوسهم، القيادات الخمسة ومنهم القائد روسّو، يجلسون أمام الثلاثة وخلف كل منهم يجلس مساعده. جاواي في منتصف القيادات فهو أهم قائد في محاربي الساموراي. جاواي يجلس مختالًا بنفسه. متأنق متكلف في ملبسه وفي أسلوب حواره. وما يضايقه أكثر، أنه رغم أناقته واختياله بنفسه بوصفه قائدًا كبيرًا، فلن يكون في وسامة وأناقة ومركز ميشيما بن الشوجن؟!

خدم يأتون بمشروبات وفاكهة ويضعونها على المناضد وينصرفون. القائد جاواي يمد يده ويمسك بكأسه ويرفعها تحية لميشيما ورفيقيه. الكل يرفع كأسه ويشربون جرعة ويضعون الكؤوس. ميشيما يوجه حديثه لجاواي:

- لم نجد عددًا من محاربي الساموراي يقفون في فناء المعسكر تحية وتقديرًا لنا! ثم لم تأت أنت لتستقبلنا مع بقية القيادات! لماذا؟

جاواي في احترام مصطنع يجيب:

- توجد أمور أهم من الرسميات التي لا تفيد. عدد كبير من جنودنا يطاردون

عصابات النينجا، وعدد يقمع بعض الاضطرابات في المدينة، أما أنا، فاستقبالي لكم في قاعتنا هذه، شرف لي.

- حجج واهية يا جاواي ولا تكررها فنحن أبناء الشوجن، ويجب أن ننال تقديرًا من الكل واحترامًا. هل لك اعتراض يا جاواي؟

- لا. لكن أقصد أن أقول:

- اصمت. وإن تكررت فعلتك فستجد مني ردًا عاصفًا.

حاول جاواي أن يعقب، لكن ميشيما في رد حاسم قال:

- قلت اصمت.

صمت جاواي ونظرات ميشيما النارية مصوبة إلى عينيه مباشرة. ثم تابع ميشيما حديثه:

- علينا الآن مناقشة أحوال شعبنا الياباني الذي صار يشكو مُر الشكوى من تعنت وتجبر محاربي الساموراي وبعض قياداتهم.

النقاش يدور في جديّة. والقيادات توجه حديثها لميشيما ثم هيراواكا، ثم بعدهما فوكوزاوا. ميشيما يتكلم عن تعديات جنود الساموراي على بقية الناس، وتعاليهم عليهم. وأن الناس صاروا في ضيق من الساموراي وبدأوا يضيقون من الشوجن نفسه، لأنه القائد الأكبر للساموراي والمسئول عن البلد. أكمل فوكوزاوا وأكد أن على القيادات أن تزيد من الحزم والعزم على أتباعهم. فالعديد من مقاتلي الساموراي يتجبرون ويتعدون كثيرًا على الناس. ويجب تحجيمهم بقسوة، وإلا أفلتت أمورنا. الفوضى تزداد وعصابات قبائل الدايمو يزداد خطرها،

وبدأ الغير يقلدونها، بهذا ستعود اليابان للفوضى الخطيرة. تلك الفوضى التي أضعفت الإمبراطور سابقًا، وأدت لوجود الشوجن والساموراي. أخشى أن تتنامى الفوضى لتصل لما كانت عليه سابقًا، تلك الفوضى التي كانت سببًا في ظهور الشوجن الساموراي، ستكون هذه المرة سببًا لانهيار الشوجن الساموراي.

ثلاث من القيادات توافق على أن الناس في ضيق مما يحدث، وقائد يعارض ومن الواضح أنه تابع للقائد جاواي الذي أخذ زمام الحديث مخففًا من أثر تلك الأحداث، لكن ميشيما يقاطعه في حدّة:

- من أيام اغتصب قائد ساموراي امرأة بالقوة، بعد أن ضربها ضربًا مبرحًا. أهذا أمر بسيط؟ الساموراي معناه الخلق الكريم والقيم اليابانية السامية. تضيع القيم يضيع الساموراي فتضيع اليابان. أليس كذلك أيها القائد؟

أجاب القائد جاواي:

- إن كان هذا صحيحًا، وعرفنا الفاعل فلن نرحمه. لكن.. لماذا لا يكون من فعل هذا رجل عادي، وألقى اللوم على محارب ساموراي؟

صاح هيراواكا:

- من فعل هذا هو مساعدك ناوموري.

وقف ناوموري صائحًا في غضب، وهو ينظر في حقد وكراهية لهيراواكا:

- أنا مقاتل ساموراي ولست مغتصب نساء. أريد أن أرى من أبلغكم بهذا الكذب لأقتله شر قتلة.

صاح ميشيما في ناوموري:

- اجلس.

جلس ناوموري مرغمًا. وضح أن القيادات غير متفقة مع بعضها. فُتح موضوع مراكب الغرباء التي تجول حول جزر اليابان، وترغب في دخول موانئها للتجارة. القيادات كلها ترفض دخول مراكب الغرباء لموانئ اليابان، فهذا مبدأ واضح راسخ منذ الشوجن الأول يوريموتو. الوحيد فوكوزاوا مخالف للكل. يرى أن التعامل الحريص مع الغرباء هو الأفضل. فانحصار اليابان في نفسها خطأ. والاعتزاز المبالغ به بنفسها واحتقار الآخرين الغرباء خطأ أيضًا. فوكوزاوا شجاع قال رأيه رغم غضب ميشيما وغضب القيادات كلها. هيراواكا صامت يستمع للحوار. في النهاية تناولوا الغذاء في فناء المعسكر. طوال الوقت وناوموري في غضب يختلس نظرات كراهية لهيراواكا. والقائد جاواي محتفظ بابتسامته الباردة وقد قلل من اختياله بنفسه، بعد غضبة ميشيما عليه.

عاد الثلاثة للقصر. على خيولهم إن كانوا خلف بعضهم فميشيما يكون في أولهم. وحين يتسع الطريق ويكون الثلاثة على خط واحد، يكون هيراواكا في المنتصف والآخرون على جانبيه بعيدين عن بعضهما. ميشيما خلال العودة لم يتحدث مع فوكوزاوا ولا فوكوزاوا تحدث إليه. وفي القصر ذهبوا للشوجن سادا. في القاعة الكبرى لقصر الدلافين. يجلس الشوجن في الصدارة على مقعد يماثل العرش. وعلى جانبي القاعة لوحات مرسوم عليها مناظر طبيعية، خاصة خليج طوكيو، وجبل فوجي ومعبدًا ضخمًا لبوذا، ورسوم لأبطال ساموراي قدامى. الثلاثة يجلسون أرضًا أمامه. فوكوزاوا ثم ميشيما ثم هيراواكا. بعد أن أكدوا للشوجن أن قيادات الساموراي بينهم عدم توافق وإن ادعوا غير ذلك، فهم منقسمون. وبينوا خطورة القائد جاواي وتابعه الغليظ ناوموري، ثم دار حوار

غاضب بين ميشيما وفوكوزاوا. وكل منهما حاول استمالة الشوجن لرأيه في موضوع الغرباء. الشوجن في حزن قال:

- مشاحنتكما وسط قيادات الساموراي خطأ وقعتما فيه. أهم ما نستخلصه من لقائكم هذا، وضوح سريرة المختال بنفسه جاواي. كشفته نفسه الحمقاء. تعرف يا فوكوزاوا، أن الحكيم كاتسوتو الذي يعلمكم تاريخ بلادكم ويدرس البوذية والشنتو ونقل لكم أغوار حكمة كونفوشيوس، يبدو أنكم لم تستوعبوا حكمته. تصرفكم ضحل ليس فيه مكر الثعلب، وعليه عند اللزوم، بطش الدب لن يكون قويًا بما يكفي.

يصمت الشوجن سادا وينظر بعيدًا، ثم ينظر لفوكوزاوا ويوجه حديثه له خاصة:

- كاتسوتو يرفض التداخل مع الغرباء. وتعرف يا فوكوزاوا أن الساموراي أغلبهم الغالبة يكرهون الغرباء ويرفضونهم، ويعلمون أن والدك أيضًا كان من رأيه تقبل الغرباء، وها أنت متمسك برأيه هذا. لتعلما أنت وميشيما، من يوم صرت الشوجن وأنا في حيرة بين هذين الرأيين، هل أكسر مبدأ يوريموتو، وأسمح لمراكب الغرباء بدخول موانئ اليابان، أم أستمر على مبدأ يوريموتو وأرفض الغرباء؟ ثم تأتيان أنتما وكل منكما ينادي برأي. ميشيما، اسمع يا بني. وقت الشوجن الكبير يوريموتو غير وقتنا هذا. جاءتنا أخبار بأن الغرباء تقدموا كثيرًا، يصنعون ما لم نصنعه ويطورون أسلحة لم نسمع عنها. ومراكبهم أكبر وأخطر من مراكبنا؛ لهذا يجب أن نتعامل معهم لنرى ماذا لديهم ونستفيد منهم. من الخطأ أن نجعل جزرنا اليابانية خنادق مغلقة علينا. أنا منذ سنوات أفكر في هذا وأستشير من هم يعلمون. أكثرهم يرى أن نسمح للغرباء بالوصول لموانئنا

لنراهم، لنراقبهم ونفهمهم ونعرف كيف نتعامل معهم، وإن معهم خير استفدنا منه، وإن كانوا يحملون الشر نعرفه من بداياته ونستعد له.. فوكوزاوا، اسمع يا بني. رغم أن المستشارين الواعين أغلبهم مع وجهة نظري في التعامل مع الغرباء، إلا أنني أخشى على اليابان من الغرباء. هم غيرنا تمامًا شكلًا ولغة وعادات. بهم طمع يخيف وشراهة مرعبة. أنا قلق منهم، بل وأتشاءم منهم. ويمكن إن دخلوا وسطنا، أن يلوثوا طباعنا بطباعهم. ويسبقوا بشرهم قبل أن نستعد لهم. أنا في حيرة. وأيضًا أخاف أن أكون الشوجن الذي أخطأ فجلب شر الغرباء على اليابان. فوكوزاوا العزيز ابن أخي روكاكو العزيز العظيم. أنا في انفصام عقلي وقلبي معًا. أميل لمن.. لك أم لميشيما؟

سريعًا قال ميشيما:

- أيها الشوجن العظيم. دخول الغرباء معناه انتهاء الساموراي. فهل توافق على انتهاء زمن مقاتلي الساموراي؟ الساموراي أقوى وأمهر فرسان العالم. نحن أرباب السيف والرمح والقوس يا أيها الشوجن العظيم.

قال فوكوزاوا:

- أيها الشوجن العظيم. الساموراي فعلًا أقوى وأمهر فرسان العالم كما قال ميشيما، لكن الشعوب تتقدم أساسًا بالعقل والصناعات، لا بالمهارة في القتال. مهارة القتال بند من بنود التقدم وليس كل التقدم. العقل والصناعات هما أهم بند لدى الشعوب.

اعترض ميشيما:

- لا. بل القوة هي البند الأساسي. مستقبل الشعوب يتحدد في ميدان القتال. ألم نتعلم من الحكيم كاتسوتو أن اليابان هي الأصل وأن السيف هو القوة؟

صمت. ثم سأل الشوجن ابنه الثاني:

- ما رأيك يا هيراواكا؟

- أنا مقتنع بآراء ميشيما، رغم بعض الشكوك التي تساورني.

- يجب أن تستقر تمامًا على جانب، ساعدني بثباتك يا هيراواكا ولا تتهرب، حملي ثقيل وصدري يضيق يومًا بعد يوم، ورعبي من الأيام القادمة رعب يزلزل الجبال.

وقف ميشيما وتقدم خطوات من الشوجن:

- أبي. انتهاء زمن مقاتلي الساموراي، معناه انتهاء زمن الشوجن. أي انتهاء عائلتنا وعودة النبلاء المرفهين المخنثين ليتحكموا في الإمبراطور الضعيف وفي اليابان، فهل تريد ذلك لنا؟ دخول الغرباء، معناه ارتباك ميراثنا ودياناتنا وضياع تاريخنا وتلوثنا بملوثات الغرباء. يا أيها الشوجن العظيم، لا تستمع لفوكوزاوا، فهو يميل لآراء والده روكاكو الشاذة.

هنا وقف فوكوزاوا غاضبًا ليواجه ميشيما في تحدٍّ. الشوجن يصيح فيهما أن يجلسا. لكنهما لم يجلسا، بل يسمعا ما يقوله الشوجن وهما يتواجهان في نظرات غاضبة. قال الشوجن:

- ميشيما. لن أسمح لك بأن تتفوه بكلمة غير مناسبة تقولها عن أخي روكاكو العظيم. اجلسا. عاد فوكوزاوا خطوة للخلف، لكن ميشيما وهو ينظر غاضبًا

لفوكوزاوا قال في سخرية:

- فوكوزاوا. أنت رضعت من آياكا عشق طبقتها، طبقة النبلاء المخنثة.

قام فوكوزاوا مرة أخرى ليهاجم ميشيما، لولا هيراواكا الذي وقف حاجزًا بين الاثنين. الشوجن في حزن وضعف قال:

- كيف أحكم اليابان. كيف أسيطر على الساموراي وأنا لا أستطيع أن أسيطر على ابني فوكوزاوا وميشيما؟ لقد انتهيت. لقد انتهت مكانة الشوجن مما يلاقيه من قيادات محاربي الساموراي، ومن تعالي النبلاء، وأيضًا من شجارات أبنائي. أيها الشباب قصيرو النظر، ما يصلني من عيون المراقبة خطير. هل تعلمون أن للإمبراطور ابن قوي العزم طموح ومعه مجموعة مرافقين ليسوا بسطاء. إنه الابن الأوسط لديه، وهناك أفكار أن يكون هذا الشاب هو الإمبراطور القادم، وليس أخاه الأكبر. وهل تعلمون أن القائد الأحمق جاواي يراسل سرًا القائد الخطير ناجاهارو الرابض في جزيرة هوكايدو؟ هل تعلمون أن هذا الخبيث المتبجح ناجاهارو، يواصل التبجح باتهامي بالضعف؟ يتهم الشوجن سادا بالضعف! إنه يلقي عليّ مسئولية ضعف انضباط الساموراي وتراخيهم! وعليه يعرض ناجاهارو نفسه شوجن جديدًا كفؤًا قويًا بديلًا عن الشوجن سادا! ناجاهارو متبجح حقير.

قام الشوجن ليبتعد. فأسرع فوكوزاوا وميشيما ليركعا أمامه ويمسكا بيديه يقبلانها في أسف. وكلٌ منهما يعتذر ويؤكد أن ما حدث لن يتكرر. قال الشوجن في عتاب أب:

- أنتم الثلاثة لم تفهموا أنفسكم. أنتم شخص واحد انقسم ثلاثة. إن تفاهمت

ثلاثتكم تكون اليابان كما خلقتها الآلهة جزر فضية لؤلؤية. رمزها الإمبراطور سليل الآلهة، وسيفها ساموراي الشوجن. تقاتلوا ينفرط عقد الأرخبيل الياباني ليعود شتاتًا.

ابتعد الشوجن وتركهما، فوقفا ينظران لبعضهما في عتاب أخوي. وانضم لهما هيراواكا الحائر. لحظات قال ميشيما في وضوح:

- فوكوزاوا. ربما كما قال الشوجن العظيم، نحن في الحقيقة واحد. دم واحد أصل واحد. وأنت بالفعل بمنزلة أخ لي وصديق حميم. وأنا أقدّر لك بسالتك وسعة اطلاعك. وأقدّر والدك عمي روكاكو، لكن إن أصررت على تفكيرك الذي سيضعف عصر الشوجن والساموراي، فأنت عدو مُبين لي، وأنا عدو صارخ لك، بل أقول لك في وضوح. أنا مستعد تمامًا لمقاتلك بالسيف في سبيل بقاء الشوجن والساموراي. أفهمت؟

أجاب فوكوزاوا:

- فهمت. وفهمت مقولة عمي الشوجن العظيم التي لم تهتم بها. وأكمل وأقول.. وعليك أن تفهم أنتَ الآخر أنك أيضًا بمنزلة أخ لي وصديق. وأقدّر لك فروسيتك وغيرتك على اليابان، لكني لن أحيد عما أنا موقن منه، فأنا لست أقل حبًا لليابان منك، وإن كنت يا ابن عم مستعدًا تمامًا لمقاتلتي بالسيف، فأنا أيضًا مستعد. أفهمت؟

أبلغ الشوجن زوجته أستوكو بما كان بين فوكوزاوا وميشيما، فالكل يعلم كم تحب أستوكو فوكوزاوا وتعامله كابن لها، وكم يحبها فوكوزاوا. قالت أستوكو إنها ستقوم بالتقريب بينهما. طلبتهما عندها ومعهما هيراواكا. وقفوا ثلاثتهم

أمامها.لم تتحفظ كما يجب أن تفعل بصفتها زوجة الشوجن. مارست أمومتها كما ينبغي. فأخذت فوكوزاوا بالحضن ثم ميشيما، ثم أخذتهما معًا في حضنها هذا في يمينها وهذا في يسارها. همست لهما:

- فوكوزاوا ابني البكري، ثم ميشيما هو الثاني وهيراواكا الثالث. سمعت بالمشادة التي حدثت بين ابني فوكوزاوا وميشيما. أعلن لكما رغبتي. رغبة أم: ألا يقسو أحدكما على الآخر. أنتما عندي في منزلة واحدة. كل منكما عندي هو العضد لأخويه. فلا تتقاتلا. لا تتقاتلا. طوال حياتكما لا تنسيا رغبة أمكما هذه. وهيراواكا شاهد.

انهمرت دموع أستوكو وسحبت يديها من كتفي الاثنين لتداري وجهها. الدموع بللت كفيها، فاحتضنها الاثنان ووعداها بأن رغبتها ستنفذ.

الاستعداد للحفلة. حفلة من الحفلات التي تطلبها وتديرها آياكا، فرغم مرضها مازالت آياكا مصرّة على إقامة حفلات الموسيقى والغناء والمسرحيات التقليدية. مصرّة رغم المتاعب المالية المستمرة من سنوات. لا يستطيع معارضتها أحد، ولا حتى الشوجن نفسه. فالشوجن سادا مدين بحياته لزوجها روكاكو. روكاكو أخوه الأكبر الذي أنقذه مرات من القتل في هجوم النينجا الخطير. وآياكا هي أم فوكوزاوا. وهما معًا وصية روكاكو. الشوجن في طفولته وشبابه كان من الهائمين بالحفلات. الآن صار عجوزًا يميل للعزلة وينأى عن تلك الحفلات.

آكيكو أصرت أن تحضر صديقتها كونويتشي هذا الحفل، فسمحوا لكونويتشي أن تكون من ضمن الخادمات في الحفل. كونويتشي خبأت أن دورة النساء أتتها لأول مرة من يومين. كانت تتوقعها فتصرفت جيدًا. في الحفل عليها القيام

بأعمال النظافة في المطبخ، ونُبه عليها بألا تخرج من المطبخ فالحفل سيأتيه الكثيرون من خارج القصر، أمر بات.. لا تضعي الأزهار على شعرك خلال العمل. نحن نتركك تضعين الأزهار فقط وأنتِ تلهين مع آكيكو. كونويتشي وهي تعمل أخذت تتخيل ما يجرى في الحفل عن طريق ما تسمعه من غناء وموسيقى وبعض الأصوات العالية. نالت ضربتين على رأسها بسبب سرحانها. ونالت حسرة أنها لم تحضر هذا الحفل، فبدأت دواخلها في تحميل غضب إضافي، على غضب قديم تجرعته لما حدث لأمها وأهلها عمومًا. تساءلت في حنق.. لم أنا هنا وأكيكو وسط بنات من عائلات الساموراي الكبيرة، ومن عائلات النبلاء؟! لم أنا هنا في الخدمة الحقيرة وأنا لا أقل جمالًا عن آكيكو؟! وهي في ضيقها هذا يأتي رئيسها ويقول لها:

- كونويتشي. اسمعي. بناء على إلحاح من آكيكو، سيتم ترقيتك لتعملي خادمة ليلية في الطابق العلوي، فكوني نشطة أمينة، وإلا سيعيدونك للمطبخ.

كونويتشي تفرح وتقول:

- نعم. نعم. سأكون نشطة وأمينة. نعم. نعم.

يتركها رئيسها وكونويتشي في غاية السعادة وتتقافز فرحة.

الحفل تحييه فرقتان، فرقة من أرقى فناني طوكيو، وفرقة ثانية أقل رقيًا بمراحل لتقليل النفقات. موسيقى شجية غناء رائع ورقص مبهج، وتمثيل راقٍ. حضر الحفل كل عائلة الشوجن فيما عدا الشوجن نفسه، حضرت مبكرًا أستوكو زوجة الشوجن مع بنتيها وابنيها. وحضرت آياكا مع ابنها فوكوزاوا. وفي هذا الحفل فوكوزاوا ازداد قربًا من فتاة أعجبته من حفل سابق. فتاة من أكبر عائلات

النبلاء. جمعت بينهما أمه فتوافقا وتفاهما وتحابا. وفي هذا الحفل أيضًا جلست آياكا بجوار أستوكو وتحاورا سويًا في مودة. آياكا تركت ترفعها جانبًا، مرضها وعلمها بمدى حب أستوكو لابنها، خففا من تعاليها. مع توالي العروض المبهجة. فوكوزاوا قضى وقتًا بجوار ميشيما وهيراواكا. يستمعون معًا ويشاهدون معًا. في بعض الرقصات والغناء، فوكوزاوا وهيراواكا شاركا رقصًا وغناءً وسط المجاميع فأبدعا. ثم مع الجميع ضحكا بعمق وهما يريان آكيكو تفرض نفسها غناءً ورقصًا، ليس مع الحضور فقط، بل دخلت وسط الراقصين والمغنين. وشاركتهم فأربكتهم قليلًا وأسعدتهم كثيرًا عندما تبينوا إعجاب الحضور بما تفعله الطفلة المنطلقة الضاحكة، والتي تتصرف على سجيتها. الوحيد الذي منع نفسه من المشاركة في الغناء والرقص، وأمسك بنفسه حتى لا يضحك بعمق على أفاعيل أخته آكيكو، هو ميشيما.

حرس القصر بعضهم كان داخل المبنى، وداخل قاعة الحفل نفسها. هانزو يراجع الحرس في كل أنحاء القصر، فإذا بآكيكو تأتيه مسرعة وهي تمنع انطلاق ضحكها. يبتسم لها. لا تحادثه آكيكو. تأخذ بيده في جانب من القصر. هانزو يتبعها حائرًا. يفاجأ بتشيكو تنتظره. تشيكو جميلة وجسدها تضوع وصار شبه أنثوي. لكنها لم تتعد الرابعة عشر من عمرها! يصاب بحرج. تضحك آكيكو وتتركهما. آكيكو تعود مسرعة لقاعة الحفل. لا تسمع للأغاني. تبحث حتى تجد إخوتها فتذهب إليهم وتزيح أخاها هيراواكا قليلًا وتجلس بينه وبين فوكوزاوا. ميشيما اختفى من الحفل. ترك الحفل وترك القصر كله. وذهب ماشيًا يتجول في قمة الجبل. ينظر للخليج. ينظر بعيدًا عند قمة جبل فوجي فلا يراه. يحس به ويثق في وجوده. قصد في سيره أن يصل لصخرة أياياسو بطل قبائل التائيرا. هذا القائد الذي انتحر بالهاري كيري رغم أنه قائد باسل ذكي. وليس هو المتسبب

في هزيمة جيشه، إلا أنه تحمل المسئولية وانتحر بطريقة الأبطال الشرفاء الشجعان. ها هنا قبره وهذه الصخرة، محبوه جعلوها شاهد قبر عظيما لبطل عظيم.

كونويتشي كل ليلة تصعد للطابق العلوي، تنام شبه مستيقظة لتكون تحت إمرة أي مناد من عائلة الشوجن. تشيكو لم تحب كونويتشي، أحست بها منافسة لها في صداقة أختها آكيكو. الأم أستوكو وآياكا لم تعيراها انتباهًا ولم تبتسما لها مطلقًا، أما الشوجن فلم تقترب منه مطلقًا. شباب العائلة لا يلقون بالًا لكونويتشي. هيراواكا هو الأقرب لسن كونويتشي الصغيرة.

حكت لها آكيكو حبها لفوكوزاوا وإصرارها على الزواج منه، لكن كونويتشي لم تعجب الإعجاب الأكبر بفوكوزاوا، كونويتشي وقعت في حب هيراواكا من لحظة أن ابتسم لها سريعًا لمرة واحدة وهو تحت تأثير الخمر. صارت كونويتشي تحلم بهيراواكا حبيبًا خاصًا بها، عشيقًا خاصًا لها. بل زوجًا وأبًا لأبناء تلدهم منه. حياتها حياتان.. حياة واقعية بوصفها خادمة في قصر الدولفين، وحياة غرائبية ساحرة لذيذة كلما وجدت وقتًا للحلم، سواء أكانت أحلام ظهيرة أم أحلام ما قبل النوم. تحلم بحياتها الكاملة مع حبيب قلبها هيراواكا. هيراواكا الحبيب والعشيق والزوج الذي أنجب منها ثلاثة أبناء.. بنتين وولد.

زلازل وانحدار الساموراي

زلزالان في وقت متقارب ضربا جزيرتين من جزر أرخبيل اليابان، منهما جزيرة هونشو. الضحايا بالمئات والخسائر فادحة، خاصة في مدينة طوكيو ذات المباني الكبيرة. مع الكارثة والضيق من تراكم مآسي الفقر والغلاء الناري، حدثت في عموم البلاد اضطرابات خلخلت الأمن. العاملون الحرفيون والبائعون الجائلون، تجمعوا يلعنون الساموراي ومن يؤيدون الساموراي. والفلاحون ثاروا أيضًا، قمع الغلاء والزلازل، شوكة عصابات النينجا تتزايد وتقوى، وكما تهاجم الأغنياء ومنازل التجار الكبار، فهي تهاجم بيوت صغار الفلاحين ولا ترحمهم. خرجت قوات الساموراي من معسكراتها، وهاجمت من تجمعوا في الشوارع وفرقتهم ضربًا بالعصي.

في هذا التوقيت الصعب، مات الإمبراطور فتفاقمت الاضطرابات هنا وهناك كبدايات على ضيق الشعب من استمرار تردي الأحوال وانعدام الأمل في أي تحسن. مئات من الغاضبين انتفضوا هادرين إلى الساحات في المدن والقرى، ولعنوا الساموراي والشوجن، فخرجت مجاميع من محاربي الساموراي من معسكراتهم على خيولهم، وهجموا على المحتشدين وأعملوا فيهم طعنًا برماحهم وضربًا بسيوفهم، أسالوا الدماء بغزارة حتى أخمدوا الانتفاضات التي اشتعلت في الجزر اليابانية كلها، فأثبتوا للإمبراطور الجديد أنهم يمتلكون القوة والعزم ويستطيعون فرض النظام والطاعة على الشعب.

الإمبراطور الجديد فاجأ الشوجن والساموراي. لم يكن الابن الأكبر للإمبراطور الضعيف الذي مات، بل كان الابن الأوسط. الابن المعروف عنه المعارف الواسعة

والذكاء الماكر وقوة الشكيمة. اختاره أبوه لعلمه بأنه المناسب لهذا الوقت الحرج، وأنه المناسب ليسقط نظام الشوجن. وفهم الشوجن سادا الرسالة، فهمها هو وعائلته وكبار قياداته.

الإمبراطور الشاب، من أول كلمة قالها عندما تربع على عرش الإمبراطورية اليابانية، أعلن عدم موافقته على أسلوب أبيه الرخو، وأعلن عدم رضاه عن مستشاريه وبطانته، وبين بوضوح تصميمه على إنقاذ اليابان من خمولها، وإن لم يأت على لسانه أي كلمة عن الشوجن والساموراي. ومن أول أسبوع جلوسه على عرش اليابان، أبعد كل حاشية أبيه كبار السن، وأتى بعدد كبير من المستشارين الشباب كلهم من ذوي المعارف والتطلعات للمستقبل الياباني، بعضهم من أبناء النبلاء وبعضهم من أصول متواضعة. ووضع على رأسهم السياسي الأربعيني إندو. إندو الأريب الذي خالط الصين وكوريا، بل وخالط الغرباء وخَبَرَهم من دواخلهم؛ لذا جعله الإمبراطور مستشاره الأول.

الشوجن طلب قيادات الساموراي لعمل اجتماع في قصره، في المعسكر القريب من طوكيو. هدفه المعلن التصدي لعصابات قبائل الدايمو التي زادت خطورتها، والهدف المخفي كيفية التصدي للإمبراطور الشاب. وتجمعت القيادات كلها، قيادات جزيرة هونشو وبقية قيادات الجزر اليابانية الأخرى التي أتت بمراكبها. القيادات تعرف بعضها. بينهم صداقات وتفاهمات، جلسوا سويًا وتحاوروا وتهامسوا. القائد ناجاهارو المتبجح الآتي من جزيرة هوكايدو، هو الأبرز بين القيادات، بارز حتى على القائد جاواي الذي حين جلس بجواره، كان ناجاهارو يحادثه بابتسامة تعالٍ، وجاواي يبتسم له ابتسامة التزلف. وإن كانت مصالح الاثنين مشتركة في بداياتها، فهي مختلفة في نهاياتها، فكل منهما يريد

إزاحة الشوجن سادا، هذا ما كانا متفقين عليه، لكن كلًا منهما يريد انتزاع منصب الشوجن لنفسه! وهذا ما لم يكونا متفقين عليه. فإن نفذا معًا البداية، فسيتقاتلان في النهاية ويقتل أحدهما الآخر. وواضح أن المتبجح ناجاهارو أقوى بقواته من الأحمق جاواي.

خرجت القيادات معًا على الخيول مرتدين ملابس القتال. موكبهم استعراضي تتقدمهم الطبول ثم مجموعات من جنودهم يمشون شاكي السلاح على الجانبين. موكب عسكري يبين أن قوة الساموراي مازالت قوية لم تتزعزع.

عند باب قصر الدولفين. توقف الموكب. دخلوا جميعًا في فناء القصر. الجنود وضاربو الطبول بقوا في الفناء مع الحرس الذي استقبلهم. ومنهم من دخل مبنى الحرس ليستريح. إلى القاعة الكبرى بالطابق العلوي صعدت القيادات. عدد من الخدم يقفون بجوار الحوائط ينحنون ويشيرون للطريق حتى يصل الآتون للقاعة المقصودة.

الشوجن سادا رغم جلوسه على مقعد وثير يشبه العرش، ورغم ما يرتديه من ملبس حريري فاخر، ورغم الصبغات التي وُضِعَت على وجهه خاصة وجنتيه، فهزاله واضح وسحنة وجهه تبين تعب دواخله. ميشيما وفوكوزاوا يجلسان أرضًا على يمين الشوجن، وهيراواكا على يساره. وكل من يدخل القاعة من القيادات، يتجه ناحية الشوجن وينحني أمامه، فيجيب الشوجن بانحناء بسيط للرأس. من يحيي الشوجن يتخذ مكانًا على جانبي القاعة فيجلس على وسادة من الوسائد. أمام الجالسين موائد قصيرة عليها كؤوس وإناء كبير زجاجي به خمر الساكي، وأطباق فاكهة.

وقبل بدء الاجتماع، سمعوا صوت طبول. دخل أحد الحرس معلنًا أن مندوبي الإمبراطور أتوا. دخل القاعة ثلاثة من الشباب مستشاري الإمبراطور الجديد، يتقدمهم الأربعيني الداهية إندو. ملبسهم رغم فخامته، فهو لا يمت لملبس المقاتلين بصلة. لم يهمهم الغضب الذي طرأ على وجه الشوجن وابتسموا استخفافًا بوقوف ميشيما الغاضب من حضورهم. تقدموا ناحية الشوجن وانحنوا أمامه في برود. وقبل أن يتخذوا مكانًا تقدم منهم ميشيما كارهًا وصاح فيهم:

- أنتم. لم يدعكم الشوجن العظيم.

أجاب إندو باستهانة:

- نحن نمثل الإمبراطور. أرسلنا سيد جميع البلاد. لا نحتاج دعوة، فكل مكان في اليابان تابع لسيد اليابان الإمبراطور سليل آلهة الشمس، بما فيه هذا القصر.

حدث من ناجاهارو ما لم يكن يتوقعه الشوجن سادا وأتباعه. وقف ناجاهارو غاضبًا حتى أن المائدة التي أمامه اضطربت من احتكاكه بها وكادت الكؤوس تقع. تكلم ناجاهارو بشجاعة وقسوة موجهًا كلامه لإندو:

- اسمع. لا نصدق أن الإمبراطور يوافق على غلظتك وغرورك في حضور الشوجن العظيم سادا.

صاح عدد من القيادات تؤيد ناجاهارو وميشيما. أشار الشوجن لميشيما ولناجاهارو أن يهدآ ويجلسا. جلسا وميشيما ينظر نظرة رضاء وإعجاب لناجاهارو. وجلس وفد الإمبراطور مبتسمًا ليداروا الردود القاسية التي انهالت عليهم. بدأ الحوار ولم يقتربوا من الهدف الخفي، كيفية التصرف مع الإمبراطور

الذي أتى لإنهاء عهدهم. ومهما ارتفعت نبرة النقاش بين القيادات، لم يجرؤ أحد أن يرفع صوته وهو يخاطب الشوجن. ولم يستطع إندو أن يتكلم باستهانة مرة أخرى. والهيبة الثانية للجالسين كانت للقائد ناجاهارو. ناجاهارو انتزع المكانة الثانية بعد الشوجن، متخطيًا ميشيما وفوكوزاوا وهيراواكا. مندوبو الإمبراطور هم الذين بدءوا بالحوار وبينوا سوء حال البلاد. لم يستطع أحد الحضور أن ينكر أن أمور اليابان في تقهقر. وأن على الشوجن والساموراي أن يتصرفوا سريعًا. وعندما قال الثلاثة الآتون من قِبل الإمبراطور إن الناس تطالب بتدخل الإمبراطور الجديد، تعالت صيحات احتجاج. كل القيادات تدخله. ولما طالب الثلاثة بالموافقة على ما ينتويه الإمبراطور، من عقد صفقات مع الغرباء لجلب كميات من المحاصيل لإطعام الناس، اعترض الشوجن وأغلب قيادات الساموراي أكدوا أنهم قادرون على إصلاح الأمور، وأكثر القيادات حدّة في رفض تدخل الإمبراطور، وخاصة اعتراضًا على عقد صفات مع الغرباء كانا ميشيما وناجاهارو. لم يهتم إندو بالمعارضات، فإن كانت المعارضة له واضحة، فإن أكثر القيادات الموجودة يستمعون إليه راضين. فاجأ الجميع بالوقوف والتقدم ناحية مقعد الشوجن. انحنى للشوجن واستكمل حديثه وهو ينظر في عيني الشوجن. أكد أن قرار التعامل من عدمه في يد الإمبراطور، وأنه قرر السماح للغرباء بدخول موانئ البلاد. وقف ميشيما غاضبًا واتجه ناحية إندو ورفع إصبعه في وجهه محذرًا مهددًا وصاح فيه:

- لن يدخل الغرباء بلادنا. أفهمت؟

قال إندو في تحدٍّ:

- هل تعارض الإمبراطور؟ الإمبراطور هو جوهر اليابان. هل أنت ضد اليابان؟

- لن يدخل الغرباء بلادي ليلوثوها بآلهتهم الغريبة وعاداتهم البشعة.

- هل أنت الشوجن؟

- أنا ابنه.

في هذه اللحظة نهض ناجاهارو ووقف بجوار ميشيما مؤيدًا. بعد ناجاهارو، نهض عدد من القيادات وقوفًا في أماكنهم تأييدًا لميشيما ولناجاهارو. الأغلب بقوا في أماكنهم ساكنين. الشوجن وميشيما ينظران للواقفين والجالسين ليروا مدى التأييد لميشيما وللإمبراطور. أكثر القيادات جالسون في أماكنهم. لن يقفوا ليكونوا ضد الإمبراطور المقدس، خاصة أن الإمبراطور الشاب قد تقوى كثيرًا في شهوره الماضية.

إندو عاد لسؤال ميشيما في نبرة تحدٍ:

- أسألك للمرة الثانية والأخيرة. هل أنت الشوجن؟

- أنا من سيتولى المنصب. أنا الشوجن القادم.

- إذن فأنت لست الشوجن الآن.

صاح الشوجن سادا صيحة تَعِبة:

- ميشيما. اجلس.

عاد ميشيما لمكانه بظهره وهو يرمي متحديه بنظرات كارهة، وقد أمسك بمقبض سيفه بتهديد، فأجابه إندو بنظرة استهزاء.

انفض الاجتماع ولم يتم الاتفاق على شيء سوى الاعتراف صراحة بأن الأمور في تدهور، وباطنيًا الكل تأكد أن الشوجن ليس على ما يرام صحيًا، وأن قيادات الساموراي منقسمة أحزابًا داخلية، فقد صارت تكتلات متناحرة فيما بينها، وتأكد أن عدد من القيادات تميل لعودة الإمبراطور لتسيير أمور اليابان، فقدوا الثقة لوضوح تشرذم الساموراي ابتداء من القيادات حتى بسطاء المحاربين. ثلاثة منهم قالوها بوضوح.. لم نعد قادرين على إنقاذ البلاد، ورأيهم شبه المعلن أنه لا مناص من التعامل مع الغرباء، حسبما يريد الإمبراطور الجديد القوي.

اتضح أن الخطر الأكبر والأقرب على الشوجن سادا، ليس الإمبراطور الشاب، بل الخطر الأقرب هو القائد ناجاهارو. رغم موقف ناجاهارو المؤيد للشوجن ضد مندوبي القصر، فهو ضد القصر لكنه ليس مع الشوجن سادا. هو مع نفسه الطاووسية التي تريد أن تنتزع المنصب لنفسه، على أنه هو القوي القادر على استعادة مجد وهيبة الشوجن، أكثر من استعداد ميشيما لها. واتضح لناجاهارو وأتباعه أن القوة الصاعدة التي يمكن أن تقف أمام أطماعهم، هو ميشيما القوي، الذي ينوي أخذ الأمور بشدة حين يتولى منصب الشوجن بعد وفاة والده.

الشوجن سادا لياليه قلق وسهد. في ليلة اختفى فيها القمر تمامًا. وقف في شرفته ينظر لباب القصر ينتظر مرسال عيون المراقبة. انفتح الباب للضيف المعروف وصوله في مثل تلك الليلة من كل شهر. انفتح باب القصر ودخل المرسال على حصانه. هبط من ظهر حصانه وتركه للحرس. أخذ خطوات سريعة لمبنى القصر وصعد ليقابله الشوجن. ينحني المرسال ثم يعتدل. يسير خلف الشوجن ويدخلان حجرة ويغلقان الباب عليهما. يخرج المرسال الرسائل السرية فيقرأها الشوجن. يجلس على مائدة مجهزة بأدوات الكتابة. يكتب أوراقًا

والمراسل يقف ولا ينطق بكلمة. يضع الشوجن أوراقه في ظرف ويسلمه للمرسال الذي ينحني ويتناول الظرف ويخرج.

يعود الشوجن للسير في طرقات القصر. تفكيره في قرار يريد تنفيذه. هل يقوم به الآن أم بعد شهور؟ قراره أن يعتزل المنصب ويعين ابنه ميشيما على أن يفرض عليه عدم اتخاذ قرار مهم إلا بموافقة ابن عمه فوكوزاوا. هل سيوافق ميشيما على هذا الشرط؟ وإن وافق هل سينفذه ومعروف عدم توافق الاثنين خاصة في قضية التعامل مع الغرباء، وهذه القضية هي قضية اليابان الأساسية الآن؟ عدم معقولية الشرط مانع أول يصده عن قراره. المانع الثاني، التقاليد ألا تنازل من شوجن لآخر. فلا وراثة إلا بعد موت. وإن كسر هو هذا التقليد، فهل ستكون فرصة لناجاهارو لينهض وينقلب عليه مستغلًا هذه الفرصة؟ وميشيما حاد لا يلين ولا يتفاهم ولا يقدر على المواءمة. سيعارض الإمبراطور معارضة خشنة، خاصة في قضية التعامل مع الغرباء، كما أن ميشيما سيواجه انقسامات لقيادات الساموراي بفظاظة، هذا لن يكون في صالحه، ولا في صالح اليابان. وإن طلب من ميشيما أن يجعل العاقل ابن عمه فوكوزاوا مستشارًا يتقبل آراءه، سيرفض ميشيما وإن قبل هذا ظاهريًا، فهو وفوكوزاوا أخوة أعداء. إن قرار انسحابه وتعيين ابنه مكانه قرار حساس ولا يستطيع اتخاذه. زاد تشاؤمه واستفحل يأسه. حياته صارت عنده ليست ذات معنى. بينه وبين نفسه، يطلب الموت ليستريح من همومه وعذابات نفسه، وليتولى ميشيما المسئولية ويفعل ما يفعل وتفعل فيه الأيام ما تفعل.

ليالٍ طويلة مرت. ذات ليلة ترك الشوجن جناحه وأخذ يسير في ممرات الطابق العلوي. قلقه وتوتره على حال اليابان ومستقبلها، وعلى حال عائلته

ومستقبلها. يسمع صوت تصادم أخشاب. يفزع، لكن يصاحب الصوت ضحكات مرحة. يتجه لمصدر الصوت. قاعة تدريب المبارزة. هيراواكا يدرب آكيكو على المبارزة وكل منهما يمسك بسيف خشبي. آكيكو تحاول بكل قواها أن تجاري هيراواكا. تصيح صيحات قتالية طفولية فيضحك هيراواكا عليها. تشن آكيكو هجومًا مفاجئًا على هيراواكا الذي يتفاداها ويركلها بباطن قدمه في مؤخرتها، فتندفع وتكاد تصطدم في الحائط. تغتاظ آكيكو وهيراواكا يضحك عليها. تستعد للهجوم مرة ثانية. فجأة يريان الشوجن أبوهما ينظر إليهما في ضيق. ينحنيان له في احترام ووقار. يقفان ينظران لوجه أبيهما المتكدر. برهات والشوجن أبوهما لا ينطق. يحرك رأسه للجانبين رافضًا. قال لهيراواكا:

- لعبت مبارزة مع تشيكو، والآن مع آكيكو! أنت لا تشعر بما نحن فيه من ابتلاء.

حني هيراواكا رأسه وقال لأبيه:

- أشعر بكل شيء أيها الشوجن العظيم. فقط أحاول أن أقلل توتري وأرضي آكيكو.

يلتف الشوجن سادا ويعود من حيث أتى. آكيكو وهيراواكا يكتمان ضحكهما. ثم تلقي آكيكو بسيفها أرضًا وتسرع وتسير بجوار أبيها وهي تمسك بيده. ينظر لها أبوها الشوجن ويبتسم. بالقرب من جناح الشوجن كان ميشيما يقف منتظرًا والده. ميشيما نظر نظرة قوية لآكيكو ففهمت. قبلت يد أبيها وانسحبت. دخل الشوجن حجرته وخلفه ميشيما، جلسا حول طاولة. أفرغ الشوجن كأسين من الساكي وأعطى ابنه كأسًا وكأس لنفسه. شربا. قال ميشيما:

- أيها الشوجن العظيم. صحتك ليست كما كانت. وأنا خليفتك. لماذا لا تسمح

لي بالاستماع لمرسال عيون المراقبة وقراءة تقاريرها؟ أحتاج أن أعرف كل ما يحيق باليابان معك.

نظر له الشوجن في لوم وقال في صوت خافت لكنه حازم:

-معي اثنان من المستشارين هذا عملهما. ستعرفهما حين تكون الشوجن. تقاليدنا أن تلك التقارير لخطورتها لا يعلم بها سوى ثلاثة. الشوجن والمستشارين.

- أنا ابنك. أنا الشوجن القادم!

- مهما يكن. وأنت يا ميشيما حاد التصرفات.

- اسمح لي يا أبي أن أشرح لك...

- ميشيما يا بني. اختلطت عليك اليابان كما هي، واليابان التي تتخيلها.

- لا. أشرح لك...

- وربما ستستخدم تلك المعلومات في غير أهدافها.

- دعني أشرح لك...

قاطعه الشوجن:

- لا.

تداعيات العائلة

العائلة حول مائدة العشاء القصيرة. وكالعادة لم تنضم لهم آياكا المريضة. الكل يجلس على وسائد بسيطة. الشوجن سادا يتصدر المائدة. على يمينه زوجته أستوكو. يليها تشيكو ثم آكيكو. على يمين الشوجن فوكوزاوا ثم ميشيما ثم هيراواكا. الطعام فاخر خاصة تنويعات السمك وفواكهه البحر في تشكيلات الطبخ. الكل يأكل في هدوء ووقار. ينتظرون أن يبدأ الشوجن بالكلام. هذه الليلة الشوجن به حيرة زائدة. أحبت أستوكو أن تنثر مودة تزيح الحيرة. قالت:

- لتعلم يا شوجن اليابان أن ابنتك الصغيرة آكيكو لا تسمع أوامري ولا حتى أوامرك.

الشوجن ابتسم ابتسامة بسيطة، فابتسم الجميع مثله، فيما عدا آكيكو التي ادّعت الغضب وأجابت على أمها:

- الشوجن إن أمرني بعدم اللعب، لن ألعب. لكنه شوجن عظيم. سيأمرني أن أستمر في اللعب.

يحاول الأبناء أن يبتسموا، لكن الشوجن جامد الوجه. فترة ونطق الشوجن:

- فوكوزاوا. ميشيما. كبرتما وكان من المفترض أن تتزوجا. وأنا لم أحاول إجباركما. لكنكما زدتما في البطء. أحتاج إلى تزويجكما من بنات أكبر قيادات الساموراي، لنشدد التحكم في الساموراي الذين زاد عددهم وترهل تماسكهم. وكلما تحدثت معكما يقول كل منكما إنه سينتقي بنفسه، وإنه لم يجد بغيته بعد. تسللكما لحي الجيشا معروفة لدي. وما تفعلانه في الخفاء من أمور معروف لدي

أيضًا. والآن أختكما تشيكو تقول مثلما تقولان، ترفض ما عرضناه عليها من شباب أبناء قيادات الساموراي، بل وترفض شباب أبناء النبلاء. والأدهى أنها تريد أن تكون مقاتلة ساموراي! يبدو أنني على خطأ. من الأفضل أن أتصرف كما سبق وتصرف كل شوجن قبلي، يختار الزوجات والأزواج لأبنائه، والأبناء ينفذون. فوكوزاوا وصل للتاسعة عشرة من عمره. ميشيما للثامنة عشرة. سأختار لك منكما الفتاة المناسبة، وعليكما الموافقة صاغرين.

أجاب فوكوزاوا:

- عمي الشوجن العظيم. لقد استقررت على ما وافقتني عليه سيدتي أستوكو.

- تتوافق مع سيدتك أستوكو وتبلغها بما ترغب فيه، ولا تبلغني أنا!

- مشغولياتك كثيرة سيدي الشوجن العظيم.

- أنا الشوجن العظيم. أنا عمك.

- وقمت بمهام الأب حبًا ورعاية.

- الحكيم كاتسوتو أوصى بأن أزوجكم ثلاثتكم من بنات قيادات الساموراي، لنتقوى ببعض. لكن لا واحد منكم سيطيع توصية الحكيم. فأنتم حتى لن تطيعوا نصحي أنا في أمر الزواج. آآآه. فوكوزاوا:

- نعم أيها الشوجن العظيم.

- تلك الفتاة. أهي نفس الفتاة التي تتقابل معها، منذ الحفل الأخير لأقاربك النبلاء؟!

- نعم أيها الشوجن العظيم.

- طبعًا أمك السيدة آياكا دفعتك لذلك؟!

- أمي وافقت على من اخترتها أنا.

- آياكا تريد الاطمئنان أنك ستتزوج من النبلاء، ولا تقع في الزواج من فتاة من بنات قيادات الساموراي؟ لكن.. ما تختاره أنت وأمك المحترمة أنا موافق عليه.

- سيدي الشوجن العظيم. أمي تريد أن يتم زواجي سريعًا. أنت تعرف أنها صحيًا ليست على ما يرام.

- ليكن ما تريده السيدة آياكا المحترمة. ليكن ما تريده زوجة أخي روكاكو. زواجك يكون نهاية العام.

يتناولون الطعام في بطء وهدوء حتى تكلمت آكيكو في غضب طفولي:

- أبي وافقت على زواج ابن عمي فوكوزاوا من فتاة غريبة:

تشيكو حاولت منع آكيكو من الحديث، لكن آكيكو أبعدت كف أختها من أمام فمها واستمرت في الكلام:

- وأنت تعلم أنني أريد الزواج منه.

صمت متوتر. أستوكو ضحكت لتزيح التوتر وقالت:

- أفكار طفلة قاربت الثالثة عشرة من عمرها.

قال فوكوزاوا:

- آكيكو. ستكونين على الدوام من أحب الناس لدي. فأنتِ أخت لي وصديقتي العزيزة المشاغبة.

قالت آكيكو وهي في نفس غضبها:

- لكنك ستتزوج غيري!

الشوجن لم يبد عليه أي توتر. وجهه جامد. قال موجهًا اللوم لابنه ميشيما:

- وأنت يا ميشيما؟

أجاب ميشيما:

- سريعًا سأختار زوجة أيها الشوجن العظيم.

- اعلم يا ميشيما أني لن أسمح لك بالزواج من طبقة النبلاء. أمور اليابان تستدعي أن تتزوج فتاة من بنات قيادات الساموراي. أكثر من جد لنا فعل هذا فازداد ارتباطًا بعمق الساموراي. الساموراي هم عضدنا وأساسنا. أفهمت؟

- أيها الشوجن العظيم. تعلم مدى اعتزازي بالساموراي وبمجد وهيبة الساموراي. فلا يابان دون الساموراي.

- حقًّا.

- وتعلم أنني أبقى في معسكر مقاتلي الساموراي وأنام معهم وآكل معهم. وهم يحبونني كثيرًا.

- أعلم. وهذا جيدًا.

- واعلم سيدي الشوجن، أن حياتي هي الساموراي. لا ساموراي معناها لا ميشيما.

أستوكو ذهبت لحجرة آكيكو. وجدت عندها تشيكو. آكيكو تبكي وتشيكو تحايلها لتقنعها بأنها طفلة ولا تصلح للزواج من فوكوزاوا. آكيكو شاهدت أمها فقامت وأسرعت ترتمي في أحضانها باكية، وتصرح بأنها تحب فوكوزاوا وأنه الوحيد الذي يلعب معها ويقوم بالنزهة معها، وأن لا ميشيما ولا هيراواكا يفعلان ذلك. ومن اليوم التالي وفوكوزاوا دائمًا مع آكيكو يصالحها حتى رضيت بالتوقف عن البكاء، مستسلمة لما اختاره فوكوزاوا، وقد أقسم لها فوكوزاوا أنه لن يبتعد عنها، وسيذهب معها كالعادة في نزهات بالقارب.

العام الجديد. حفل زفاف فوكوزاوا من موموكا ابنة العائلة النبيلة الغنية. حفل الزفاف الكبير أخذ أسبوعًا بكامله. ظهر الشوجن وسط الزحام ليراه الجميع وهو يبدو في حال طيبة. ليلا نهارا احتفالات مستمرة. احتفالات متبادلة مرة في قصر عائلة موموكا، ومرة في قصر الدولفين. وأيضًا أبحرت مواكب مراكب في نهر سوميدا طوال الليالي السبع، وهي مزدانة بالفوانيس المضيئة بألوان زاهية. وعليها عازفون ومغنون وراقصون من الجنسين. وفي القصرين قامت فتيات الجيش مع رئيساتهن من السيدات بالغناء والرقص الراقي. وفي الليلة قبل الأخيرة في قصر الدولفين، أدت فرقة مشتركة من رجال ونساء عروض غناء ورقص، عده الحاضرون من النبلاء غير لائق، فالنساء اللاتي شاركن في الغناء والرقص لم يكن محتشمات مثل فرق فتيات الجيش الراقيات. كن أكثر تبرجًا وزدن من الغنج.

في تلك الحفلات التي أقيمت لزفاف فوكوزاوا، لم تتغير حياته هو فقط، بل تغيرت حياة ميشيما وهيراواكا أيضًا من حيث لم يحتسب أحد. الفرقة التي لم تكن بالرقي المطلوب، بطلتها الممثلة المغنية مایاغاوا التي نالت الإعجاب والاستياء معًا. مایاغاوا جمالها حسّي. بغنجها الزائد وإيحاءاتها الجنسية الفجّة، لفتت أنظار وشهوات الرجال وغيرة السيدات. مایاغاوا فنانة متوسطة القدرات، لكنها فاتنة الجسد رائعة ملامح الوجه، وخطورتها ليست في ذلك فقط، فهي موهبة في الدلال النسوي الموحي بالعطاء الجنسي. في بداية الثلاثينيات من عمرها، أي أنها تكبر ميشيما كثيرًا. لكن هذا لم يمنع سقوط ميشيما في عشقها. لفتت انتباهه وأشعلت جسده خلال تمثيلها وغنائها الغنجي، وكسرت السد الحديدي الضخم الذي يوقف تدفق دواخله المحرومة من الانطلاق. عينا ميشيما تركزتا على المرأة بحدّة، فأحست به مایاغاوا. تبينت الشاب الغض الجميل ذا المهابة الذي يتابعها بشغف، فبادلته النظرات الخاطفة فزادت ناره اشتعالًا. مایاغاوا بخبرتها تأكدت أنها ضمنت عاشقًا غنيًا إضافيًا سقط في حبائلها.

أما هيراواكا فكان ولهه مختلفًا تمامًا، ففي ليلة من ليالي العروض الفنية، تابع في قصر الدولفين عرض فرقة من فتيات الجيش. الفتيات ما بين جميلة وجميلة جدًا. تركز نظره وعقله على فتاة جميلة، وهي أمهر فتاة تعزف على آله وترية. الفتاة بالكاد وصلت لسن البلوغ. رقيقة حالمة تفيض طيبة، عرف اسمها.. ماتشي. وعرف أين مقر فرقتها، بعد انتهاء حفلات زفاف فوكوزاوا وموموكا ، أخذ يزور فرقتها في حي الجيشا. وأقام مع ماتشي العازفة قصة حب تليق بريعان شبابه ورقتها. وما جعله يسقط أكثر في حب ماتشي، أنه وجدها قارئة للشعر والحكايات اليابانية التراثية. أخذت حياة الأخوين ميشيما هيراواكا مسارًا جديدًا لم يكن في الحسبان. مر أسبوع زفاف فوكوزاوا وموموكا رائعًا. وفي

الأسبوع الذي يليه توفت آياكا بعد أن اطمأنت بزواج ابنها من طبقتها، طبقة النبلاء.

ليلة صيف رائعة. السماء صافية والقمر هلال خجل في بداية طفولته. هيراواكا في قارب صغير وحده. يجدف بالمجدافين في قوة وإصرار. شاب صغير قوي الجسد وملامحه الجميلة فرحة مستبشرة. القارب يسبح على سطح مياه نهر سوميدا. هيراواكا يعطي ظهره حيث مقدمة القارب الذي يتخطى أحياء طوكيو المنارة بالفوانيس الملونة. وكلما سخن جسده، يجدف بحماسة أشد وتشوق بالغ السخونة. القارب يعبر مناطق عديدة ويمر من تحت جسور خشبية أنيقة. حين سمع صوت الموسيقى الصاخبة، علم أنه داخل للحي الذي يتلهف عليه. حي الجيشا، حيث المراقص والحانات والمسارح، والمقاهي والمطاعم الشعبية، وفتيات الجيشا وبنات الهوى المحترفات. يحب كل هذا وكل هذا لا يهمه. فما يهمه هي ماتشي فتاة الجيشا الصغيرة، الجميلة البارعة في العزف والرقص والغناء، ماتشي التي سقط في حبها ولم يعد يطيق الابتعاد عنها. تعمل مع فتيات حرفتهن تسلية الزبائن بالفن والفن فقط. لا يبعن أجسادهن. من يريد أجساد النساء، يجد العديد من الملاهي المعبأة بالنساء الناضجات والفتيات اليانعات، وعملهن هو إتاحة أجسادهن لمن يريد، بشرط أن يدفع لهن بالفضة والذهب. وعشرات من تلك النسوة على استعداد لوهب أجسادهن لهيراواكا ولو دون مقابل، فهيراواكا وإن كان يافعًا لم يتخط السابعة عشر من عمره، فهو ابن الشوجن سادا! وشرف أن يمتطي ابن الشوجن أية منهن. لكن هيراواكا لا يريد أجسادهن. سبق له أن ضاجع الكثيرات منهن وأغدق عليهن من ماله، لكنه منذ شهور لا يبغي سوى تلك الفتاة.. ماتشي. ابتسامة من ماتشي أمتع بالنسبة له من مضاجعة أجساد بقية الإناث. قبلة سريعة من ماتشي، ولو نالها خطفًا من خدها،

ألذ عنده من حضن عميق، من امرأة أخرى وإن كانت تلك المرأة ضمت كل جمال نساء الأرض.

يميل بقاربه للضفة. يترك القارب للعاملين في المرسى. العاملون ينحنون له في احترام. يعرفون من هو. تعودوا أن يأتي دون أي حرس. ليس معه سوى سيفه وخنجره في نطاق حزام الكيمونو الأنيق وشجاعته في داخله تطمئنه. يعبر شوارع متسعة وشوارع ضيقة. وسط زحام الرواد المتنوعين في الهيئات والملابس والمكانة. يسير هيراواكا بخطوات سريعة. شبابه وفرحة معالم وجهه، يلفتون الأنظار إليه، خاصة النساء. الكثير يعرفونه، والقليل يعرفون أنه غارق في حب فتاة من فتيات الجيش. الكثير من مقاتلي الساموراي يتنقلون في هذا الحي. ملابسهم عادية لكن سيوفهم معلقة في أحزمة وسطهم.

وصل لبيت واسع من بيوت الجيش. البيت من أكبر وأجمل وأغلى بيوت الحي. من خارجه مدهون بالألوان الزاهية، وبابه فخم على جانبيه فانوسان كبيران ضوؤهما ساطع. رجل قوي يقف يستقبل الضيوف بحفاوة، لكن عضلاته تهدد بطريقة غير مباشرة كل من تسول له نفسه أن يتسبب في مشاكل. انحنى الرجل لهيراواكا. هيراواكا أخرج عملة معدنية من جيب سترته وأعطى الرجل الذي انحنى مرة أخرى راضيًا.

ممر منحنٍ. ثم قاعة واسعة جانب منها مفتوح على حديقة داخلية، يأتي منها هواء عليل يبعد الحرارة ويلطف المكان. القاعة مضاءة بفوانيس ملونة معلقة في السقف وفي الجدران، ومفروشة بحصر ناعمة، ومنثور عليها وسائد يجلس عليها رواد المكان مع الفتيات الجيش، ووسط كل مجموعة مائدة قصيرة، عليها قوارير وكؤوس الخمر، مع أطباق تحمل أنواعًا من الفواكه. ثلاثة من الساموراي

يجلسون معًا ومعهم ثلاث فتيات. لمحوا هيراواكا فحيوه بإشارات اليد ودعوه للانضمام إليهم، أجابهم بالتلويح والابتسام والاعتذار. ومضى يبحث عن مبتغاه.

على جانب تجلس امرأة أربعينية في ملابس بالغة الأناقة، وأمامها تجلس عدد من فتيات الجيش في ملابسهن التقليدية. كل النساء والفتيات اليانعات هنا من الجيش. كل منهن ترتدي كيمونو زاهي اللون ذا ياقة قرمزية مكسوة بالريش، تتدلى على ظهورهن. شعرهن مصفف ببراعة. ووجوههن مصبوغة بمساحيق واضحة البياض. فتاة منهن تشبك في شعرها باقة ورد حمراء بنفس لون الكيمونو الذي ترتديه. الفتاة الرقيقة تركز عينيها على باب الحجرة. لما رأته تضرج وجهها وبرقت عيناها بالفرحة. هبت واقفة وأسرعت ناحية هيراواكا وأمسكت بيديه ضاحكة. أخذها هيراواكا واقتربا من المرأة الأربعينية. انحنى لها فانحنت له. إنها جيون السيدة التي تدير تلك المجموعة من الفتيات وبينهن فتاته. جيون في الأربعينات من عمرها. كانت فتاة جيشا قديمة. عازفة قديرة على الآلات الوترية، وصوتها رائع. صادقت الكثير من أغنياء طوكيو وأحلى شبابها ورجالها. لم يكن اهتمامها أبدًا بجمع الأموال، بل بالمتعة مع من تختاره ويكون مستحقًا لحبها وعطاءاتها له. وهؤلاء الفتيات اليانعات هن تلميذات جيون. تحبهن ويحبونها. تراعيهن ويحترمونها تمامًا. انحنى لها هيراواكا فحنت رأسها تحية له. الفتيات سعدن بوصوله، جلس هيراواكا وجلست بجواره ماتشي. على المائدة طبق فاكهة فقط. تابع هيراواكا أحد العاملين في خدمة الزوار. أشار له فأتاه. طلب هيراواكا أنواعًا من الخمر المعتقة وأطباق طعام خفيف. يتناول هيراواكا كأسين من الساكي ولم يزد عنهما، حتى لا يفقد وعيه. هكذا تعلم من معلميه. لا تفقد عقلك حتى وأنت نائم. انشغل هيراواكا في الحوار مع فتاته ماتشي. ثم كلهم يستمعون لأغاني بعض فتيات الجيشان ويغنون معهن. شاهدوا

رقصهن وقامت الفتيات ورقصن ثم كل منهن ذهب مع من أرادها وأرادته. بقي هيراواكا مع ماتشي ومعهما جيون لفترة، ثم تركتهما جيون لتباشر عملها في إدارة المكان.

نظر هيراواكا للفتاة التي تنظر إليه بعشق. قال لها:

- حبيبتي ماتشي. من لقاء الأمس لليوم، اشتقت إليك وكنت أتلهف على لقائك.

- حبيبي هيراواكا. اشتياقي إليك أكثر. لا أستطيع أن أنام إلا وأنا أتصور أنك بجانبي.

ساعة زمن مرت وهما في هيام. حتى وقفت المرأة الأربعينية وصفقت بيدها. فأتت ناحيتها جميع الفتيات اللاتي كن يتسامرن مع الضيوف. أقبل عازفون على الآلات الوترية والمزمار والطبول الصغيرة. الضيوف أخذوا أماكنهم بجوار الجدران. اتخذت فرقة جيون ركنًا وبدءوا في العزف. الفتيات أخذن في الرقص الجماعي الرقيق. فتاة منهن انسحبت ووقفت وحدها وانهمكت في الغناء الحلو.

منتصف الليل. انصرف الرواد وبقي هيراواكا جالسًا مع ماتشي. أتت لهما الأربعينية وجلست معهما. قال لها هيراواكا:

- يسعدني وجودك معنا يا جيون.

- وأنا أسعد بحضورك يا هيراواكا.

- هل نتعشى سويًا؟

- حسبما تريد.

- هل أبقى للصباح؟

- لا. تعرف أن هذا غير مسموح به. وإلا ظن الناس أن بيتي بيت بنات الهوى. وبيتي مشهور بأنه بيت الجيش الراقية.

- أنا أحب ماتشي. وهي تحبني. أريد أن أقضي الليل معها. وستحتفظ بجسدها نقيًا.

- أعرف نبلك ورقيك. لكن اعذرني.

تناولوا العشاء. تناول هيراواكا عددًا من كؤوس خمر الساكي، يريد أن يهرب من شهوته الجسدية الحارقة تجاه ماتشي. أمسكت ماتشي بكف يده وهو يحاول تجرع المزيد من الساكي. وقبل أن ينصرف هيراواكا، احتضن ماتشي وقبلها فكادت تذوب في حضنه، أما هو فتمالك شهوته بصعوبة. تركها مرغمًا. وهو عائد في شوارع الحي الذي لا ينام، وإن كانت الحركة أقل مما كانت حين أتى في أول الليل. يسير يصفر سعيدًا بحبه لماشي. قابل فتيات الهوى مع روادهن، وبعضهن يسرن باحثات عن رجل متشوق لمتعة جسدية. العديد من فرسان الساموراي مع فتيات المتعة وهم في سكر واضح. من الملاهي تصدر أصوات المعازف وصيحات وضحك الناس لا يتوقف.

أخذ قاربه ومنح العامل منحة طيبة فاتسعت ابتسامة الرجل. في القارب السابح، الهواء المنعش تلاعب به. منتش حالم متشوق للمضاجعة ومحروم. يعود لأقرب مرسى من قصر الدولفين. ترك القارب لأصحابه. امتطى حصانه المنتظر له في حظيرة. عاد بالحصان للقصر. شاهده الحراس من فوق السور. لم يفتحوا له حتى ناداهم، فتأكدوا أنه هيراواكا ففتحوا له. حياهم بضحكة وبهز رأسه فانحنوا

له احترامًا وحبًا. يسير في الفناء سعيدًا. يتعمد الخوض في البركة وهو يغني بصوت خافت رافعًا ذراعيه بامتدادهما مناديًا:

- ماتشي. ماتشي.

تراقبه كونويتشي من الطابق العلوي. كونويتشي عليها أن تنام في إحدى حجرات الطابق العلوي المخصصة للخادمات. على أن يستجيبوا لمن يطلب منهم أداء أمر ما. لكنها لا تنام. تبقى ساهرة حتى يعود هيراواكا من سهراته.

كونويتشي تراقب هيراواكا يحتضن الهواء ويقبل ما يتخيله حبيبته ماتشي. ودون مبالاة يدخل سائرًا في البحيرة، ويخرج منها ضاحكًا غير آبه بابتلال ملابسه. ثلاثة من الحرس يبتسمون من حالته. وعند باب مبنى القصر الحارسان ينحنيان له. ينظر لهما في مودة. يربت على كتفيهما ويدخل. يصعد لحجرته. وجد نفس الخادمة الصغيرة تنتظره وتنظر إليه في حب عميق. الخادمة تقارب السادسة عشر من عمرها. جميلة فعلًا، ربما تزيد جمالًا جسديًا عن ماتشي. تنحني له وهي تفتح باب حجرته المنزلق. فانوس وحيد يضيء الحجرة. هيراواكا ينظر لها في دهشة. هي تنظر إليه في حب واضح. يسألها:

- من أنتِ؟

- أنا كونويتشي الخادمة الجديدة. أنا علي السهر ليلًا لتلبية أي طلب.

- آه. أنتِ جميلة.

تبتسم فرحة. لكنه يغضبها وهو يقول:

- لكن ليس في الكون من هي أجمل من حبيبتي ماتشي. ليس في النساء من

تمتلك شفتي حبيبتي ماتشي.

يدخل هيراواكا لحجرته. تدخل خلفه. ينظر لها في اندهاش. يجلس على فرشته ثم يستلقي على ظهره وهو ينظر إليها. يغلبه النوم. كونويتشي تخفت ضوء المصباح. تنضو عنها ملابسها وتندس معه في الفراش. تحتضنه وتقبله فيحس بها ويتجاوب.

وفي الفجر تنهض كونويتشي عارية وتأتي بملابسها. يستيقظ هيراواكا وينظر لها في حيرة. فتاة صغيرة ثدياها صغيران، لكن عانتها واضحة. إنها أنثى. يعتدل في فراشه ويسألها في دهشة:

- من أنت؟ ماذا تفعلين هنا؟ ولماذا أنتِ عارية؟ أجيبي.

كونويتشي تبتسم له في رضاء وهي تستكمل ارتداء ملابسها:

- قلت لك، أنا الخادمة الجديدة.

- ولماذا أنت هنا ولماذا كنت عارية؟ هل.. هل كنتِ معي في الفراش؟

- نعم.

- وهل.. هل ضاجعتك؟ آآآ!.. هل فعلًا..؟

- مرتين. ودمي على فراشك.

قفز هيراواكا ليقف ويزيح الملاءة جانبًا ناظرًا للفراش. نقاط دم. نظر للخادمة غاضبًا. ثم أدرك عريه. انحنى والتقط الملاءة وداري بها نفسه. صاح فيها:

- أيتها الحقيرة. انتهزت فرصة أني ثمل وفعلت بي هذا؟

- لا. أنا فقط أحبك. لا أريد منك أي شيء. حبك فقط ما أريده.

- حقيرة. أنا هيراواكا بن الشوجن العظيم سادا. أنتِ مجرد خادمة. كيف سمحت لنفسك أن تضاجعيني؟

- سيدي. أنا أحبك. لا أريد منك أي شيء. اسمح لي أن أكون معك ليالٍ قليلة وسأرحل من القصر كله. بل من الجزيرة كلها. لن تراني بعد ذلك، فقط أحمل منك طفلًا يكون مثلك.

- اخرجي من هنا. اخرجي أيتها الحقيرة ولا أريد أن أراك مرة ثانية.

وفي نفس النهار، أمر هيراواكا بأن تترك تلك الخادمة العمل في الطابق العلوي. فعلمت الخادمة المسئولة أن تلك الخادمة الصغيرة قد أخطأت في شيء، أي شيء، لكن لم يدر بخلدها أبدًا أن تكون قد ضاجعت سيدها.

نسي هيراواكا ما كان بينه وبين الخادمة. نسيها تمامًا فكل عقله وقلبه وجسده مع ماتشي. ولما وجعه جسده طالبًا نكاح الإناث. تذكر الخادمة الصغيرة الجميلة. لكنه أنَفَ أن يسأل عنها. وتكبر أن يعلن أنه يحتاج لأنثى يضاجعها، كيف يكون محتاجًا لأمر ولا يحظى به بسهولة وهو هيراواكا بن سادا الشوجن العظيم. فاضطر حين يذهب لحي الجيشا، أن يذهب مبكرًا لينال جسد فتاة جميلة ثم يمر على الملهى الذي تعمل فيه من تحبه ويحبها.

طالبها بأن تعلمه بكل أمورها، فدعته ماتشي لزيارة بيتها، دعته وهي متأكدة أنه سيرفض، فهي فقيرة في حي فقير وهو ابن الشوجن نزيل قصر الدولفين.

فاجأها وأذهلها قبول هيراواكا لدعوتها! أكد أنه سيزور عائلتها ويبدي لهم احترامه.

ميشيما لم يكن بطيء الحركة مثل هيراواكا، ولم تكن من عشقها بطيئة الخطوات وجدانية حالمة مثل ماتشي الفتاة التي أحبها هيراواكا. كما لم تكن فقيرة. الثنائي ميشيما والمرأة وافرة الجسد جريئة النظرات، مایاغاوا، من الليلة الأولى التي وصل ميشيما لمبنى عملها. استقبلته بنظرات ترحيب ساخنة، ورفضت كل الرجال المشتعلين رغبة فيها، والآملين أن يقضوا ليلتهم في أحضانها. تركتهم ولم تخش من غضب أي منهم. ليس لأن رجلين ضخمين يقفان على مقربة، وعلى استعداد لتأديب أي رجل يحاول التقرب من مایاغاوا رغمًا عنها، بل هذه الليلة الكل في خوف ورهبة من قدوم المقاتل الساموراي الشاب ميشيما الذي جاء متمنطقًا بسيفيه. ميشيما ابن الشوجن سادا.

طلبت مایاغاوا إحضار كل ما لذ وطاب من طعام وشراب، ووضعته على مائدة متطرفة خُصصت لها ولميشيما. ولم تتركه في تلك الليلة إلا لتقوم وتتوسط فرقة العازفين والراقصات، فتؤدي وصلتها في الغناء والتمثيل، والغناء الفحيحي (الشهواني) الذي تتمكن منه فتشعل أجساد الرجال. ثم عادت إليه. وقبل الفجر كانت معه في فراشها في نفس الملهى. حجرتها واسعة جدرانها تحوي رسومات لقاء الرجال والنساء وهم في أحضان ساخنة. منها ما هو يجسد نكاحًا واضحًا بين امرأة ورجل. ولوحة لامرأة نصفها السفلي عار وهي فوق رجل مثلها نصفه السفلي عارٍ. ولوحة ضفدعين يتناكحان في مستنقع. ولوحة مترعة بالجنس الغريب، اللوحة تبين إخطبوط بأذرعه الثمانية، يداعب امرأة عارية في أماكنها الحميمة. والمرأة في حالة نشوة عارمة. وغيرها.

وسرير مایاغاوا مثل بقية الناس. فرشة لينة مطروحة أرضًا، الفرق البسيط أن الفرشة عريضة بشكل واضح. وفي تلك الليلة وعلى هذه الفرشة اللينة العريضة، تجرع ميشيما الجنس كما لم يعرفه من قبل، فقد طارا معًا على خيط من خيوط تلك الفرشة. مضاجعة فيها من المناجاة والليونة والخشونة بل والصدام من ناحية مایاغاوا. الفرشة صارت مبللة بالعرق. استرخى على ظهره ناظرًا للسقف ولا يرى السقف ولا غيره. فقط يشعر بيد مایاغاوا تداعب شعره. قال لنفسه ولها:

- كنت محاصرًا نفسي، جاءت امرأة تجمع نساء الدنيا في نفسها لتحررني من نفسي. يا نفسي إن حياة البشر قصيرة، لكني أود أن أحيا إلى الأبد. أريد أن أنسى بلاء الغرباء ملوني العيون. أريد أن أعيش بلا هواجس بلا هلاوس. لكن كيف؟ حياتي مخلوقة لأكون ميشيما ابن سادا. ابن الشوجن. محول تاريخ أرخبيل اليابان من الرضوخ للسمو. أريد أن أعيش في الأبد.

اقترح ميشيما على مایاغاوا أن يذهبا سويًا لزيارة جبل فوجي، خاصة أن الوقت وقت صيف. وافقت مایاغاوا فرحة وأعدت كل ما سيحتاجانه من مأكل ومشرب ولم تنس ما ستفرشه تحتهما. في الصباح الباكر قبل أن تشتد الشمس ذهبا على حصانين. لم يحس أي منهما بالتعب، رغم أنهما قضيا أغلب الليل في خضم التلاحم الجنسي.

اقتربا من الجبل. ضخم عظيم متين راسخ. قمته ثلجية. إنه جبل اليابان المقدس. دخلا الغابة التي تحت الجبل. معبد قديم. تركا الحصانين ودخلا وقدما الاحترام للرهبان، وقدما التحية للآلهة ثم عادا للحصانين واستمرا في طريقهما. وصلا للبحيرة الأقرب لهما. هبطا من ظهر الحصانين وأنزلا حاجياتهما وتركا الحصانين يأكلان من العشب الوافر. فرشت مایاغاوا ملاءة نظيفة وتناولا

إفطارًا ملائمًا وشربا عصائر. وحدهما على مدى البصر. سيسبحان. خلعا ملابسهما سريعًا وأسرعا للبحيرة وغطسا فيها واستحما ولعبا وضحكا، ثم عادا لفرشتهما وتضاجعا وتصاعدت تأوهاتهما للجبل. والشمس تغيب، ميشيما تمدد على ظهره ورأسه مرتاحة على فخذ مایاغاوا. تكلم عن نفسه. قال ما لم يقله حتى لنفسه.. بين كيف أنه في أزمة تزلزله. أزمة بقاء اليابان الساموراي، لا اليابان المتغربة بالغرباء. بقاء الشوجن والمحاربين أرباب السيف والرمح والقوس. تحدث عن قلق أبيه الشوجن وحيرته بين ما يقوله هو ميشيما وبين ما يقوله ابن عمه فوكوزاوا. حكي أنه من صغره زار كل معابد اليابان المتواجدة في جزيرته هونشو. وكل المعابد الكبرى في بقية أرخبيل اليابان. بين مؤكدًا أن اليابان الساموراي هي حياته، ودون الساموراي الموت أفضل له. فإن عاش وتم دحر الساموراي، فمعيشته واهية. معيشته انتهت. تماسك ميشيما وأفاق لنفسه، لقد قال ما لم يقله لا لأمه ولا لأخيه هيراواكا ولا بالطبع لابن عمه الصديق اللدود فوكوزاوا.

يعود ميشيما للقصر وهو نشط متطلع للحياة، خاصة بعدما وافقته مایاغاوا، ألا تدع رجلًا غيره يقترب منها، فتركت عملها مؤقتًا. يعود للقصر متزنًا عادي المظهر وقد كبت سعادته ومتعته ونشوته بعشيقته مایاغاوا. تراه أمه وتحس بدواخله الراقصة فتقول:

- علّ عشيقته التي تكبره سنًا وخبرة، تعيده من عالمه الذي يتخيله، لواقع الحياة.

وينقضي النهار ويقبل المساء فيرحل ميشيما عائدًا لمایاغاوا. يقضي ليلته معها، وفي نهار اليوم التالي، ذهبا وزارا تمثال بوذا الكبير المصنوع من النحاس والقصدير، الذي كان يزوره كثيرًا الشوجن الأول يوريموتو. وبقيا طويلًا في

المعبد المجاور له. يبتهلون للآلهة أن تحفظ اليابان وتنجيها من أزمتها، ويقويها ضد مراكب الغرباء التي تحوم كالنسور لتنهش جسد اليابان.

نهارات وليالي ميشيما تذوق فيها تنويعات لقاءات جنسية عديدة. ولم تقلق عليه أمه ولا أبوه الشوجن أن يكون قد حدث له أمر حادث خطير، لكنهما مع بقية العائلة قلقهما أن ميشيما نائم في أحضان غانية خطيرة. فعيون الشوجن أبلغوه بحقيقة تلك المرأة مایاغاوا، وأنها لا يهمها في الدنيا سوى النكاح والنكاح ثم المال والمال. أما كَوْنَ ابنهما يضاجع امرأة، فلا قلق.

ليلة انقلبت متع ميشيما مع مایاغاوا إلى صدمة زلزال. زلزال ضربه تزامنًا مع إعصار لا يرحم. مستلق على ظهره ومایاغاوا على جانبها تنظر له. تداعب شعره وتتحاور معه حوار العاشقين. ميشيما سرح عقله. سألته في ماذا؟ فقال في كارثة الغرباء التي تقترب منّا. ضحكت ضحكة سريعة خفيفة وأراحت نفسها مستلقية على ظهرها. مال ميشيما برأسه ونظر لجانب وجهها الذي سرح في خيال شاعري. سألها:

- أتعجب، لماذا لا يصاب اليابانيون بالهلع من الغرباء. حبيبتي مایاغاوا.. ألا تقلقين من حضور الغرباء؟ ألا تجزعين أن يأتي يومًا هنا ليأكلوا ويسكروا ويشتهونكن؟

اتسعت ابتسامة مایاغاوا وقالت في هيام:

- أحيانًا أحلم بأحد المحاربين الغرباء، طويل عريض الكتفين أزرق العينين. يتعرى وأتعرى. يحتضنني فأكاد أختنق برحابة جسده وأتنسم رائحته الجديدة عليّ. آآآه. ثُرى يا ميشيما، كيف ستكون مضاجعتنا؟ أكيد سنعطي أنغامًا جديدة.

رقصات جديدة. رياحًا وأمطارًا جديدة.

أحست مایاغاوا بالحُمم الكلامية التي أطلقتها، حين اعتدل ميشيما وجلس ناظرًا لها في هلع وانطلق من عينيه برقًا ورعدًا أفزعاها. ميشيما هبّ واقفًا ناظرًا إليها وهي ممدده. نظراته نارية. هذا ميشيما آخر. هذا ميشيما مرعب. انكمشت في نفسها ودون أن تقصد امتدت كفاها لتغطي عورة ما بين فخذيها. ميشيما قال في كلمات هادئة منذرة بالويل:

- ماذا تقولين؟

أرادت مایاغاوا أن تجلس، لم تستطع الحركة تحت استبداد نظرات ميشيما. تلجلجت قليلًا ثم قالت:

- أنا أداعبك؟

ميشيما يضرب بقبضتيه على جانبي رأسه وهو يسير بخطوات سريعة واسعة في أرجاء الغرفة. عاد إليها وقد هدأت حدّة صوته كثيرًا وهي تحمل من اللوم والغضب كثيرًا:

- قلت ما تشتهينه؟ قلت ما ترغبين فيه مع الغرباء؟ ما بالكم يا أهل اليابان ما بالكم؟! ترغبون في الغرباء كلكم؟ نساء وتجار وأغنياء وفقراء وإمبراطور؟

انقضت ساعات ومایاغاوا تحاول إرضاء ميشيما، بإقناعه بأنها كانت تداعبه. فمثل أنه اقتنع لأنه لا يريد ولا يستطيع فقدان مایاغاوا، وهي ابتسمت سعيدة تمثل أنها اقتنعت بأنه اقتنع، لأنها لا تريد ولا تستطيع فقدان ميشيما.

بعد أيام يعود ميشيما للقصر. لم يعد كما كان يعود من لياليه مع مایاغاوا.

ليس متزنًا يخبئ سعادته ومتعته ونشوته التي عاشها مع عشيقته. حزن أضيف لأحزانه السابقة. مایاغاوا جرحته ولم يصدق أعذارها وإن قال إنه صدقها ونسي ما حكته عن حلمها بأحضان الرجال الغرباء. ومایاغاوا أدركت أنه لن يعود، وإن قال إنه صدق أعذارها وغفر لها. الاثنان ادعيا غير ما ينويان. والاثنان يعلمان حقيقة أن جزيرة غرباء قد قفزت بينهما لتفصلهما عن بعضهما.

هيراواكا يعود للقصر نصف مخمور، وأحيانًا أكثر من نصف مخمور. بعد ليالٍ عدّة صعد هيراواكا لحجرته والسكر مؤثر فيه. وجد نفس الخادمة التي سبق وقد طردها، وجدها وقد تسللت ودخلت حجرته تنتظره في فراشه. هبت واقفة حين دخل. صاح فيها هيراواكا:

- أنتِ مرة أخرى.

هجم عليها وحاول صفعها لكنها تفادت صفعته. حاول مرة ثانية وثالثة. تفلت منه برشاقة. ركلها فركل الهواء. نظر إليها في حيرة. قال:

- ماذا تظنين نفسك، محاربة ساموراي؟ كيف تتفادين ضرباتي؟ هل لأنني تجرعت عددًا من كؤوس الساكي؟

اقترب منها سريعًا وصفعها، فلم تتفاداه وتلقت الصفعة. صاح فيها:

- اخرجي.

قالت دامعة:

- اتركني أكون معك هذه الليلة. هذه الليلة فقط. لا تستكبر عليّ لأنك ابن الشوجن العظيم، وأنا مجرد خادمة فقيرة. هذه الليلة فقط. هيراواكا يشبع

جنسيًا من فتيات المتعة ولم يعد في حاجة لجسد خادمة قليلة الشأن. صاح فيها مصرًا:

- اخرجي.

نظرت إليه كونويتشي نظرة غير نظراتها السابقة. نظرة حادة ثاقبة هزته وأطاحت بالخمر من رأسه. التفت كونويتشي وخرجت ولم يرها بعدها إلا مرة واحدة كانت الفاصلة.

الشوجن سادا وزوجته أستوكو جالسين أرضًا ويجلس أمامهما ابنها ميشيما. ميشيما في خضوع لوالديه. الأم تنظر له في حب يحوي لومًا. والأب الشوجن ينظر إليه في لوم يحوي حبًا. قال الشوجن:

- ميشيما. يا من ستكون الشوجن سريعًا. لا ألومك على عشقك لتلك المرأة التي تكبرك في العمر كثيرًا. فقط أطلب منك أن تعيد التفكير في أمورك. آمل أن تعود لنا، لدنيانا.

ميشيما يهز رأسه لأسفل عدّة مرات طاعة لأبيه. لكن وجهه يشي بأنه لا يفهم ما يريده منه أبيه. فترة صمت فيقول الشوجن لابنه ميشيما:

- الإمبراطور طلب أن أترك له الحكيم العجوز كاتسوتو.

وجه ميشيما أصابه الاضطراب. استمر الشوجن في الكلام:

- ربما لأنه يعلم أن الحكيم ضد الغرباء. فأراد أن يبعده عنك.

- وهل أنا أسبب لهم إزعاجًا؟

- أنت الشوجن القريب. رغم أنهم لا يعلمون ما أعلمه أنا من خفاياك.

- أبي. وهل لي خفايا عنك أيها الشوجن العظيم؟

- نعم.

حاولت أستوكو أن تتدخل فأشار لها الشوجن أن تصمت. وقال وهو ينظر نظرة لوم لميشيما:

- عيوني المراقبة تتابع جلساتك السرية، خاصة مع وهيراواكا وهانزو والقائد روسّو. أنت تستعد لما بعد وفاتي بما تظنه خيرًا للبلاد، ودون أن تتفهم وجهات النظر التي تعارضك. أنت تعد لمنع وصول الغرباء. ميشيما. أنا لي عيون في قصر الإمبراطور. لتعلم أن الإمبراطور ومستشاريه وكبار التجار يقتربون من تنفيذ رأيهم في التعامل مع الغرباء.

- تطور خطير.

- الأخطر القيادات الساموراي أغلبهم أحبوا فتوة وعقل الإمبراطور الجديد.

- هذا واضح من زمن؛ لذلك كنت أعد العدّة لنمنع هذا.

- دون أن تبلغني؟

- كنت..

- أنا الشوجن سادا. تحاول التآمر وتظن أن الشوجن لن يعرف؟ أتظن أن عينيّ لن تلتقطا أفعالك الخفية؟

اضطراب ميشيما يتزايد. تدخل عليهما آكيكو في هدوء. لا تثبت أزهارًا على شعرها. تنحني لهما ثم تقبل رأس أبيها ورأس أمها. أستوكو تأخذها فرصة وتحتضن ابنتها وتحاول الضحك المصطنع، وهي تداعب الزهور المثبتة في شعر ابنتها. ثم تختلس نظرات لوم لابنها ميشيما. الشوجن ينظر لميشيما ويشير له بالانصراف. يقف ميشيما ويأخذ خطوات منصرفًا، لكن يباغته صوت أبيه قائلًا:

- ميشيما. لقد عددت لك من تتقابل معهم سرًا، فهل نسيت أن أذكر اسمًا مهمًا؟

توقف ميشيما ودون أن يلتفت قال مؤمنًا على تساؤل أبيه الماكر:

- نعم أيها الشوجن العظيم. تناسيت اسم الحكيم كاتسوتو. فهو كبيرنا.

ينصرف ميشيما خجلًا والشوجن يتابعه حتى يختفي، ثم ينظر لابنته آكيكو حائرًا لائمًا، ثم يخاطب أستوكو:

- هم رجال. فماذا أفعل مع بناتي؟ ها هي آكيكو تكبر وتخمد ضحكاتها التي كانت، لكنها ترفض الزواج!

تضحك آكيكو وتنحني للأمام وتمسك بيد أبيها وتقبل ظاهر يده وباطنها ثم تعود لمكانها مبتسمة. أمها تضحك رغمًا عنها. يقول الشوجن لآكيكو:

- وأنتِ طفلة، كنت أرغب في صفعك ولو مرة واحدة لتهدئي، لكني لم بكل أسف لم أفعل. الآن صرت عاقلة، ولم يكن أحد يتوقع هدوءك هذا.

تضحك آكيكو. يستمر الشوجن:

- آكيكو، لقد صرت فتاة. الآن أنتِ تخطيت الرابعة عشرة، وستدخلين عامك

الخامس عشر. عليّ أن أزوجك سريعًا. لكن.. لكن كيف وأنا لا أستطيع تزويج أختك الأكبر تشيكو. عرضت عليها أكثر من شاب من أبناء النبلاء وقيادات الساموراي، وهي ترفض!

أستوكو تربت على فخذ زوجها ويدور الحوار بينها وبينه:

- تشيكو تتعذب بسبب تشوه وجهها.

- لكنها جميلة. رغم التشوه جميلة. ثم.. ثم إنها ابنتي. ابنة الشوجن.

- نحن نعلم ذلك، لكنها شابة صغيرة وموجوعة من تلك الوحمة الثقيلة.

- سأعرض عليها شبابًا آخرين، ربما توافق على واحد منهم.

تدخلت آكيكو في الحوار بجرأة:

- أبي. أيها الشوجن العظيم. لا تعرض على أختي تشيكو أحدًا. فهي تريد الزواج من هانزو.

الشوجن ينظر إلى آكيكو مندهشًا ثم غاضبًا. يلتفت لزوجته فتبعد وجهها عنه. يقول الشوجن:

- ماذا؟! تشيكو ابنتي تتزوج من رئيس الحرس؟ إنه يكاد أن يكون ساموراي عاديًا! إنه ليس قائدًا كبيرًا ولا حتى قائدًا متوسطًا! كيف؟ وأنت يا أمها تعلمين ذلك وتدارينه عني؟ كيف؟ إن لم أكن أباها، فأنا الشوجن يا أستوكو.

تجيبه آكيكو:

- أبي. أستوكو ليس لها دخل. تشيكو تريد هانزو، وهانزو يبتعد عنها لأنه يعلم ما قلته الآن.. أنه من طبقة عاملة فقيرة. لكنه إن وافقت أنت أيها الشوجن العظيم. ستسعد ابنتك تشيكو المعذبة بوحمتها. وافق يا أبي على إرادة ابنتك. وافق لتسعدها.

فوكوزاوا حياته مستقرة. ميشيما حياته صارت فوضوية ليلًا جادة نهارًا. هيراواكا في المنتصف دائمًا، لا هذا لا ذاك. ثم كان زواج تشيكو من هانزو. يسعد هانزو بتشيكو. وتشيكو سعادتها بهانزو أضعافًا مضاعفة. وكأن هانزو أنساها تلك الوحمة المعيبة، وبالتالي مسح تأثيراتها المؤلمة التي كانت تصل لقلبها وعقلها. رفض هانزو أن يترك مكانه، سيستمر قائدًا لحرس القصر. بقي متمسكًا بها وهذا ما أرضى الشوجن منه أكثر وأكثر. ولم يتعال هانزو على جنوده. اهتمامه بالتدريب وبلياقته القتالية كما هي، وزاد منها. وبدخوله في عائلة الشوجن، يحضر مع زوجته الحفلات الصغيرة التي يأتي لها في القصر فرق العزف والغناء والتمثيل. وتفرح به تشيكو وهو يجلس مع أخويها ميشيما وهيراواكا وابن عمها فوكوزاوا. لقد صار قائد الحرس فردًا من عائلة الشوجن. أنجبت تشيكو من هانزو ابنتها الأولى، لم تعد الوحمة على جبهتها تذلها، بل صارت علامة لا أكثر ولا أقل.

آكيكو التي أحبت فوكوزاوا حبًا طفوليًا وأصرت على الزواج منه، ثم تفهمت وهدأت ونسيت. عادت بعد دخولها سنوات الأنوثة المبكرة، عادت لعشقها الأولي. عادت لعشق فوكوزاوا بإلحاح قلبها الذي غلب رفضها العقلي. لم تكن تريد هذا العشق الكاسح. قاومته بإصرار فكان العشق أكثر إصرارًا وأقوى من حاجز المنع. لم يعرف أحد أن عشقها هذا هو سبب هدوئها الظاهري، وأنه سبب كسرتها وضياع مرحها المشهود وظرفها المبهج. عاصفة وجدان هبت واستولت

على قلبها. عاصفة الحب لم تهتم ولم تفهم أن فوكوزاوا يحب زوجته موموكا وموموكا تحبه. والعاصفة الوجدانية لا تراعي أن فوكوزاوا أنجب من زوجته موموكا ابنًا، وأطلقوا عليه اسم يوشين. إنه العشق الذي لا يسمع ولا يرى ولا يراعي أي مسئوليات ولا يأبه بأي خطوب يمكن أن يسببه.

لم تعد آكيكو طفلة، ولن يقبل منها أحد هذا العشق المرفوض. لم تعد طفلة وسئلام ولن يتفهم أحد أنها مُجبرة على العشق، مسيرة في طريق هاوية تدري بها ولا تمتلك إيقاف نفسها. تعلم تمامًا استحالة حصولها على فوكوزاوا، تعلم عار لحظة أن يعلم الغير بعشقها. توقن أن فوكوزاوا لن يحيد عن حبه لها كأخت فقط لا غير. ما بين عاصفة بداخلها مندفعة، وعقل يعلم العاقبة ويدرك المصير، سقطت آكيكو في بئر الحزن.

آكيكو رفضت الزواج بحسم. رفضت كل عرض وكل شاب حاول بوسامته ومكانته أن يغروها به. لم يستطع أبوها الشوجن سادا أن يؤثر فيها بأوامره، ولا بخصامه لها ولا بتهديده. أمها أستوكو تعبت من إلحاحها على ابنتها لتوافق على الزواج. والكل لاحظ التغير الواضح في آكيكو. وجهها فقد تورده. عيناها المشرقتان لم تعودا وضاءتين كعهدهما. لم تعد ضحكاتها ترفرف في أجواء القصر لتسعد العائلة والخدم والحراس. وجهها باكٍ وإن لم تبك. بئر الحزن يشع في ملامحها وينضح من أسى عينيها. تحتاج آكيكو وجود صديقتها كونويتشي لتصرح لها بآلام عشقها المستحيل. لكن كونويتشي اختفت تمامًا. اختفت في غموض. بغياب كونويتشي لم تفكر آكيكو في الفضفضة مع أختها تشيكو. تشيكو صارت على مبعدة عنها، تشيكو هائمة بزوجها هانزو وتخلصها من عبوديتها للوحمة، تشيكو غائصة مع احتياجات طفلتها الأولى. فقط سألت مرتين عن

سبب شحوب وحزن أختها آكيكو، ثم نسيت الأمر. أخواها لاهيان عنها أيضًا. ميشيما غارق عشقًا في بائعة الهوى مایاغاوا. وهيراواكا سابح في العشق الحالم بماتشي الملائكية، لم يهتم أحد منهما بآكيكو إلا بسؤالها مرة والاستفسار من أمهما مرتين. الذي لاحظ هذا والتفت إليها بجدية وإصرار كان فوكوزاوا! فاختلى بها أكثر من مرة. ربت على شعرها وسألها.. لماذا امتنعت عن تثبيت الأزهار في شعرك الجميل؟ ابتسمت ابتسامة حزينة. يحاول معها أن تحكي له ما بها. فلا يجد منها سوى الدموع المنهمرة. لا يعلم أنه آتاها مداويًا وهو أساس الداء.

الفجر تلصص وغبش نور باهت لم يستطع بعد أن يزيح الظلام. ميشيما خرج من ملهى مایاغاوا. تأثير متع الليل تخيم عليه. يسير خطوات متمهلة ويرفع يديه جانبًا يريد احتضان دنياه. لم ير القاتل الذي يسرع إلى ظهره حاملًا سيفًا ليطعنه به. خلف القاتل أسرع اثنان ليلحقا به، ولما وجدا أنهما لن يصلا إليه قبل أن يطعن ميشيما، توقف أحدهما وأطلق على القاتل خنجرًا أصابه في ظهره فتأوه واضطرب فتوقف عن العدو ومال جذعه للأمام. سمع ميشيما تأوه القاتل والتفت وهو يشهر سيفه في لحظه. وقبل أن يفكر ضرب بسيفه ظهر القاتل فأسقطه قتيلًا على الأرض ثم استعد لمبارزة الاثنين المقبلين، لكنه وجدهما ينحنيان له. إنهما من حرس قصر الدولفين في ملابس عادية. قالا إنهما مكلفان بحراسته من أيام بأمر من الشوجن، لعلم الشوجن بأن خطرًا يمكن أن يصيب ولديه ميشيما وهيراواكا. صاح ميشيما:

- هيراواكا في خطر.

قال أحد الاثنين:

- يوجد اثنان منا يحرسان هيراواكا دون أن يشعر بهما.

أسرع ميشيما في شارع طوكيو والنهار ينبلج. الاثنان يسرعان خلفه. مقصدهما الملهى الذي يرتاده هيراواكا ليقابل ماتشي. وقبل الملهى وجدا نفس ما حدث مع ميشيما قد حدث مع هيراواكا. قاتل ملقى أرضًا على وجهه وخنجر في ظهره، وضربة من سيف هيراواكا المسلول.

صدمة هيراواكا وانتقامه

قرار الشوجن سادا. أنه قبل عودة الشتاء، تنطلق عدّة مراكب من أسطول الشوجن لتتخطى خليج طوكيو وتدخل المحيط. وقيادة تلك الرحلة مسئولية الاثنين معًا ميشيما وهيراواكا. عليهما الإبحار إلى جزيرة كيوشو الواقعة في أقصى الجنوب. والحجة هي توطيد العلاقات بين الشوجن وبين قيادات الجزيرة. وتنبيههم للبوادر الخبيثة للقائد المتبجح ناجاهارو. وأن عليهم الاستعداد لإرسال قوات تقف بجانب قوات الشوجن، إن تفجرت الحرب مع الشوجن، وأيضًا يعرضان سوء أحوال الناس عامة، وعليه ضرورة تخفيض المخصصات المالية للقيادات والمحاربين على السواء، مثلما سيتم تخفيض مخصصات الشوجن نفسه.

ميشيما وهيراواكا مع فصيلة من محاربي الساموراي، ارتحلوا لينفذوا المهام التي كلفهم بها الشوجن سادا. هما يعلمان أن تلك المهام المعلنة، ليست هي وحدها سبب تلك الرحلة، بل يوجد سبب خفي، هو إبعاد ميشيما عن العاهرة مایاغاوا، وإبعاد هيراواكا عن فتاة الجيش، التي ربما يفكر في الزواج منها.

ولما قاربت المراكب فم خليج طوكيو حيث تلاقي الخليج مع المحيط، نفذ ميشيما رغبته واتبعه هيراواكا. ورغم البرودة اللاسعة، خلعا ملابسهما وقفزا في المياه. سبحا معًا ودارا حول المراكب والمحاربون يهتفون لهما يشجعانهما على استكمال دورة سباحة ليست بالهينة. يسبحان في مكان دارت فيه موقعة معركة دان نو أورا، وانتصر فيهما جدهما العظيم الشوجن الأول يوريموتو. وعند استكمال الدائرة الواسعة، توقفا بالقرب من مركبهما، وهما يتنفسان بقوة

وينظران لبعضهما في ثقة واعتداد. التف ميشيما حول نفسه ثم عاد لمواجهة أخيه وقال:

- في هذا المكان التاريخي، كنت أتمنى أن نقابل سربًا من الدلافين.

في نفس يوم السباحة، ومركبهما يمخر في المحيط، جلسا بعد تناول العشاء في قمرتهما يتناولان الساكي. ميشيما في حالة نشوة وجدانية. لحظات شعر فيها بقربه الشديد من أخيه الصغير هيراواكا، ولما تناول الكأس الثالثة بدأ يتدفق في الحديث عن نفسه. ومع توالي الكؤوس وضح حلمه الذي يصبو إليه. حلمه الذي يعمل لتحقيقه سأل أخاه هيراواكا:

- هيراواكا. يا أخي الحبيب. يا زميل جماعة الدرع، أخي الحبيب الذي يعضدني أمام أفكار فوكوزاوا الخائبة. اسمع. أين تذهب بعد أن تموت؟ ها؟ ليست عندك إجابة فأنت لا تتوغل في القراءة مثلي ومثل فوكوزاوا. سأل بوذا من حوله يومًا.. عندما تنطفئ النار، أين تذهب؟ تختفي. أليس كذلك؟ وهكذا الإنسان بعد موته. يختفي. أسمعت يا هيراواكا؟ حياة البشر قصيرة. هيراواكا. أنت وأنا وفوكوزاوا نموت فنختفي. هكذا ببساطة! لكن بوذا حي. ولماذا بوذا حي؟ بوذا حي برصيد عظيم من أفعاله وأقواله. نعم. حي برصيد عظيم من أفعاله وأقواله. أفعال وأقوال حفرها ولوّنها في حياته ببراعة. أنا سأموت وأنت ستموت وفوكوزاوا سيموت وأمي وأبي الشوجن سادا سيموت مهما طال به العمر. إذن، من سيبقى منّا بعد موته؟ ولا أحد. هيراواكا أيها الأخ الحبيب. اسمع. الناس العاديون بعد موتهم، سيتذكرهم أبناؤهم وأخواتهم وأصدقائهم لمدة عام مثلًا أو أكثر. ربما من لهم أثر سيتذكرونهم عشرة أعوام؟ لنقل عشرين ثم لا شيء. يختفون. الشوجن العظيم يوريموتو مات من عشرات السنين ومازالت

سيرته باقية. لكن بعد عشر سنين أخرى، ستزول ذكرى يوريموتو! لأن ما قاله وما فعله في حياته، ليس بعظمة بوذا أو كونفوشيوس. هيراواكا أيها الحبيب. اسمع مني ما يشقيني ويحفزني. أنا لن أكون يومًا ما حكيمًا ربانيًا مثل بوذا وكونفوشيوس، لكن قدراتي أن أكون أكثر عظمة من يوريموتو، بل أكثر عظمة من هيديوشي العظيم مثلًا. هيديوشي أحد أبطال تاريخنا الياباني. سأكون أفضل من هيديوشي لأن هيديوشي قبيح الشكل وأنا جميل. هو كان من الفقراء وسرق ونهب الفقراء! هو قتل غدرًا قبل أن ينال العظمة بخبثه. أنا من أرقى العائلات ولم أسرق ولم أنهب ولم أقتل غدرًا ولست بالخبيث. أنا ميشيما النبيل؛ لذا سأكون أنا أعظم وأنقى من هيديوشي. والشعب الياباني سيتذكرني، وسأبقى في ذكراه مابقي أرخبيل الجزر اليابانية الذي خلقه رمح الآلهة الفضي.

ومن تأثير الخمر القوي وحالته الهائمة نام ميشيما في مكانه. وضع هيراواكا غطاءً عليه وتركه للصباح. وفي الصباح قال ميشيما لهيراواكا:

- هيراواكا. عليك أن تنسى ما قلته لك مساء أمس.

لم يمر أول أسبوع من رحيل ميشيما وهيراواكا، إلا وذهب ناوموري مع رفقته من محاربي الساموراي الثلاثة، إلى حي الجيش ودخلوا الملهى الذي تغني فيه ماتشي حبيبة هيراواكا. ناوموري يريد الانتقام من هيراواكا في حبيبته ماتشي. ضرب بعرض الحائط أوامر قائده جاواي بألا يرتكب أي اندفاع يتسبب في مشاكل مع الشوجن سادا وولديه وابن أخيه. وفي ملهى ماتشي. جلس حول نفس المائدة التي تديرها جيون. أتباعه الثلاثة معه. ضايقوا الفتيات ولم يعطوا أي احترام لجيون. طلبوا زجاجات الخمر. ناوموري جالس بجوار ماتشي عن قصد. حاول احتضانها وتقبيلها. أبعدته فزعة منه وضيقًا ببهيميته. ناوموري

يضحك هازئًا ويلقي بالنكات البذيئة فلا يضحك عليها سوى الثلاثة التابعين له. فجأة قام ناوموري وحمل ماتشي على ذراعيه واتجه بها لحجرة جانبية. ماتشي تسبه وتصفعه وهو يضحك ومستمر في السير بها، ولم يعبأ برجاءات جيون وتأكيدها أن فتياتها لسن من العاهرات. جذبته ماتشي من أذنه وعضته في خده بقوة. أسقطها من بين يديه فأخذته معها لأسفل، ماتشي مازالت أسنانها متشبثة بخد ناوموري. أرضًا لكمها ناوموري في جنبها فصرخت وتركت خده الدامي. قامت ماتشي لتهرب منه. أمسكها من الكيمونو وجذبها ناحيته بقسوة ثم لكمها بغل فأطاح بها لتصطدم بالحائط وتسقط أرضًا صامتة جاحظة العينين وسريعًا تنساب الدماء من رأسها، وقطرات حمراء من أنفها.

شاهد كل من بداخل بيت الجيشا ما كان. ولم يفتح أحدهم فمه بكلمة. جيون وفتياتها صرخن وأحطن بجسد ماتشي، لكن ماتشي ماتت وصارت جثة. جيون لعنت ناوموري وأكدت أنها لن تهدأ حتى تأخذ بثأر ماتشي، وأن هيراواكا حين يعود لطوكيو لن يترك ثأر ماتشي أيضًا. بعد ليلتين وجدوا جيون ميتة ورائحة الخمر في فمها وزجاجات خمر فارغة حولها. ماتت مخمورة. هربت كل زميلات ماتشي من البيت قبل أن يحدث لهن ما حدث لجيون.

القائد جاواي صفع ناوموري عدّة صفعات ونعته بالمتهور الأبله. ما فعله ناوموري فعله دون أمر ولا حتى موافقة من جاواي. والاثنان وأتباع القائد جاواي انتظروا وصول هيراواكا، أما بقية قيادات الساموراي، فهم صاروا في غالبهم ضد جاواي ومساعده الغليظ الأبله ناوموري.

ميشيما وهيراواكا عادا من رحلتهما. هبطا في ساحل الخليج وقد بدأت أمطار خفيفة والبرد يتقوى. وفي قصر الدولفين ليلًا اجتمعا في القاعة الكبرى. الشوجن

سادا على مقعده الفخم يجلس في أبهته وسموه. يجلس على الوسائد فوكوزاوا وسياجو. ميشيما وهيراواكا دخلا وانحنيا أمام الشوجن وانحنيا أمام بقية الحضور وتلقوا منهم انحناءات رد الاحترام باحترام. جلسا وقبل أن يتكلما، تأكدا أن حدثًا جللًا حدث خلال فترة غيابهما. وكان الخبر بالغ السوء. فوكوزاوا في حزن بالغ، وخشية على هيراواكا، صرّح بخبر مقتل ماتشي، والقاتل هو الغليظ ناوموري.

فترة ليستوعب هيراواكا ما سمعه. قام وسار وحده في طرقات القصر يحادث نفسه. ثم يحادث طيف ماتشي التي تجيبه وتؤكد له أنها تنتظره. ثم استوعب أنها ماتت مقتولة. انطلق إلى ممرات القصر يدوي صيحات المكلوم، فاختلطت صيحاته برعد السماء وبرقها وهطول الأمطار بشدة. ميشيما يجاوره في سيره وعدوه محاولًا تهدئته. يعود هيراواكا عدوًا للقاعة التي بها الشوجن ومن معه وخلفه ميشيما. يهجم هيراواكا على فوكوزاوا ويمسك بتلابيبه صائحًا فيه كيف يترك القاتل ناوموري حيًا وكيف يترك سيده جاواي حيًا. ميشيما يفك يد هيراواكا من تلابيب فوكوزاوا. فوكوزاوا يشرح أن ناوموري ينفي أنه قام بهذه الفعلة، وقائده جاواي يؤكد أن مساعده برئ. أما الساموراي الثلاثة الذين كانوا مع ناوموري، فقد اختفوا. وقائد من ضمن القيادات الكبيرة منضم لجاواي، فكان علينا أن ننتظر قليلًا لنجد حلًا في كل قلاقل اليابان.

هيراواكا وهو يتحرك في القاعة هنا وهناك ويركل الجدران فيكسر أخشابها، يقسم أنه لن ينتظر حتى يتم حل كل قلاقل اليابان، بل سيقتل ناوموري حتى لو لم يوافقه أبوه الشوجن نفسه. الوجوم على الوجوه. هيراواكا قال قولًا بائسًا يائسًا يهين سادا الشوجن والأب. لحظات وأحس هيراواكا بما قاله. تقدم من أبيه

وركع أمام مقعده ثم سجد يقبل الأرض ويعتذر. في سجوده جسده ينتفض في بكاء مر. الشوجن هبط من مقعده وربت على رأس ابنه ملطفًا من آلامه. وكان القرار أن يتم اجتماع في معسكر الساموراي، ليبلغ ميشيما وهيراواكا بما عرفاه في جزيرة كيوشو. وعلى هيراواكا أن يتمالك نفسه أيام قليلة، وبعدها سيكون الانتقام من جميع المناوئين للشوجن. صمت هيراواكا وكأنه اقتنع.

على صهوات خيولهم، ميشيما وفوكوزاوا وهيراواكا دخلوا فناء المعسكر وخلفهم عدد من حرس القصر. كلهم في ملابس القتال. الخوذة المعدنية على الرأس، وصديرية جلد وشرائح معدن. والنصف السفلي يغطيه مئزر جلدي وأيضًا شرائح المعدن. القيادات المصطفة أمامهم للترحيب، مصطفة في ملابس القتال وفي احترام. هبطوا من صهوات خيولهم. الفناء واسع. الثلاثة ومسافة مفتوحة أمامهم ثم صفوف القيادات. الكبار الأربع وخلفهم مساعدوهم الأربعة. وأيضًا مئات من المحاربين المصطفين صفوفًا على أجناب المعسكر. سحنة هيراواكا تبين ما انتواه. ميشيما متأكد أن أخاه لن ينتظر حسب قرار الشوجن في اجتماعهم الأخير. ومتأكد أن الشوجن نفسه يعلم أن ابنه لن ينتظر. ميشيما قلق على أخيه، فهذه أول مبارزة حقيقية يدخلها. مبارزة ضد ساموراي دموي. مبارزة إما قاتل وإما قتيل. قال له ميشيما:

- ناوموري أثقل منك وزنًا وأكبر سنًا. لا تبارزه تصادميًا. ناوره واستنفذه ثم اقتله.

تقدم هيراواكا في خطوات سريعة، ولما اقترب من القيادات، تبينت القيادات ملامح هيراواكا التي تغلي ببراكين الانتقام. وقف هيراواكا أمام القائد جاواي وخلفه يقف الغليظ ناوموري. هيراواكا ينظر في غيظ لجاواي، ثم تقدم ودفع

متعمدًا كتف جاواي وصار أمام ناوموري. صفع نااووري صفعة قوية وعاد بظهره ليدفع جاواي مرة أخرى في استهانة. وعلى بعد خطوات صاح هيراواكا:

- أيها الخنزير ناوموري. قتلت فتاة لا تملك مقاومة حقارتك. الآن عليك أن تأتي أمامي لأقتلك شر قتلة.

قال هذا وأشهر سيفه الكبير. أمسك مقبض السيف بكفيه ورفعه جانبًا عاليًا، وثني ركبتيه منتظرًا تقدم ناوموري. ناوموري الذي كان في ذل الصفعة والسباب. ابتسم راضيًا، فالذي يتحداه فتى غض. فتى لم يصل لعمر السابعة عشرة بعد! تقدم ناوموري وتخطى قائده ثم التفت إليه يطلب الإذن بالقتال. هز جاواي رأسه موافقًا. فالتفت ناوموري مبتسمًا لهيراواكا ابتسامة ثقة.

كلٌ منهما مشهر سيفه قابض عليه بكفيه. يتحركان في دوائر وكل منهما ينظر في عيني خصمه ليخيفه. ناوموري ثقته في نفسه متينة. وكذلك هيراواكا الذي لم ينتظر هجوم ناوموري. هاجمه هو تصادميًا غير عابئ بنصيحة ميشيما. يضرب ثلاث ضربات سريعة ليصدها خصمه ويتلقى ضربة واحدة في عنفها تساوي عنف ضرباته الثلاث فيصدها بصعوبة. هيراواكا سريع وناوموري ضرباته أشد وأخطر. الكل حابس أنفاسه حتى محاربي الساموراي البعيدين نسبيًا عن المتقاتلين. أغلبهم قلوبهم مع هيراواكا، لكن عقولهم مع ناوموري الذي سينتصر لقوته وقوة ضرباته. فنون القتال تظهر في حركات هيراواكا السريعة. ناوموري بدأت ثقته في نفسه تهتز. يركز أكثر عسى أن يجد ثغرة في خصمه. وجدها، لكن خصمه الماهر هو الذي فتح تلك الثغرة، ليرفع ناوموري سيفه عاليًا ويهبط به سريعًا ليشق خوذه هيراواكا ويفلق جمجمته. الضربة هبطت على لا شيء. فقد مال هيراواكا جانبًا ثم اعتدل وسيفه في لمحة يضرب خصر ناوموري في

المساحة الضئيلة والتي لا يزيد عرضها عن نصف عرض إصبع. مساحة لا تحميها صديرية ولا مئزر. السيف يغوص في لحم ناوموري وصيحة هيراواكا المنتصرة تتصاعد في أعالي المعسكر وهو يسحب السيف بمسافة شبر داخل جوف ناوموري. ناوموري يزوم متألمًا ويميل بجذعه لأسفل ينظر للتراب غير مصدق أنه تلقى طعنة الموت. سحب هيراواكا سيفه وأخذ خطوات بعيدًا عن ناوموري، ناظرًا حيث القائد جاواي في تشفي. ناوموري أدرك أنه لم يعد يمتلك وقتًا ولا جهدًا سوى لدقيقة أو دقيقتين. التفت ناظرًا لقاتله. وجده ينظر بعيدًا. اندفع في خطوات سريعة رافعًا سيفه ودون أن يصيح وهبط بسيفه على رأس هيراواكا الذي توقع ما سيكون فأخذ خطوة للأمام. الضربة كسابقتها هبطت أرضًا وسقط ناوموري معها تاركًا سيفه. يداه تمسكان بمكان الطعنة والدماء لوثتهما ولوثت الرمال تحته. جاءه هيراواكا. اعتدل ناوموري ليجلس أرضًا، يد تضغط على جرحه ويد رفع بها خوذته الحديدية وتركها تتدحرج على كتفه ثم على الأرض. رفع يده فاردًا كفه مستسلمًا. نظر لهيراواكا نظرة رجاء. ثم مال بعنقه لأسفل. يطلب من هيراواكا أن يضربه ضربة تقطع رأسه عن جسده ويرحمه من آلامه. تقدم منه هيراواكا وأمسك بخصلة شعر ناوموري وقطعها بسيفه وألقى بالخصلة في وجه ناوموري إذلالًا له، ثم ضرب بباطن حذائه وجه ناوموري فأسقطه على ظهره. بعدها يرفع سيفه وبضربة قوية قطع رقبة خصمه من الجيد. انحنى ورفع الرأس المقطوعة من بقية شعرها وتقدم بها ناحية القيادات. الرأس تنزف الدم خطًا متواصلًا أحمر. توقف هيراواكا أمام جاواي وقذفه بالرأس المقطوع. الرأس أصابت وجه جاواي وسقطت أرضًا بعد أن لوثت وجه جاواي وجسده بالدماء. صاح هيراواكا:

- أيها القائد الأحمق. أتمنى أن ألاقيك في مبارزة، لأقص شعرك وأقطع رأسك

وألقيها تحت أقدام الساموراي.

هيراواكا التف عائدًا حيث ميشيما وفوكوزاوا.

لم يعد الحال يتحمل أي محادثات. عاد الثلاثة وخلفهم الحرس لقصر الدولفين. الشوجن سادا قال:

- إنها الحرب العلنية بين محاربي الساموراي وبعضهم.

في اليوم الرابع من نهار مقتل ناوموري، هرب القائد الأحمق ليلًا ومعه مائتان من محاربيه التابعين له. استولى على عدة مراكب من أسطول الشوجن سادا. أبحر من الخليج ووصل لجزيرة هوكايدو وانضم للقائد المتبجح ناجاهارو. وبوصول جاواي ليكون تابعًا لناجاهارو، جاءت الأخبار أخطر، قائد من جزيرة شيكوكو أرسل مائة من محاربيه لجزيرة هوكايدو وأعلن تأييده لناجاهارو. وعليه، فإن ناجاهارو أعلن نفسه الشوجن ناجاهارو بديلًا عن الشوجن سادا.

Telegram:@mbooks90

بعد أن انتقم من قاتل ماتشي بيوم. هيراواكا ذهب سيرًا على الأقدام في شوارع طوكيو، ثم دخل أزقة طوكيو حيث أفقر الأحياء. وخلال سيره في تلك الأزقة، شاهد ما لم يكن يتصور أنه متواجد في تلك المدينة. إن في المدينة فقراء، ليس فقراء كما كان يظن، بل فقراء كما لم يكن يظن. فقراء وصلوا لحد أكل الطعام الذي لن ينظر إليه أحد متوسطي الطبقات. مجرد النظر. صحيح أن هؤلاء الفقراء جد قليلون، لكنهم موجودون. رأى بيوتًا متهالكة وبيوتًا ضيقة يسكنها زحام في حرارة لا تطاق. وشاهد بعض الغواني وهن في زيهن المبهرج خارجات من مناطقهم الفقيرة ذاهبات إلى أعمالهن عابسات غير متحمسات. منظرهن متناقض. زي مبهرج ووجوه جهمة وواقع مؤسف، لكن الملاهي معبأة

بالتلاهي. وهناك يكون زيهن المبهرج ملائمًا. أما ضحكهن المفتعل مع زبائنهن يمر ولا يلاحظه إلا كل أريب يتعمق في الدواخل.

بيت ماتشي. صغير فقير. أخوها الصغير أول من رآه وسمع منه الاسم الذي يعرفه تمامًا. أسرع إلى الداخل وهو يصيح مناديًا أمه وأباه. أتاه الوالدان وبينهما الطفل. وجوه الوالدين تشي بالحزن الكاوي ورغم ذلك يبتسمان له في مودة وخجل من فقر بيتهما. أبوها أشار له بأن يدخل. أوسعوا له. في الداخل البيت غاية في الفقر. الكآبة ثقيلة تنضح من العائلة كلها، تكويهم أكثر من الفقر. جلس هيراوكا وأبوها حول مائدة قصيرة، وسريعًا ، التي أتت لهم الأم برغيفين وقطعة متجلدة من الجبن، ثم جلست معهما آخذة بيد ابنها ليجلس بجوارها. سأل هيراواكا الأب والأم عن ظروف حياتهم؟ حاولا التهرب لكنه ألح، فشرحوا عن الفقر والعوز الشديد. وأن ماتشي كانت تقوم بدور مهم في معيشتهم. أمسك هيراواكا نفسه ولم يبك. غضب من نفسه، كيف لم يكن يعرف أن الفقر وسوء الحال عاد لليابان مرة ثانية؟ كيف لم يعرف أن بعض الفقراء ينبشون في القمامة؟! عليه أن يبلغ والده الشوجن. لعدم إحراجهم تناول كأسه وأخذ جرعة من الخمر. سيئة. قدم تعازيه وأسفه. فبكت الأم والأب يتماسك احترامًا لهيراواكا. الطفل بكى بحرقة. قام هيراواكا ليخرج فسار خلفه أبو ماتشي. وقبل أن يستكمل هيراواكا خروجه. أخرج كيس نقود ووضعه في يد الأب الذي حاول التمنع، لكن هيراواكا أصر قائلًا إن هذا بعض من حق ماتشي، وأنه سيواصل الحضور كلما أمكنه ذلك. وعندما وصل هيراواكا لباب البيت فوجئ بزحام من الناس يقفون أمام البيت ينتظرونه. فيهم من واضح فقرهم ومن يتضح أنهم من طبقات أفضل. حنوا رؤوسهم تحية احترام لهيراواكا فحني رأسه ردًا للتحية. ينظر إليهم في حيرة. امرأة عجوز بكت. عجوز جريء من وسطهم ذو ملبس

لائق، تكلم:

- تحية لابن الشوجن العظيم سادا. نحن عرفنا وجودك فجئنا نشكو لك حالنا. الفقر يرزح علينا، والفوضى بدأت وحالنا صعب وكل يوم أصعب من سابقه. الساموراي أتعبونا وإتاواتهم علينا ثقيلة. ثلاثة من كبار السن ارتحلوا إلى غابة المنتحرين. وغيرهم يفكر في الذهاب، فهل سنعود لهذه السنوات البائسة؟ سنوات الجوع والعري والفوضى، وظهور عصابات الإجرام؟ يا ابن الشوجن العظيم. نريد عودة حكم الإمبراطور. لا تغضب يا ابن الشوجن العظيم.

الحرب الشرسة في الصقيع المرعب

قرر الشوجن سادا مجابهة القائد ناجاهارو بالحرب الضروس التي تنهي العداوة بسفك بحر من الدماء، ومنها دماء أحدهما. قرار الحرب الآن أفضل من الغد، قبل أن تستفحل الأمور ويكتسب ناجاهارو تأييدًا إضافيًا من بقية جزر اليابان. أرسل الشوجن سادا يطلب مساعدات من الجزر اليابانية بما فيها جزيرة شيكوكو، كما طلب المزيد من المراكب تعويضًا عن المراكب التي هرب بها جاواي. أرسل رسائل يعلمهم بأن رأيه في تخفيض مخصصات القيادات قد أبعده عن خاطره.

المفاجأة أن الإمبراطور أرسل سريعًا رسلًا للجزر اليابانية كبيرها وصغيرها، رسائل لكل قيادات الساموراي، ولكبار التجار وملاك الأراضي الشاسعة وللكهنة في المعابد. يعلمهم بأن الإمبراطور المقدس يقف إلى جانب الشوجن سادا، وسيكون غضبه قاسيًا على كل من يحارب الشوجن سادا أو يؤيد معنويًا القائد المنشق ناجاهارو. الإمبراطور أيضًا أرسل للشوجن سادا، يعلمه بأنه أمر أعدادًا كبيرة من قواته ومراكب أسطوله لينضموا لقواته، وبسبب أن إعداد تلك القوات بفرسانها ومراكبها ستأخذ منه أيامًا؛ فإن أسطول الإمبراطور سيلحق بأسطول الشوجن بعد أيام.

لم يصدق الشوجن أن الإمبراطور سيرسل له أسطولًا وقوات لتعضده، لكن يكفيه رسائل الإمبراطور تأييدًا له، فتأييد الإمبراطور سيشق صفوف المتبجح الخطير ناجاهارو ومن انضموا إليه، وستمنع أي مساعدة لهما من كبار التجار والرهبان والأهالي.

فوكوزاوا هو من فهم مكر الإمبراطور وحاشيته من النبلاء. قال للشوجن:

- الإمبراطور ومن هم حوله، ليس هدفهم تقويتك، بل غرضهم هو منع ظهور الشوجن القوي ناجاهارو. وأيضًا أن يتركوك تحارب وتستنزف قواك ولا تعود من تلك الحرب قويًا تجابه قوات الإمبراطور الناشئة.

أمر الشوجن أن يصحبه ابنه ميشيما وقائد حرسه هانزو، وترك فوكوزاوا وهيراواكا في قصر الدولفين ليتوليا تسيير شئون الحكم. فوكوزاوا صمت رغم أنه كان يأمل في مرافقة تلك الحملة الخطيرة، هيراواكا غضب وعارض مبينًا أمنيته أن يلاقي القائد جاواي الأحمق في ميدان المعركة ليقتله بسيفه. رفض الشوجن رغبة هيراواكا، فالانتصار في الحرب هو الهدف، وليس الانتقام من جاواي أو من ناجاهارو.

وكأن تصاعد المصائب المتوالية لا تكفي، ومشقة إبحار شوجن العجوز الواهن للقتال لا تكفي، فتجبّر الشتاء ليكون أقسى شتاء شاهدته اليابان في السنوات الأخيرة. شتاء رهيب شديد الرياح قارص البرد غزير الأمطار الثلجية. وتحت تلك الأنواء المعاكسة، تجمع الأسطول الضخم في خليج طوكيو. وكان صعود الخيول لحظائرها المشيدة على ظهر المراكب، صعود بالغ الصعوبة على الخيول والجنود المكلفين بالتعامل معها، ثم أتى الشوجن على ظهر حصان وهو في ملبس الحرب، وعليه رداء ملبسه فرو ثقيل. حوله جنود مخصصون لخدمته، يسيرون حول حصانه خشية سقوطه. أبقوه على الحصان حتى تخطى به المعبر الخشبي الضيق، ووصل لظهر المركب التي سيستقلها، أنزلوه من على ظهر الحصان ودخل لباطن المركب. في الداخل بعيدًا عن أعين جيشه، رفعوا عنه ملبس القتال ووضعوا عليه ملابس صوفية وفرو، وبقي متدثرًا شبه مستلقٍ وسيفه

بجواره. أتت القيادات لمقصورته للتباحث وعلى رأسهم ابنه ميشيما. جلسوا على جوانب المقصورة. أعلن الشوجن في صوت مرتعش، أنه سلم قيادة المعارك لابنه ميشيما. ميشيما أعرب عن خشيته أن تكون خطة ناجاهارو وجاواي، تحاشي القتال الصدامي، ويتركون الطقس السيئ يقضي علينا. وبالفعل إن فعلا هذا، سيقضي علينا هذا الطقس السيء. وأضاف أن أمله الأساسي يكمن في خطابات الإمبراطور، التي أعلنت تأييده للشوجن سادا، ومن المؤكد أن تلك الخطابات أثرت في تماسك قوات ناجاهارو وجاواي، والقوات التي انضمت لهما. وربما موقف الإمبراطور هذا، سيجبرهما على القتال سريعًا، قبل أن تتزايد تأثيرات تلك الخطابات.

وصل أسطول الشوجن سادا لجزيرة هوكايدو. الطقس أكثر قسوة. الثلوج منهمرة والبرودة قارسة. بعد السير مسافة نصف يوم دون رفع الأعلام التي لن يصلح رفعهما في هذا الطقس بالغ السوء، لم يتحمل الشوجن العجوز أن يبقى داخل ملبسه القتالي. بقي بملابس صوفية ثقيلة وعليه كيمونو من الفرو. ساعدوه على امتطاء حصانه. بعد مسافة لم يتحمل البقاء على ظهر الحصان، فصنعوا له محفة لينة تمدد فوقها، وحملها أربعة جنود، وعلى جانبي رأسه جنديان يمسكان بغطاء يحمي الشوجن من الثلج المتساقط باستمرار. أصر الشوجن أن يبقى سيفه بجانبه. وكل مسافة يأتي أربعة آخرون ليحملوا المحفة فيريحوا سابقيهم. ميشيما على حصانه وسط الفرسان. المحاربون وأغلبهم يمشون على أقدامهم التي تنغرز في الثلوج المتراكمة. ومروا على قرى هجرها الفلاحون؛ خشية من المعارك التي ستدور. في الظهيرة حين وصلوا لساحة واسعة، تلاقوا بحشود جيش ناجاهارو وجاواي تنتظرهم، اختاروا هذا الميقات المفاجئ حتى يحرموا جيش الشوجن سادا من فرصة الراحة، أو تناول الطعام.

ورغم هذا ابتسم ميشيما راضيًا، فخطابات الإمبراطور أدت مفعولها القوي، وأجبرت ناجاهارو وجاواي على سرعة القتال، فالمعركة ستبدأ سريعًا، وهذا أقل خطورة من استمرار جيشه في العراء تحت سطوة هذا البرد الشنيع، وجيش الأعداء في معسكراتهم دافئون شبعون.

هانزو هو القائد الذي سيتصدر أمام المحاربين، وبجانبه روسّو. في الخلف قليلًا ربوة بسيطة قليلة العلو، نُصِبت عليها خيمة صغيرة تحتها الشوجن سادًا جالس على محفته التي وضعوها على كومة من الأحجار تعلو ذراعين. عليه أغطية فرو ثقيلة، ليراقب من باب الخيمة مجريات المعركة، وسيفه في حزام خصره. ميشيما بجوار خيمة الشوجن، منتصب على ظهر حصانه القتال، ليدير المعارك. وعلى مقربة فرسان على خيولهم، ينتظرون رسائل سيرسلها ميشيما تنظيمًا للقتال وسد الثغرات التي يمكن حدوثها في جيشه. وفرقة من مائة محارب على مقربة لتدافع عن الشوجن، فالمتوقع أن الأعداء سيحاولون قتل الشوجن لينتهي القتال بمقتله. جيش ناجاهارو وجاواي في راحة نوعية، وقد تناولوا طعامهم وشرابهم، أما جيش الشوجن فهو لم يتناول إلا أقل القليل وأجسادهم منهكة.

لم يكن جيش ناجاهارو بالكثرة المنتظرة. رسائل الإمبراطور أحدثت شرخًا بالفعل، انسحب محاربو الساموراي المائة الذين أرسلهم قائد جزيرة شيكوكو، وأيضًا انسحب من القتال قائدان من قيادات ناجاهارو، فصار جيش الشوجن أكثر عددًا وأقوى عزيمة وبيارقه التي تحمل شعار الدرفيل أغزر.

صيحات القتال من الجانبين، ومازالت ندف الثلوج تتساقط بكثافة، والأرض صارت تحمل فوقها ارتفاع ذراع من تراكم الثلوج. اندفع الجيشان للاصطدام

ببعضهما. المحاربون يتقدمون بصعوبة فسيقانهم تنغرز في الثلج العميق وتخرج منها ببطء. الخيول بسيقانها الأربع الطويلة، حركتها أسهل في هذا الظرف. فرسان الشوجن انطلقوا من المنتصف ليشقوا جيش ناجاهارو المتقدم في منتصفه. فرسان ناجاهارو انطلقوا من جانب ليخترقوا جيش الشوجن من جانبه ليصلوا لربوة الشوجن ويقتلوه. السهام من مشاة الجانبين انطلقت على فرسان الجانب الآخر. أغلب السهام تصطدم بالخوذ وشرائح المعدن التي تغلف الفرسان، فتنكسر وتسقط أرضًا، القليل منها ما يصل للوجه أو أسفل السيقان غير المحمية، فتسقط أو تكاد تسقط الفارس من صهوة حصانه. والسهم الذي يصل لجسد الحصان، يفزعه حتى لو لم يكن سهمًا قاتلًا، فينحرف الحصان أو يكبو ويسقط فارسه من عليه. وصل فرسان الشوجن لمشاة جيش ناجاهارو، فأعملوا فيهم القتل بسهولة. وهكذا فعل فرسان ناجاهارو في مشاة جيش الشوجن، ثم انضم للتصادم مشاة هذين الجانبين وتدفقت الدماء أكثر وأزهقت الأرواح أسرع. القتلى والجرحى من الجانبين أعداد ليست بالهينة، بما فيهم الفرسان وخيولهم، ومقتل الخيول وصهيلها وقعه أشد إيلامًا.

ميشيما وهو يراقب لاحظ أن جاواي وأتباعه لا يتقدمون بجسارة، ويتركون الصدام الأول لجنود ناجاهارو، هذا ليقلل خسائره. ناجاهارو يفعل ما هو متوقع من فارس باسل عظيم الهمّة. ناجاهارو إعصار على حصانه يبعثر جنود ميشيما هنا وهناك.

ميشيما يرسل المراسيل ليضبط حركة جيشه. شاهد من بعيد ناجاهارو يترك معمعة القتال ويصعد على ربوة صغيرة، من على صهوة حصانه وحوله مساعدوه، يراقب ويسدد مسيرة جيشه. ترك القتال بسيفه لما وجد أن القتال

منظم من جانب ميشيما وفوضوي من جانبه. يفعل ما فعله ميشيما من بداية القتال. ومن على هاتين الربوتين، بالكاد يرى كل منهما الآخر.

الصدام مهول والصيحات عالية مرعبة متشنجة متألمة. الشجاعة من الجيشين مشهودة، فيما عدا قائد كان يعتمد عليه في شحذ همّة جيش الشوجن. خلال اندفاع الجيشين والسهام تتساقط على كل جيش من الجيش المضاد، هانزو وهو مندفع مع المشاة في بدايات المعركة، أخذ في الارتعاش. يجري وصيحاته ليست صيحات إرعاب للعدو، بل هي صيحات مرعوب من التصادم الوشيك. خطواته تضطرب يكاد يتعثر فيسنده روسو بدرعه. ولما اصطدم الجيشان وأعملا في بعضهما السيوف والحراب. هانزو هبط على ركبتيه ويمناه منتكسة وهي ممسكة بالسيف. يبكي وهو يشاهد الأسلحة تخترق أجساد المقاتلين من الجانبين والدماء تسيل. أحد فرسان الأعداء هجم على هانزو ليطعنه، روسو حال بينه وبين ما يريد وقتل العدو فأنقذ هانزو. هانزو على الأرض يتلوى ويصرخ صراخ المجانين. أمر روسو اثنين من المقاتلين، فأعادا سيفيهما لجرابيهما وحملا هانزو عائدين به للربوة، حيث ميشيما فوق ظهر حصانه يتابع ما يفعله هانزو متعجبًا. الشوجن خرج من خيمته وهو متدثر بملابسه وبيسراه يجمل معطفه الصوفي على جسده. والجنديان يظللانه بالقماشة التي تحميه من الثلوج الهطالة. ينظر في دهشة لهانزو المنهار. هانزو ركع بجوار قدمي الشوجن وهو مستمر في البكاء. صاح فيه الشوجن:

- هانزو. ارفع وجهك وانظر إلي.

رفع هانزو وجهه المرتعب. عيناه جاحظتان وكأنه بقرة رأس سكين ذابحها. صفعه الشوجن وصاح فيه:

- أنت الذي أوصى بك القائد سايجو وقال إنك ستحميني؟ أنت الذي زوجته ابنتي واعتبرته ابنًا لي؟ قم وقاتل مثل محاربي الساموراي الأبطال. قم أيها الجبان.

الشوجن صفع هانزو صفعة ثانية. هانزو يستجمع نفسه بصعوبة. يقوم وكأنه يتخلص من أحبال تربطه. نظر لسيف الشوجن المعلق في خصره. استل الشوجن سيفه وأعطاه لهانزو. هانزو أمسك بالسيف وصاح صيحات متواليات تشتد وتشتد حتى صارت صيحة وحش كاسر. أسرع يجري هابطًا من الربوة في اتجاه الصدام. اخترق صفوف قواته الخلفية ووصل للعدو فأعمل القتل فيهم بجنون. هانزو لم يعد هانزو واحدًا، صار وكأنه عشرة مقاتلين شياطين. خلخل صفوف أعدائه. صار هو رأس السهم الذي يشق بطن العدو فيندفع جنوده بعده. اطمأن الشوجن سادا من حالة هانزو. عاد لخيمته وجلس على محفته يراقب المعركة.

ولما مالت الشمس جانبًا معلنة أن المغرب قارب على الوصول. حدث ما كان ميشيما يتوقعه. من تبقى من فرسان ناجاهارو، اخترقوا مشاة الشوجن من الجانب واندفعوا نحو الربوة التي بها خيمة الشوجن. حاملو الأقواس كانوا بانتظار المهاجمين. أمطروهم بالسهام فتخلصوا من نصفهم. والنصف الآخر الذي قارب خيمة الشوجن. هجم عليهم ميشيما بمن معه من سرية الفرسان الاحتياط، ودارت معركة سريعة انتصر فيها ميشيما وقتل هو ومن معه بقية الفرسان المهاجمين.

الغروب بحمرته دموي، والمعركة بالدماء المسفوكة أكثر دموية من الغروب. والليل بسواده يغطي وادي القتال والقتل حثيثًا، وأمطار ندف الثلج هدأت ثم

توقفت. حان وقت إنهاء قتال هذا اليوم. بدأ الناجون من الجانبين في التراجع، إلا أن هانزو في حالة فورانه لا يتوقف عن القتال. مستمر في القتال وقتل أعدائه ومستمر في الصياح المجنون. من حوله أمسكوا به بصعوبة. تكالبوا عليه وأمسكوا به بصعوبة. وحين وجد هانزو نفسه مكبلًا بأذرع زملائه، ارتخى جسده وأغمى عليه. حملوه لخيمة الشوجن. وحملوا المصابين وعادوا للخلف. نصبوا خيامًا ليرتاحوا فيها ساعات قبل فجر اليوم التالي.

وفي الفجر التالي وجدوا هانزو وقد فتح عينيه لكنه في حالة مرضية غريبة. ليست به أي قوة حتى ليعتدل قليلًا ويتناول صحن حساء ساخن. أمر الشوجن بتركه حيث هو ممدد أرضًا على حشية بسيطة. واصطف الجيشان مثل اليوم السابق. ارتفعت أعلام كل جيش سواء في الربوة أو بين فصائل الجيش نفسه. لكن ليس تمامًا كاليوم السابق. جيش ناجاهارو خسائره أكثر بكثير من خسائر جيش الشوجن، والأخطر أن ناجاهارو فقد أغلب فرسانه في مغامرته بالهجوم على ربوة الشوجن. الشوجن فقد نصف فرسانه فقط. هذا اليوم سيكون غالبًا في صالحه. وقبل أن يستكمل كل جيش اصطفافه حدثت المفاجأة التي وفرت إعادة سفك الدماء. أصوات طبول جيش يقترب من خلف جيش الشوجن سادا! ثم ظهرت أعلام هذا الجيش المقبل. إنه جيش الإمبراطور الذي وعد به الشوجن سادا! جيش الإمبراطور كله من الفرسان، ليس بينهم جنود مشاة. تقدم فرسان الإمبراطور واصطفوا إلى جانب جيش الشوجن سادا، فصاح جيش الشوجن هاتفًا باسم الإمبراطور، وفي نفس الوقت بهت جيش ناجاهارو. أما قائد جيش الإمبراطور، وهو أحد شباب طبقة النبلاء، فتقدم على حصانه وعلى جانبيه اثنان من أتباعه على حصانيهما، صعدوا الربوة ووقفوا أمام الشوجن سادا. ميشيما على صهوة حصانه. تبادلوا التحية، ثم هبطوا الخمسة واخترقوا جيشيهما

متجهين ناحية جيش ناجاهارو.

هبط ناجاهارو من ربوته وتقدم وعلى جانبيه اثنان من مساعديه، أحدهما هو القائد جاواي. ناجاهارو تيقن أن المعركة قد حسمت لأعدائه. تيقن أن محاولته انتزاع لقب الشوجن لنفسه، قد حسمت ضده. وأن حياته ستنتهي في ساعة زمن، أو خلال يوم أو عدّة أيام. تواجهوا. قال النبيل الشاب قائد جيش الإمبراطور موجهًا حديثه لناجاهارو:

- الإمبراطور يطالبك بتسليم نفسك أسيرًا ليرى في أمرك ما يراه فيما بعد، وتوفير مقتل محاربيك الساموراي، فاليابان تحتاج إليهم، فربما كان الغرباء ينوون قتالنا.

أومأ ناجاهارو برأسه موافقًا، وقبل أن يتكلم أشار له ميشيما بأن يصمت. تكلم ميشيما موجهًا حديثه للشوجن سادا، فقال له:

- سيدي الشوجن العظيم. القائد ناجاهارو ساموراي باسل. وبموافقته أن يوقف القتال ويستسلم، فيه نبل، لذلك علينا أن نعطيه الفرصة أن ينهي حياته كما ينبغي على الساموراي العظماء، فناجاهارو ساموراي عظيم. والإمبراطور سيرضى باحترام قائد شجاع عظيم أطاع أوامره.

صمت لحظات. نظر الشوجن سادا للشاب ممثل الإمبراطور فوافق. فقال ناجاهارو:

- الشكر للإمبراطور وللشوجن سادا وللقائد المحارب العظيم ميشيما. أعلن لكم استسلامي وسأنهي حياتي حسب تقاليد الساموراي. بالهاري كيري.

قال جاواي:

- وأنا كذلك.

قال الشوجن سادا بصوت متعب:

- لا. الخائن الأحمق جاواي لن أسمح له بالموت الكريم. جاواي سيشنق ليموت مهانًا.

الغضب السريع والكراهية المقيتة تجسدت على وجه جاواي. التف بحصانه مسرعًا عائدًا ناحية جيش ناجاهارو حيث جيشه الخاص ينتظر. ناجاهارو التف بحصانه وأشار بيده إشارات على جاواي الهارب. ولما قارب جاواي جيشه. انطلقت حربة قوية لتطير وتصطدم بصدر جاواي فتسقطه من على حصانه قتيلًا.

أرسل ميشيما أحد قائديه للعودة لجيشه لإعلامهم بما اتفق عليه وأن يتقدموا في سلام لجيش ناجاهارو. كما أرسل ناجاهارو من يبلغ جيشه بالمثل. فتقدم الجيشان ووقفا أمام بعضهما وبينهما القيادات ومندوبو الإمبراطور. أكد ناجاهارو استسلامه، فأعلن الشاب ممثل الإمبراطور بصوت عالٍ:

- الإمبراطور عفا عن كل قيادات وجنود ناجاهارو، والعفو أيضًا على كل من انضموا إليه.

صاحت الجنود فرحة ولوحت لقائد جيش الإمبراطور الذي واصل كلامه:

- أما القائد ناجاهارو، فقد سمح له الإمبراطور أن يموت بشرف وكرامة. وسيكون هذا الآن أمامكم.

الجيش كله صار حلقة بشرية شاسعة. في وسطها دائرة صغيرة. دخل ناجاهارو وسط جيشه وغاب قليلًا وعاد للظهور وهو عاري الرأس شعره منسدل يرتدي كيمونو أبيض رقيق. أمامه جنديان. من هم على ظهور خيولهم هبطوا بما فيهم الشوجن ومندوب الإمبراطور. وقف الكل في خشوع. فرش أحد الجنديين ملاءة بيضاء نظيفة على الأرض. جلس ناجاهارو على الملاءة متربعًا، يداه مرتاحتان على فخذيه. وضع الآخر وسادة صغيرة أمامه عليها سيف قصير في جرابه. نظر ناجاهارو لقائد من قياداته، فتقدم هذا ووقف خلف ناجاهارو بخطوة واستل سيفه ورفعه ممسكًا به بكفيه مستعدًا ووجهه عابس يستجمع إرادته. اقترب جندي وأعطى ناجاهارو كأسًا صغيرة من خمر الساكي. تناوله ناجاهارو في بطء مهيب، ثم أعاد له الكأس. ناجاهارو ينظر أمامه للاشيء. أمسك مقبض السيف بيمناه وسحبه من جرابه ألقى بالجراب أمامه. بقبضتيه أمسك بمقبض السيف القصير وصاح صيحة بشعة وطعن نفسه في البطن بقوة ناحية اليسار فانغرس السيف لقرب المقبض وفي سرعة يسحبه بكل قوته في عزم قاطعًا بطنه من داخلها رغم الآلام واستمر في سحب الخنجر ليقطع بطنه من يساره ليمينه وصرخاته ترتفع ولما وصل الخنجر لأقصى اليمين البطن ولم يعد هناك مزيد من القطع والدماء تنهمر بشدة وآلام ناجاهارو لم تعد تُحتمل وجسده يرتعش. رافع السيف صاح صيحته وهوى بالسيف بكل قوته فنزل به على رقبة ناجاهارو فقطعها وسقطت الرأس جانبًا والجذع الدموي للجانب الآخر. وانتهى ناجاهارو.

أسبوع إضافي للعمل على استتباب الأمور في الجزيرة، بإبعاد كل قائد مسته شبهة أنه كان على اتصال أو مجرد وفاق مع ناجاهارو، ثم يعود الشوجن سادا

بأسطوله ويرافقه أسطول الإمبراطور. الشوجن سادا بدأ انهياره النهائي، وطوال رحلة العودة وهو في قمرته ممدد يشعر بالبرد القارص مهما وضعوا عليه من فرو ثقيل. والمريض الثاني، هو هانزو. جسده لم تفارقه التشنجات، وألمه الداخلي أقسى عليه. كيف ينهار في أول قتال حقيقي يدخله ويشاهد الدماء تثب كالبراكين من الأجساد، وتسيل ينابيع! كيف وهو المحارب الساموري المشهود له؟ لا يسامح نفسه حتى بعدما اندفع في القتال وأعمل القتل والتقتيل في العدو، حتى أثخنهم وأرعبهم وصارت الدماء تكسوه بكامله.

عاد الأسطولان. عادا في الظاهر منتصرين، لكن في الحقيقة أن المنتصر هو أسطول الإمبراطور. فالأمور تسير في صالحه، في صالح سؤدده المنتظر، أما أسطول الشوجن، فهو عائد والشوجن سادا مريض مرض الموت مثلما الحقبة الساموراية صارت مثل شوجنها الحالي، في حالة مرض النهاية، مرض الموت. موت مقابل الفتوة الصاعدة للإمبراطورية التي كانت ضعيفة، فتعافت وتصاعدت وصارت تنتظر أن يأتيها حكم اليابان طواعية.

وخلال تلك الأيام الصعبة الدموية، أيام قتال القائد المارق الطامح ناجاهارو، حدث في قصر الدولفين ما هو دموي مأساوي، يؤكد أن عصرًا ما ينتهي بالفعل.

اغتيال الصفاء

قصر الدولفين في غبش الفجر. البرد قارس. تُفتح البوابة ليمر منها عدد من خدم القصر وبصحبتهم حصانان كهلان محملان بالخضروات والفاكهة واللحوم وغيرها الخاصة بالمقيمين في القصر، سواء أكانوا عائلة الشوجن أم الحرس أم الخدم. حارسان على جانبي الباب، وكل منهما رافع يمناه الممسكة بفانوس منير. يتمعنان في وجوه الداخلين مع البضائع ليتأكدا من شخصياتهم. اشتبها في فتاتين صغيرتين يحملان كيسين كبيرين، ويسيران على جانبي الخادمة كونويتشي التي يعرفها جميع الحراس، فهي كثيرًا ما كانت تأتي لتلهو على سور القصر وداخل مبنى الحرس مع آكيكو ابنة الشوجن. وشاهدوها كثيرًا تخرج وحدها لتغيب أسبوعًا وتعود وحدها. كونويتشي وكيس كبير معلق على ظهرها، قالت كلمة واحدة:

- جديدتان.

مر نهار اليوم. في قلب الليل عند باب مبنى القصر يقف الحارسان المعتادان. البرد يقرصهما وهما داخل ملبسهما الثقيل منكمشان على نفسيهما. أمامهما فناء القصر أسود موحش. خلفهما بهو القصر مضاء بفانوس واحد يرسل ناحيتهما بضوء ضعيف. أحسا بحركة خفيفة سريعة تأتي من خلف ظهريهما حيث بهو القصر. التفتا سريعًا. أحدهما خلال التفاته لمح شفرة بياضها باهت تندفع ثم أحس بها تضرب في عنقه من ناحية اليسار وتمر غائصة في لحمه تقطعه وتستكمل القطع حتى تخرج من يمين عنقه. لم يتأوه فَقَذ فَقَدَ حنجرته خلال مرور الشفرة الحادة. تهدل أرضًا ويسراه تحاول سد ثغرة رقبته وكتم الدماء.

يمناه تركت الحربة التي كانت ممسكة بها. قاتله في ملابسه السوداء التي تغطيه كاملة. أسرع بيسراه وأمسك بالحربة قبل أن تسقط على الأرض الرخامية وتحدث صوتًا. الحارس الثاني كانت التفاتته أسرع. أدرك النينجا الذي يهاجمه وهو على بعد خطوة منه، فأمال حربته بسنها ليوقف المهاجم. المهاجم أبعد الحربة بيسراه عن صدره. وحاول قطع رقبة الحارس بيمناه الممسكة بالخنجر. الحارس أبعد جذعه للخلف. وامتلك برهة ليصيح خلالها صيحة تحذير خالية من الكلمات، وقبل أن ينطق بحرف، شفرة المهاجم عادت من يسار رقبته لتمر على رقبته دون أن تغوص غوصًا عميقًا فقطعت مقدمة الرقبة واستكملت المرور المؤلم. ثم نال الحارس الثاني طعنة ثالثة في القلب. لكن مهاجمه لم يتمكن من الإمساك بالحربة التي سقطت على الرخام فأحدثت صوتًا معدنيًا أضيف للصيحة التي صدرت لتؤكد لحراس السور أن أمرًا ما يحدث. صاحوا صيحات تحذير وأسرع عدد منهم نزولًا للفناء ومنه سيتجهون لمبنى القصر.

شبحا النينجا أسرعا للطابق العلوي فوزًا. دورهما المحدد أن يمنعا دخول أي من الحراس لداخل الطابق العلوي، حتى يتمكن من تسلل لحجرات الطابق من اغتيال المطلوب اغتيالهم. ولتأخر عودة الشوجن من حربه، كان من الصعب إلغاؤها، فتبدلت الخطة ليكون هدفها اغتيال عائلة الشوجن الموجودة، خاصة هيراواكا وفوكوزاوا. قتلهما في فراشهما قبل أن يتمكنا من النهوض والإمساك بسيوفهما، فإن أمسكا بسيوفهما فلن يستطيع أحد قتلهما. بل هما من سيقتلان المهاجمين.

صيحات الحرس أيقظت من في القصر. في سرعة كان هيراواكا وفوكوزاوا يمسكان بسيوفهما ويسعيان في ممرات وقاعات القصر يبحثان عن النينجا،

فلن يصلا لعمق القصر من أعداء سوى النينجا. من تسلل داخل الطابق العلوي لم يتجه لناحيتهما والتي تحوي أيضًا حجرة الشوجن الغائب، بل اتجه لجانب شبه منفصل فيه حجرة آكيكو التي تطل على حديقة الزهر. توزعا كلٌ في اتجاه. اختار هيراواكا الاتجاه ناحية حجرة أخته آكيكو. الحرس الصاعدون للطابق العلوي، أصابتهم مقذوفات النجوم رباعية النصال. قتلت اثنين وعطلتهم دقائق. عادوا للهجوم وقد فقدوا قتيلين، لكنهم استطاعوا الاقتراب من شبحي النينجا واشتبكا معهما بالسيوف.

هيراواكا شاهد شبح النينجا المسرع فأسرع خلفه. مطاردة شبه صامتة. اقترب هيراواكا من الشبح. الشبح وصل لحجرة آكيكو وفتح الباب المنزلق بقوة فانفتح. آكيكو ملتصقة بظهرها في الجدار المواجه للباب. ملبسها الخفيف وشعرها المنساب وبشرتها التي سرت فيها دماء الخوف الحمراء. ارتعشت وهي ترى النينجا المقنع ممسكًا بالسيف أمامها. دخل النينجا والتفت سريعًا ليصد ضربة سيف هيراواكا. مبارزة سريعة داخل الحجرة وواضح أن هيراواكا سريعًا سيقتل النينجا، فارق المهارة واضح لصالحه. النينجا أمسك بلوحة معلقة في الجدار وقذفها على هيراواكا. هيراواكا يتفاداها وقبل أن يعاود هجومه كان النينجا قد وصل لقرب آكيكو ووضع ذؤابة سيفه ملاصقًا لقلب آكيكو التي فغرت فاها وترتعش رعبًا. توقف هيراواكا عن الهجوم. ثوانٍ. قال هيراواكا للنينجا:

- لا تقتل أختي. وأنا أعدك بأن أتركك ترحل في سلام.

النينجا هز رأسه رافضًا. ويمناه مثبته بالسيف الممتد لقلب آكيكو. أمسك بيسراه مقبض خنجر متواجد في حزام خصره. ترك النينجا مقبض الخنجر وأمسك بقناعه وسحبه بعيدًا عن وجهه. شهقت آكيكو وجحظت عيناها. هيراواكا

غير مصدق. النينجا ما هو إلا الخادمة كونويتشي! كونويتشي التي صادقتها آكيكو وأحبتها واعتنت بها!! قال هيراواكا:

- لماذا؟!

ابتسمت له كونويتشي ابتسامة سخرية وكراهية. قالت:

- أحببتك ولم تهتم بي. أعطيتك جسدي فاحتقرتني وطردتني.

أجاب هيراواكا في رجاء:

- وما ذنب آكيكو؟

- ذنبها أنها ابنة الشوجن الذي أمر بقتل قبائلي قبائل الدايمو، فأنا منهم وتم تشتيت أهلي وجنود أبيها قتلوا أمي، وأجبروا أبي على الاختباء والعمل مع الصيادين، مداريًا أنه من الدايمو كما فعل غيره. وأن أكون خادمة لكم، لكن لم أنس ما فعلتموه بقبيلتي وعائلتي. كل أسبوع أبتعد فيه عن قصركم، كنت أتدرب مع النينجا ليوم أقتل فيه الشوجن بأمر زعمائي، لكن حظي الطيب أن الشوجن ليس موجودًا فأتيت لما أرغب في فعله من زمن، أن أقتل من تمتعت بالرفاهية والحب اللذين حرمت منهما.

آكيكو متعجبة وهيراواكا أراد التقدم خطوة، فصاحت فيه كونويتشي:

- لا. قف مكانك واسمعني. هل أختك أجمل مني؟

- لا. أرى أنت أجمل منها.

- لا تنافق.

- أختي جميلة. وأنت كذلك.. جميلة.

- إذن لماذا تكون هي ابنة الشوجن وتعيش في قصر. وأنا ابنة الفقر والشتات وأقيم في جُحر؟

- سأعوضك بالذهب. فقط ابعدي السيف عن قلبها.

صوت خطوات مسرعة. يلتفت هيراواكا و كونويتشي تتمعن لترى من المقبل. حاولت آكيكو أن تتحرك. لكن كونويتشي مالت بجذعها يمينًا لترشق السيف في جسد آكيكو فتتأوة. صاح هيراواكا:

- لا.

وقبل أن يهجم على كونويتشي، كونويتشي كانت قد سحبت بيسراها الخنجر وقطعت به عنقها فسقطت فورًا أرضًا تشخر. أسرع هيراواكا لأخته الجالسة مستندة على الجدار وعيناها تنسحب منهما الحياة. ترك السيف وأخذ في البكاء محتضنًا أخته.وفوكوزاوا يدخل الحجرة ويشاهد الحال المرعبة. اقترب فوكوزاوا من آكيكو التي نظرت إليه في ابتسامة ولهانة شاحبة. ألقى فوكوزاوا بالسيف وجلس بجانبها. آكيكو ربتت على ظهر أخيها الباكي، فالتفت إليها وفهم نظرتها. ابتعد لترفع يديها لفوكوزاوا الراكع بجانبها فهبط إليها فوكوزاوا محتضنًا لها باكيًا وهي وقد وجدت أذنه بجوار فمها قالت له:

- أحببتك كثيرًا يا فوكوزاوا. اهتم بزوجتك فهي أيضًا تحبك.

رحلت آكيكو.

نهايات

الأسطول في رحلة العودة. البرد مازال قاسيًا والذي امتنع هو نزول المطر أو البَرَد، فلا سحب في السماء البَرِحة، القمر يكاد يكتمل بدرًا. يلقي بضيائه الفضي على شاطئ الخليج. وصلت أولًا سفن أسطول الإمبراطور ورست وهبط منها جنودها وانصرفوا. ثم بعدهم أسطول الشوجن سادا. أولًا أنزلوا المصابين على محفات. ضوء القمر لا يبين بوضوح حالهم المزري. مركب الشوجن في البداية، محفة وعليها الشوجن الذي لم يعد يستطيع تحريك جسده الراكد إلا بصعوبة. أنزلوه والتفوا به ليصلوا به لقصره وهو على هذا الوضع، فلن يستطيع الثبات على صهوة جواده. ثم نزل الجنود الناجون من المعارك البشعة، وفي نفس الوقت مروضو الخيول يمسكون بالأعنة ويهبطون بخيولهم في حذر.

لم يعد معسكر الساموراي كما السابق. التوتر والضيق وتوقع أمور عظيمة تكون في معظمها ضدهم. الحزن راسخ عليهم. لقد تقاتلوا وفقدوا مئات من زملائهم ما بين قتيل وجريح. الشعب الياباني بكل تنويعاته لم يعد يتقبلهم. مالوا ميلة قوية للإمبراطور الشاب القوي الذي جلس على عرش سليل الشمس بعد وفاة العجوز الضعيف الذي سبقه. قواته الإمبراطورية المنظمة تزايدت وهي لا تبتز الناس كما يفعل الساموراي. مقاتلو الساموراي العاديون لا يقلون توترًا وضيقًا عن قياداتهم.

ولم يعد قصر الدولفين كما سبق. مقتل آكيكو ألقى بالحزن على القصر كله، من الطابق العلوي حيث الشوجن سادا وزوجته والأبناء، الحزن خيم على قيادات الحرس وأفراد الحرس. وحتى أقل الناس شأنًا في القصر، العاملون في الخدمات من طبخ وتنظيف، حزانى مصدومون من مقتل آكيكو. لم يعد أحد يبتسم داخل

هذا القصر المبتئس.

الشوجن حاولوا عدم إخباره، لكن آثار الحزن على ملامح عائلته فضحتهم. الزوجة أستوكو منهارة أصلًا بسبب تلك الميتة الصعبة لابنتها المدللة آكيكو، ثم شاهدت زوجها الشوجن الآتي وشبح الموت جاثم عليه وسيخترق جسده الجاف في أي لحظة. بكت أستوكو بكاءً حارًا، فبكى الشوجن على فقد ابنته وعلى حاله التي لا تخفى على زوجته. عرف كيف ماتت ابنته فارتج صدره بوقع ثقل لا يقل عن ثقل جبل فوجي. غاضب من الموت الذي يرفض أن يأتيه ويخلصه من ثقل حزنه ومرارة حياته ونهش تشاؤمه الذي يعض في قلبه مع كل دقة. الأم أستوكو حاولت إيجاد ما يخفف عنها في أحضان ابنها ميشيما العائد. بكيا معًا. ورغم عمق البكاء، ميشيما وجد جسدها يرتخي في حضنه. حملها مغمى عليها وذهب بها لحجرتها.

ابتدأت مطاردة قبائل الدايمو في كل الأماكن التي شردوا فيها من قبل. قتلوا منهم الكثيرين وقتل معهم من اشتبهوا أنه من ضمن تلك القبائل أو من الذين تعاملوا معهم. ولم يتركوا الصيادين في خليج طوكيو ولا غيره. عوقب صاحب المركب الذي كان يعمل فيه أبو كونويشتي تم قطع رأسه، أما أبو كونويتشي، فقد اختفى. البيوت المجاورة للبيت الذي كان تسكنه كونويتشي تم استجوابهم وضربهم بالعصي ليقولوا أين اختفى أبو كونويتشي، لكنهم لا يعرفون أين ذهب كما لم يعرفوا من أين جاء. وفي كل تلك المطاردة التي شارك فيها مئات من محاربي الساموراي، لم يتم القبض ولا على فرد واحد من عصابات النينجا.

آلام ميشيما وهيراواكا وفوكوزاوا على فقد آكيكو آلام ليست بالهينة، وعليهم فوق آلامهم أن يفكروا ويعدوا العدة لما سيحدث في الأيام القليلة القادمة.

الشوجن صار جثة تتنفس والأيام الهاجمة عليهم ستكون أيامًا حاسمة، إما زوال حقبة الساموراي، وإما التجديد المؤلم لها.

طلب الشوجن حضور ابنه ميشيما بمفرده. الشوجن مستلق، وجهه شاحب باهت اللون. قال لميشيما:

- على المنضدة التي بجواري صندوق خشبي صغير. به ختم الشوجن وأهم ما أخبرتنا به مجموعة العيون المراقبة. اقرأها وهي سر بينك وبينهم. ستجد أمرًا ما عاجلًا. قبائل الدايمو تتركز على حافة جزيرتنا، سيبقون يومين على الأكثر في خيامهم، وسهاجمون المدن هناك ثم ينسحبون للجبال.

خلال نصف يوم تم جمع ثلاثمائة فارس من الساموراي. سيقودهم ميشيما ومعه هيراواكا وهانزو ورسّو، على أن يبقى فوكوزاوا ليدير شئون الشوجن، وليبعده ميشيما عن نصر مؤزر سيصل للشعب الياباني فيعلمون أن الشوجن مازال قويًا، وأن ولي عهد الشوجن، شاب قوي حاسم سريع. انطلقوا ليلًا لمسافة طويلة. وقبل الفجر، توقفوا لساعة يريحون فيها الخيول ويطعمونها، والفرسان أيضًا يرتاحون قليلًا ويتناولون طعامًا خفيفًا، ثم عادوا للانطلاق. وفي غبش الفجر فوجئ جنود قبائل الدايمو بسماع وقع سنابك الخيل المغيرة عليهم! أقلهم من تمكنوا من امتطاء خيولهم قبل أن يدهمهم فرسان ميشيما، وأكثرهم لم يكونوا قد فاقوا من النوم، فلم يسعفهم الوقت لامتطاء الخيول ولو دون إعداد السروج. اقتحمت خيول ميشيما الخيام وكأنها أشباح الشياطين. الصدام بالصياح المرعب وضربات السيوف والحراب. معركة فرسان دموية شرسة. سيتغلب فيها دون شك أصحاب المفاجأة، خاصة أن عددهم ضعف عدد فرسان قبائل الدايوا، وأنهم على صهوات خيولهم. مقتلة انتهت في ظرف ساعة من

الزمن، ثم مطاردة الفارين وقتلهم فلم يفلت من القتل سوى أفراد قلائل. الصبح الواضح. يرفع ميشيما سيفه صائحًا صيحة الانتصار الفرحة، فيرفع الفرسان أسلحتهم ويصيحون فرحين. لم يفقد ميشيما من فرسانه سوى اثنى عشر فقط. لكن هانزو مفقود! قال فارس ساموراي إنه خلال الهجوم توقف حصان هانزو!

ذهبوا للبحث عنه حيث يقف الحصان. وجدوا هانزو ملقى أرضًا يرتعش. هبط ميشيما سريعًا وأمسك بكتف هانزو وسأله إن كان مصابًا. هانزو في رعشته لا يجيب. ميشيما عرف أن هانزو الشجاع في جانب من جوانبه، تغلب عليه هلع نفسه من القتال الدموي. وقف وقال:

- احملوه على سرجه.

خلال العودة، شرح ميشيما لهيراواكا حالة هانزو. إنه رغم موهبته الفذة في القتال، فهو حين القتال الفعلي، والتعرض للموت طعنًا، يصاب بالجبن الذي يشلّه عن الحركة، لكنه إن عاد للقتال يصير وحشًا لا يتوقف عن القتل في أعدائه.

في قصر الدولفين تشيكو من شرفة شاهدت العائدين وزوجها يجلس خلف فارس على ظهر حصان. أمسكت نفسها من الصراخ. طلبت من خادمة أن تأخذ ابنتها بعيدًا. في ممر القصر ارتعبت تشيكو وهي ترى ميشيما غاضب الوجه مقبلًا، وخلفه اثنان من حرس القصر يسندان زوجها حتى باب حجرتها. ارتعشت وبكت على أنه مصاب. ميشيما مع تشيكو أخذا هانزو من الحارسين اللذين ابتعدا. ولما أجلسا هانزو على حشية. رفع هانزو وجهه ناظرًا لميشيما في خجل واعتذار. ميشيما نظر لهانزو في احتقار وقال:

- لن تشارك معنا بعد هذا في أي قتال.

ثم ترك الحجرة غاضبًا.

تعتني تشيكو بهانزو المنهار. وهو يبكي اعترافًا لها بما يعتريه حين يدخل في قتال دموي. لا يستطيع التحكم في جسده. يريد القتال وجسده يخونه رغمًا عنه. منخرط في بكاء مرير رغم احتضان تشي وتشجيعها له أن يقوى ويخرج مما هو فيه. بقيا معًا طوال اليوم هانزو دموعه المنهمرة لا تتوقف، وتشيكو تشجعه باكية أن يشد أزره ويتقوى. وقبل الفجر التالي، نامت تشيكو مرهقة بجانب زوجها المستيقظ الباكي. ولما استيقظت لم تجد زوجها هانزو. وجدت ورقة صغيرة مكتوب فيها.. ارتكبت عارًا وأتمنى ألا يلوث ابنتي. لم أستطع أن أطعن نفسي، فلا طاقة لي برؤية الدماء، سأذهب إلى غابة المنتحرين.

صرخت تشيكو. مجموعة فرسان يقودهم الثلاثة، ميشيما وهيراواكا وفوكوزاوا وبينهم تشيكو التي أصرت على مرافقتهم. الفرسان ينطلقون إلى الغابة فربما لحقوا بهانزو. دخلوا الغابة تفرقوا بحثًا. وجدوا الكثير من المعلقين على الغصون وقد شنقوا أنفسهم، والكثير ممن ماتوا قابعين بجوار جذوع الأشجار. رائحة عفن الجثث منتشرة. حصان هانزو المتجول حول الشجرة دلهم عليه. وهو بكامل ملابسه القتالية وسيفاه في جرابهما، معلق من رقبته في الحبل وعيناه جاحظتان وفمه مفتوح لآخره. صرخت تشيكو وأغمى عليها، لحقوا بها قبل أن تسقط من فوق ظهر حصانها.

يومان بعد دفن هانزو.

إن كان فوكوزاوا عنده صدر زوجته موموكا، فهيراواكا ابتلاؤه أشد. من قتلت أخته هي الخادمة التي ضاجعها وهو مخمور ورفضها وهو واعٍ في قسوة لم يكن

يتخيلها. وأيضًا فقد حبيبته ماتشي وليست لديه حبيبة يهرع إليها. أما ميشيما، فتنتظره مایاغاوا. أسرع إليها فوجد حارسان يتبعانه في شوارع طوكيو. رفضا الابتعاد فهذا أمر الشوجن، إن اثنين من الحرس يحرسان ميشيما ومثلهما خلف هيراواكا.

في ملهى مایاغاوا. في الجناح المخصص لها، غرق في أحضانها وينفث عن نيران الأحزان التي تحرق فؤاده. في حجرة مایاغاوا ارتمى على الفراش. واستلقت بجواره مایاغاوا. ينظر للسقف ويحكي. ينقلب على جانبه فتستوعبه مایاغاوا على صدرها فينهنه وكأنه طفل ضعيف ضائع. يحكي ما يقلقه ويكويه ويعذبه. يحكي لأمه الحانية.

- مایاغاوا. أشعر وكأني ساقط من حالق وبالأسفل على بُعد سحيق، صخور تنتظرني لأرتطم بها فتحطم عظامي وتنثرني أشلاء وتوزع دمائي هنا وهناك. كيف أحكي لك ما في نفسي من آلام وطموحات. هل أبدأ بأنني أنتظر أن أتولى منصب الشوجن وأني أتعجل موت أبي. أبي مريض مرض الموت واليابان في خطر وعصر الساموراي مهدد بالانهيار. وعمر أبي يطول ويعطلني من بدء ما أريد فعله. إن توليت منصب الشوجن سريعًا، أريد فعل ما ينفع اليابان. ما ينقذ اليابان من الهاوية. أريد، بل يجب أن أمنع الأعداء الغرباء من الاستيلاء على ثرواتنا ومحو تراثنا وتقاليدنا الراسخة، والسخرية من ديننا، أمنعهم من الاقتراب من نسائنا. أستطيع بحزمي أن أثبت الساموراي وأعيد اليابان السعيدة لسيرتها أيام بدايات الساموراي، الساموراي الذين نهضوا باليابان. وسيخلدني الشعب الياباني ويكتبون عني.

توقف ميشيما عن البوح. قليلًا ثم عاد:

- الحكيم كاتسوتو يوافقني على رأيي. منذ أيام قليلة، رفع كاتسوتو وجهه ناحية الإمبراطور ونظر في عينيه ولامه وحذره من التعامل مع الغرباء. لم يخش عقاب الإمبراطور ولا خبث مستشاره الأول إندو. ثم ترك خدمة الإمبراطور وبقي في بيته يتوقع عقاب الإمبراطور وحاشيته. الحكيم كاتسوتو أستاذي واتجاهاتي من اتجاهاته. ما يوقفني عن العمل الآن، هو بقاء أبي على قيد الحياة. في كل لحظة يموت، وفي كل لحظة لا يموت. لذا.. لذا أنا المحب لأبي صرت أتعجل موت أبي الشوجن الواهن! مایاغاوا. أحب أبي وأقدره وفي نفس الوقت ألومه بيني وبين نفسي أنه ضعيف لين ليس بالثعلب والدب كما أوصى جدنا الشوجن الأول الكبير يوريموتو. يوريموتو صاحب البداية وصديق الدلافين وباني قصر الدولفين والذي انتزع الحكم من الإمبراطور وجعل قصر الإمبراطور مجرد رمز فارغ غير ذي قيمة. لا أريد أن أكون فقط مثل الشوجن يوريموتو، بل أتحرق شوقًا لأكون أفضل وأهم وأشهر منه! هذا طموح من طموحاتي. وطموحي هذا ربما يقف ضده أحد أحب الناس لدي. ابن عمي وزميل حياتي فوكوزاوا. نعم فوكوزاوا. هو ابن عمي البطل روكاكو الذي أنقذ أبي ومات دونه. فوكوزاوا ابن أمه سليلة طبقة النبلاء. القارئ العميق والعاقل المحيط، الذي أرى في عيني أبي أنه يفضل تفكير فوكوزاوا ويضعه أعلى مني! أرى نفس أبي وكأنها تتمنى أن كان فوكوزاوا هو ابنه وأنا ابن أخيه! أحب فوكوزاوا وأكرهه. أفتديه بنفسي وأريد أن أقتله بنفسي. يتصدى لي بمنطقه ويغلبني لكنني أرفض الاعتراف بأنه على صواب وأنا على خطأ. فوكوزاوا أحد أسباب شقائي.

يواصل ميشيما حديثه وقد تجسّد التوتر على معالم وجهه ونبرات صوته:

- لكن.. أنا فعلًا أحبه وأقدره. نعم وأكرهه! كيف هذا؟ لا أعلم. كتبت صفحات

كثيرة من الشعر، ثم من الحكايات اليابانية، وأنا صغير عرضت كتاباتي على والدي وهيراواكا وفوكوزاوا. كلهم أعجبوا بها، لكن فوكوزاوا كان يناقشني ومثلما يبين إعجابه ببعضها يبدي عدم إعجابه بما تحويه بعض أسطري. من سنوات صرت أخشى إطلاع الناس عليها، لأنني أخشى أن يطلع عليها فوكوزاوا فيتعالى عليها، ويقلل من شأنها مقارنًا بينها وبين ما قرأه لفطاحل الكتاب من اليابانيين أو الغرباء.

الانكسار يخيم على ميشيما. تربت مایاغاوا على كتفه. فترة ويواصل ميشيما سرد أغواره:

- فوكوزاوا. فوكوزاوا أيضًا أخذ مني آكيكو. كانت تحبه هو أكثر مني بكثير. أختي آكيكو الجميلة الضاحكة دومًا. آكيكو تُقتل بهذه البشاعة! الزهرة النقية تُقتل بطعنة سيف نينجا حقيرة؟ كيف لم أرقص معك يا آكيكو كما رقص معك هيراواكا وفوكوزاوا؟ كيف رفضت دعوتك للرقص معك؟ يا لي من متعالٍ تعس.

دموع ميشيما الصامتة تتوالى، ومایاغاوا تربت على كتفه. يهدأ ويعود للحكي:

- لم أكن أعي مدى حلاوة أختي آكيكو حتى فارقتنا. كانت ترغب وتحب أن تقترب مني. أن تحتضني وأحتضنها مثلما تفعل ويفعل معها فوكوزاوا. لم أفهمها كما فهمها فوكوزاوا. لم أدللها كما دللها فوكوزاوا. بكيتها حزنًا لفراقها. وتأنيبًا لنفسي المتخشبة التي تعالت على حبي لها وحبها لي فبقيت متعاليًا على مشاعرنا. ماتت آكيكو محتضنة فوكوزاوا. تركت حضن أخيها هيراواكا وطلبت أن تموت في حضن فوكوزاوا! يا له من وغد محبوب هذا الشخص فوكوزاوا. هذا الوغد المحبوب أوصتني أمي ألا أضره، وأوصته ألا يضرني. أخذ مني كل شيء.

سبقني في كل شيء.

- لم يسبقك إليّ. ولم يأخذني ولن يأخذني منك.

- أتعلمين؟ حتى أخي هيراواكا أغار منه. فهو فارس عجيب. إنه أمهر مني ومن فوكوزاوا رغم أنه أصغر منا! لكن أحبه. تعرفي. أحلم بأن يكون لي ابنان مثل فوكوزاوا وهيراواكا. وابنتان مثل آكيكو وتشيكو.

- نسيتني. نسيت مایاغاوا؟

- لا. فأنت تكوني أمهم كلهم.

أبعدت مایاغاوا يد ميشيما عنها. قامت وأعدت طعامًا وشرابًا. دللته مشجعة حتى ابتسم وأكل وشرب. أصرت أن يخرجا للقاعة. بعد أن جلسا سويًا في ركن بعيد يستمعون للغناء ويشاهدون الرقص. الخمر بدأت تؤثر فيه. قام عندما قامت وأخذته من ذراعه. رقص معها في ليونة وغنى معها في رقّة. وهمس في أذنها:

- أسلوب حياتك يقول للناس عامة.. علينا أن نعيش باعتبارنا درة جميلة متألقة خالدة.

ابتسمت وتعمدت خلال الرقص والغناء إثارته بلمسات أنثوية. عادا لحجرتها. لفراشها. فكانت المضاجعة مختلفة تمامًا عن سابقاتها. المضاجعة مودة وحنان ومواساة وتشجيع.

ولم يناما رغم أن الفجر بات وشيكًا، وكل رواد القاعة انفضوا، وأيضا كل العاملين. عاد طفلًا غارقًا في أحضان أمه يحكي لها ما يضايقه. ما يؤلمه.

الليلة التالية يتحرك ميشيما وحده سائرًا على قدميه. يدخل بيتا واسعا نائيا. أفراد جماعة الدرع ينتظرونه في حجرة خافتة الإضاءة. يجلس بجوار كاتسوتو الحكيم العجوز، والذي بدأ الضعف الشديد يتضح عليه. حولهما هيراواكا وروسو. وثلاثة آخرين من خيرة محاربي الساموراي. أبلغهم ميشيما أن عيون الشوجن قد رصدتهم. وطمأنهم أن الشوجن لن يهاجمهم، فهو مازال في حيرة هل يكون مع رأيهم بمنع التعامل مع الغرباء، أم ينضم لرأي فوكوزاوا بالتعامل مع الغرباء. أوضح ميشيما أنه يخشى أن الشوجن يومًا بعد يوم، صار يميل لرأي فوكوزاوا، خاصة أن الإمبراطور وحاشيته وطبقة النبلاء وكبار التجار الذين اغتنوا في السنوات الماضية، كلهم يميلون للتعامل مع الغرباء، وهم الذين دفعوا تكاليف استكمال جيش وأسطول اليابان. الشوجن عيونه أبلغته بالكثير. وأخطر ما وصله، أنه قد تم بالفعل اتفاق مبدئي بين حاشية الإمبراطور ومندوب من الغرباء. اتفاق يقضي برسو ثلاثة من مراكب الغرباء في ثلاثة من موانينا، منهم ميناء خليج طوكيو، بحيث تكون هذه المراكب إهانة للشوجن وكسرًا لكبريائه، فقد أتت مراكب الغرباء رغمًا عن أنفه.

توقف ميشيما وأخذ أنفاسًا عميقة ثم استمر في بث شجونه:

- الإمبراطور الجديد باطمئنانه لقوة جيشه وأسطوله، سيندفع في التعامل مع أساطيل الغرباء، وسيتقوى بهم أكثر من القوة التي صار فيها، فالغرباء كما عرفنا، يمتلكون أسلحة لم نرها، بل لم نسمع بها من قبل. وسيعطيها للإمبراطور لتساعده في إنهاء حكم الساموراي، وإعادة الحكم كاملًا له كإمبراطور حاكم أوحد على اليابان.

هيراواكا قال في هدوء:

- ميشيما. اليابانيون أصبحوا يريدون عودة الإمبراطور ليحكم. أخشى أنهم لم يعودوا يريدوننا. لقد فقدوا الثقة فينا.

العيون تتابع ميشيما. قال واثقًا:

- لا أصدق أن اليابانيين صاروا مع عداوة الإمبراطور. ربما نسبة صغيرة من اليابانيين. لكن يا هيراواكا، بمجرد أن أمتلك منصب الشوجن، سأعيد عصر الساموراي الرائع. سريعًا سأعيده. اطمئن.

أخذ شهيقًا عميقًا واستمر ميشيما في الكلام:

- نعود لمؤامرة الإمبراطور. علينا أن نكون أسرع منه، قبل وصول سفن الغرباء، نكون قد نسفنا هذا الأمر نسفًا. علينا فورًا أن نعد خطة ما، تجعلنا رغم قلة عددنا، فوق الأكثرية التي تتكتل ضدنا. علينا أن نستعد للسيطرة حتى لو استخدمنا قوة السيف. هي فرصة واحدة تلوح لنا، إن أفلتت فلا ثانية. آخر ما أعلنه لكم وهو مازال سرًا. وافق الشوجن سادا أن أتولى أنا مسئولية عيون المراقبة. الشوجن لم يعد قادرًا على حسن التدبير.

على محفة لينة يرقد عليها الشوجن سادا مدثرًا بأغطية محكمة. يحمله خادمان ويدخلان للشرفة. زوجته أستوكو وأبناؤه الثلاثة وابن أخيه حوله. من المحفة رفعوه برفق ووضعوه على المقعد العالي الذي جلس عليه كل الشوجانات من قبل، ليروا خليج طوكيو حيث جرت موقعة دان نو أورا العظيمة التي يفخرون بها، ويروا مياه نهر سوميدا وهي تصب في الخليج المالح. تمعن فيهما الشوجن سادا بعينين كليلتين. الشوجن مال بوجهه الشاحب وقد برزت عظام

وجنتيه من المرض والهزال، ليرى على بعد قمة جبل ومن بعيد قمة جبل فوجي البيضاء. هذه هي نظراته الأخيرة، فالموت قريب منه، الموت أقرب له الآن من زوجته التي تقف بجواره وكف يدها على كتفه. لحظات وتبين لمن هم مع الشوجن، أن سفينة ضخمة تقترب من فم الخليج. يراقبونها بتمعن ثم بدهشة غاضبة ثم بحسرة. وإذا بميشيما الذي تبين ماهية السفينة. إذا به يندفع ناحية سور الشرفة ويضرب بباطن كفيه عليه صائحًا بقوة وعنف وغل:

- لاااااا.

الصرخة أفزعت الكل. الشوجن أخذته رعشة قوية ثم أغمى عليه. عادوا به سريعًا لحجرته التي سيموت فيها. على جانبي محفته زوجته أستوكو وابنته تشيكو. وخلفه هيراواكا وفوكوزاوا. وبقي في الشرفة ميشيما ينظر في كراهية لسفينة الغرباء الضخمة القادمة في ثقة وهدوء وانسياب. ولما اتجه موتورًا لحجرة أبيه الذي من المؤكد أنه مات. وجد أباه نائمًا يتنفس في هدوء! انسحب وخرج من القصر على حصانه المسرع به وهبط للميناء. على أرصفة الميناء حيث مراكب أسطول الشوجن. يعدو على حصانه مشهرًا سيفه تجاه سفينة الغرباء وهو يلعنها ويهددها إن اقتربت من الأرصفة. سفينة الغرباء بعيدة ولا تسمع تهديداته، وربما لا أحد على متنها يراه. جنود الأسطول والعاملون في الأرصفة، بل والصيادون الذين في منطقتهم على البر، يتابعون مندهشين عصبية ميشيما. ثم ينظرون لسفينة الغرباء التي اقتربت كثيرًا، وهم مندهشون أيضًا من ضخامتها وتشابك أشرعتها! إنها سفينة بها رهبة وتشعل القلق بشكلها الغريب.

ميشيما أوقف حصانه وأعطى أمرًا باسم الشوجن.. ألا يسمح لسفينة الغرباء بالرسو على رصيف الميناء.

وصل مرسال عيون المراقبة. اجتمع مع ميشيما. أعطاه أوراق تبين أحوال اليابان. التركيز على موضوعين غاية في الأهمية. الإمبراطور الشاب سيرسل سرية فرسان يقودها مستشاره الأول، إلى معسكر الساموراي ومعه اثنان من الشباب الجديد المتحمس. الهدف هو تخطي الشوجن والجلوس مباشرة مع قيادات الساموراي والمحاربين ليبعدهم عن أفكار ميشيما، وليتقبلوا التعامل مع الغرباء، وبعدها يبحر مع الشابين للجزر اليابانية الكبرى. وتكون هذه الخطوة من الإمبراطور هي بداية لخطوات أخرى يلغي بعدها منصب الشوجن وتعود للإمبراطور كامل سلطته وهيبته. الأمر المهم الثاني، أنه تم القبض على عضو من أعضاء عيون المراقبة العاملين في قصر الإمبراطور، ربما يتم القبض على البقية. ربما.

اجتماع طارئ لجماعة الدرع، تخلف الحكيم كاتسوتو لمرضه. اندفع ميشيما وقرر أن عليهم سرعة الحركة قبل أن تترسخ أقدام الغرباء في بلادنا. لنجعل حركة الإمبراطور المتهورة، هي نهاية أمله في نسف حكم الشوجن والساموراي. ووافقته جماعته. علينا فقط أن نحمس محاربي الساموراي وقياداتهم، مستغلين إهانة وصول سفن الغرباء، فيوافقونا على أسر سرية فرسان الإمبراطور، وتهديد الإمبراطور إما بالموافقة على إبعاد الغرباء، وتكون له مكانة ومشاركة في إدارة شئون اليابان مع الشوجن والساموراي، وإما سيقوم الشوجن والساموراي بإبعاد سفن الغرباء ومنع التعامل معهم، مع إعادة عرش الإمبراطور، ليكون عرشًا صوريًا بلا أي قيمة فعلية. وبعد هذه الكسرة للإمبراطور، تبدأ من جديد عودة هيبة الساموراي. ميشيما أبلغ المجموعة أن أباه لن يعيش أكثر من يوم أو بعض يوم. وأنه ميشيما سيكون الشوجن ويحمي أفراد جماعة الدرع التي ينتمي لها.

الأم أستوكو وابنتها تشيكو ومعهما موموكا زوجة فوكوزاوا، حول الشوجن في محنته المرضية. ومن الرجال هيراواكا وفوكوزاوا. الشوجن سادا في إغماءات متلاحقة. لا يأكل ولا يشرب. يضعون في فمه ملاعق صغيرة من العصائر والأدوية السائلة، يبتلع واحدة ويلفظ واحدة. معدته لا تقبل، ونفسه لا تريد الشفاء، لولا رجاءات زوجته وابنته وموموكا. ونظرات ولمسات هيراواكا وفوكوزاوا.

الذي يتغيب كثيرًا هو ميشيما. وقته في معسكر الساموراي يحمسهم لما هو آت من أحداث فاصلة، ولما وجد أن اثنين من قيادات المعسكر لا يتفقان معه، مكث في المعسكر وقتا أكثر محاولًا إقناعهما بمساندته. المحاربون أكثرهم معه لحبهم له. في الليل يعود ميشيما للقصر ليبقى قليلًا مع والده. في الصباح الباكر يأتي لأبيه دقائق ويذهب للمعسكر، وحجّته هي الإمساك بشئون اليابان، خاصة أن هيراواكا وفوكوزاوا ملازمان للشوجن.

هذا الصباح الشوجن ابتلع عددًا من ملاعق الحساء الساخن. يعي بما حوله، قال لزوجته إنها حالة اليقظة التي تسبق الموت. استأذن منه ميشيما ليذهب لمعسكر الساموراي. هز الشوجن رأسه موافقًا. ميشيما على حصانه يخرج من بوابة القصر، شاهد كوكبة من الفرسان تصعد الجبل قاصدة القصر. بقي منتظرًا. توتر حين تبين له أعلام الإمبراطور مرفوعة على حراب الفرسان أمام الكوكبة. شاب بملابس عادية، فهو غير محارب، يقود ستة من فرسان الإمبراطور. الشاب رفض أن يتوقف ليخاطب ميشيما. انفتح باب القصر عندما تأكد الحراس من أعلام الإمبراطور. دخل خلفهم ميشيما. ترجل الشاب والفرسان فترجل ميشيما واتجه للشاب يسأله عن سبب زيارته. الشاب قال رسالة من الإمبراطور للشوجن.

ورفض أن يَرى ميشيما الرسالة أو حتى يبلغه بمضمونها. صعد ميشيما مع الشاب ودخلا حجرة الشوجن. انسحبت النساء وبقي هيراواكا وفوكوزاوا. الرسول أخرج الرسالة من حزامه ومد بها يده للشوجن. الشوجن أشار برأسه لميشيما الذي تناولها وفضها وقرأها بصوت عالٍ. الرسالة بالغة الحدّة تلوم الشوجن على منع سفينة الغرباء من الرسو. وتهدد أي ياباني تسول له نفسه بالوقوف أمام مشيئة الإمبراطور.

الشوجن نظر لميشيما غاضبًا. ثم نظر للرسول فانسحب الرسول. ودخلت أستوكو وتشيكو ومواموكا. الشوجن تكلم بصعوبة:

- ميشيما. كيف تجرؤ على إصدار أمر مهم دون الرجوع لي؟ أنا مازلت حيًا أيها الأهوج. فعلًا كان القائد ناجاهارو على حق، فأنا شوجن ضعيف لم أستطع فرض النظام وفشلت في حماية الناس، وأنا سبب من أسباب ترهل الساموراي. وسأكون السبب في انسلاخ جزر اليابان عن تجمعها الإمبراطوري. فعلًا. ميشيما ابني يؤكد ذلك. ميشيما يصدر أمرًا باسمي وأنا لا أعرف!

حاول ميشيما أن يشرح للشوجن، لكن الشوجن أبعد وجهه عنه وقال له في حسم:

- الآن. إليك آخر أمر لي أصدره ويجب أن يُنفذ. الآن يا ميشيما عليك الذهاب للميناء، واصدر أمرًا باسمي يسمح لسفينة الغرباء بالرسو. ستنفذ هذا الأمر يا ميشيما.

- نعم أيها الشوجن العظيم. سأنفذه.

ارتياح بان على وجه الشوجن سادا، فأكمل حديثه بصوت هادئ به حزم:

- اسمع يا ميشيما يا ابن سادا. ربما كنت أنت على حق في التصرف وكأنك صرت الشوجن بالفعل. اسمعوا يا من حولي، من هذه اللحظة أنا أعلن أنني بسبب مرضي الأخير، قد تنازلت عن منصبي وأعين ابني الكبير ميشيما مكاني. من هذه اللحظة على الجميع تنفيذ هذا الأمر. وبعد ساعة سيصل المرسوم بهذا الأمر للإمبراطور ولقيادات الساموراي.

ميشيما يمسك نفسه من إبداء الفرح بهذا القرار. انحنى لوالده وترك الحجرة. سادا أغمض عينيه يسعل سعالًا خفيفًا لكنه يؤثر على جسده العجوز المريض المنهك. أستوكو تربت على كتفه بحنان. لحظات ويفتح عينيه ويحادث فوكوزاوا وهيراواكا:

- تبدلت أحوالنا مع الإمبراطور. في بداية عهدنا كنا قوة صاعدة. الآن نحن قوة هابطة. كان الإمبراطور قوة هابطة، الآن هو قوة صاعدة. كان الشعب معنا الآن الشعب معه. نبها الشوجن ميشيما ألا يتصادم مع الإمبراطور. الإمبراطور الآن هو الأقوى. علينا أن نناور الإمبراطور لا أن نتصادم معه.

فترة يأخذ فيها الشوجن لحظات راحة. عاد للحديث:

- فوكوزاوا. هيراواكا. سأغادر الحياة. كان يجب عليّ أن اتخذ قرار ترك منصبي لميشيما. لم أعد أستطيع التركيز ولا التفكير. تابعوا أخاكما ميشيما فقد صار في حالة تشنج صعبة. واجعلا مصلحة اليابان أولًا. فوكوزاوا. عليك الذهاب لمتابعة ميشيما، عليك أن تهدئ من اندفاعه. هيراواكا ابق معي وأنا أموت.

في قاعة عرش الإمبراطور أتى إندو ومعه الشابان اللذان يرافقانه في أهم أعماله. الإمبراطور على عرشه وحوله بقية مستشاريه. مراجعات أخيرة لخطتهم وتوقعات لردود أفعال الشوجن ولكل المفاجآت التي يمكن أن تحدث من محاربي الساموراي.

سرية فرسان الإمبراطور تتفاخر وهي تخترق شوارع طوكيو، تتقدمها أعلام الإمبراطور وقارعو الطبول. يقود السرية قائدهم العسكري الشاب، وفي صدارة السرية المستشار إندو والشابان على خيولهم يردون تحيات الناس بابتسامات الثقة والرضاء. الشعب راض تمامًا عن عودة قوة وهيبة الإمبراطور. السرية متجهة لمعسكر الساموراي.

النهاية بالهاريكير

بدق الطبول ورايات الإمبراطور والكبرياء الواضح، دخلت سرية فرسان الإمبراطور معسكر الساموراي. الدهشة في أعين محاربي الساموراي، وهم يتابعون اصطفاف السرية الإمبراطورية أنيقة الملبس أمام مبنى القيادات. بقيت السرية الإمبراطورية على صهوة خيولها، حتى أتى أمامها قيادات المعسكر الأربعة وخلفهم مساعدوهم. حيوا المستشارين، وهنا رد الثلاثة تحيتهم وهبطوا من صهوة خيولهم. جنود سرية فرسان الإمبراطور التفوا بخيولهم، متجهين لمكان واسع بجوار سور المعسكر، هبطوا من صهوات خيولهم وتركوها تقف براحتها معًا. فرسان الإمبراطور حيوا محاربي الساموراي من بعيد، فرد محاربي الساموراي التحية.

المستشارون الثلاثة دخلوا مع قيادات الساموراي في قاعة الضيافة. جلسوا على مقاعد وثيرة وأمامهم طاولة عليها أطباق الفاكهة وإناء خمر الساكي وكؤوس عديدة. يتناولون جميعًا الفاكهة وكؤوس الساكي، ودارت بينهم وبين القائد، مناقشات سطحية هادئة راضية في مظهرها، متوترة في باطنها.

جانب من شوارع طوكيو. فرسان في مقدمتهم ميشيما المتوتر الذي صار الشوجن، وعلى يمينه الحكيم كاتسوتو. خلفهم عشرون من حراس قصر الدولفين المقربين من ميشيما. الفرسان يسرعون وسط شوارع طوكيو في منحنى حاد. الحكيم كاتسوتو يسقط من فوق ظهر حصانه. يتوقف الفرسان ويسرع ميشيما ويحمل الحكيم المتأوه من آلام سقوطه. ميشيما يدخل به بيتًا. أصحاب البيت يعدون فرشة سريعة، يساعدون ميشيما في إرقاد كاتسوتو

المستمر في التأوه. ميشيما يوصي أصحاب البيت بالحكيم، ويبلغهم بأنه الشوجن. كاتسوتو يشير له بيده أن يذهب. يخرج ويمتطي حصانه ويسرع وخلفه العشرون.

هيراواكا يمسح دموعه وأخته تشيكو تبكي وأمه أستوكو باكية تغلق عيني زوجها الذي توفى حالًا. الكل في بكاء. الأم تطلب من هيراواكا أن يسرع للمعسكر، فاحتمال المشاكل قائم بين ميشيما وفوكوزاوا. يذهب هيراواكا إلى الشرفة. يجلس على المقعد الوثير ينظر لخليج طوكيو. رغم الظلام فإن قلبه يرى خيالات رمزية تؤثر فيه بقوة. قمة جبل فوجي تلمع بالفضة الثلجية. مراكب معركة دان نو أورا البحرية تتقاتل وسقوط البطل يوريموتو في البحر. ثم الدولفين ينقذه ويرفعه لأعلى. النصر. ثم غيوم وتظهر سفينة الغرباء تدخل لترسو في رصيف الميناء. هيراواكا يغطي وجهه بكفيه. فيأتي له شبح والده الذي مات من دقائق. يربت على كتفه. ينظر له هيراواكا ويقول:

- أبي!

- ابني. اترك ميلك الشخصي. لا تفكر في أخيك ولا في ابن عمك. فكر في اليابان. مستقبل اليابان. كفاك ذبذبة واتخذ القرار الصارم. اترك نفسك وكن اليابان.

يقف هيراواكا يمسك بيدي أبيه، لكن شبح أبيه ينساب خارجًا من الشرفة إلى الفضاء، ويتلاشى وهو يهبط في مياه الخليج. يسرع هيراواكا. يمتطي حصانه ويخرج من باب القصر. الحصان يسرع هابطًا من الجبل.

بدأ المستشار الأول إندو الكلام مباشرة. أعلن أنه على قيادات الساموراي، في

كل الجزر اليابانية، أن تتبع أوامر الإمبراطور مباشرة، وليس عن طريق الشوجن. اثنان من القيادات يحركون رأسيهما موافقين على كلام إندو. والثالث صامت. أما الرابع فهو روسو، لم يوافق. بل هاجم القائدين المؤيدين لمستشار الإمبراطور. روسو يعارض المستشار في عصبية. يصر على أن الأوامر يجب أن تأتيهم من الشوجن، فعلى هذا تربى الساموراي وأقسموا. روسو يعلم أن ميشيما يجمع مؤيديه وسيصل في أي وقت. الحوار الحاد بينه وبين المستشار إندو مستمر.

قاطعتهم أصوات جلبة دخول سرب الشوجن ميشيما للمعسكر، ثم صيحات عالية. كل من في القاعة خرجوا على ارتفاع الصياح في فناء المعسكر، وقفوا في المنصة التي تطل على الفناء. منصة فسيحة تعلو بمقدار ثلاثة أذرع. فوجئوا بمئات من محاربي الساموراي وقد أشهروا أسلحتهم وحاصروا جنود الإمبراطور، بناء على صيحات وإشارات الأوامر المستمرة من ميشيما. جنود الإمبراطور أيضًا أشهروا سيوفهم ورماحهم استعدادًا للدفاع عن أنفسهم. المستشار إندو صاح في جنود الإمبراطور ناهيًا لهم عن القتال، فأعادوا أسلحتهم لأماكنها.

تقدم ميشيما وخلفه مجموعة من أتباعه الشداد، منهم اثنان يحملون علمي الشوجن الأحمرين. صعدوا درج المنصة. أمر ميشيما الشوجن من معه، فتقدموا من المستشارين الثلاثة تحت تهديد السيوف، ووضعوا أياديهم خلف ظهورهم وربطوها. عدد من محاربي ساموراي بقوا خلف المستشارين، شاهرين سيوفهم مهددين الأسرى إن قاوموا. اثنان من القيادات عارضا اعتقال مستشاري الإمبراطور. والثالث صمت والرابع روسو موافق. جدال بصوت عالٍ بين ميشيما وروسو من جانب، والقائدين المعارضين. ثم صاح ميشيما:

- أنا الشوجن ميشيما. أمري يُنفذ. اقبضوا على القائدين العاصيين.

أتباعه الذين صعدوا معه للمنصة، أمسكوا بالقائدين ونزعوا سيوفهما، وضعوا أياديهما خلف ظهورهما وكتفوهما. تعالت أصوات من المحاربين من الفناء وتصاعدت، الذين على المنصة التفتوا للفناء. محاربو الساموراي التابعون للقائدين، يتذمرون معلنين رفضهم أسر قائديهم، وعدد منهم أمسك بمقبض سيفه استعدادًا للقتال.

فوكوزاوا على حصانه اقتحم المعسكر. ينظر لمحاربي الساموراي وفرسان الإمبراطور، يدرك خطر اشتعال القتال. محاربو الساموراي يواجهون بعضهم، ويواجهون سرية الإمبراطور. يوجه حصانه للمنصة. يقفز من على ظهره وفي خطوات سريعة يصعد المنصة. عبس ميشيما وفوكوزاوا يواجهه بصوت عالٍ ليسمعه كل من في المعسكر:

- ماذا تفعل يا ميشيما؟ أتشعل حربًا بين الساموراي وبعضهم؟ بين الساموراي وجنود الإمبراطور؟

أجابه ميشيما ثائرًا:

- أنا الشوجن. كلمني باحترام.

- شوجن اليابان لا يشعل حربًا تحرق اليابان.

ميشيما وفوكوزاوا يصيحان في بعضهما. ميشيما يقسم أنه لولا وصية أمه أستوكو، لأمر باعتقاله فورًا. ينضم المستشار إندو وزميلاه إلى الصراخ بالصوت العالي، ثم رسّو يصيح ضد صيحات القائدين الرافضين لميشيما. في ساحة المعسكر صيحات المحاربين ضد بعضهم.

هيراواكا على حصانه يخترق شوارع طوكيو. يعترضه عجوز فيصدمه الحصان ويلقيه بعيدا. يتوقف هيراواكا ويقفز من ظهر الحصان ويسرع للعجوز ويرفع جذعه ويريحه على فخذه. يلتف بعض الناس حولهما. العجوز يبتسم لهيراواكا ويقول له بصوت ضعيف:

- أنت طيب يا هيراواكا.

- أتعرفني؟

- أنا جار عائلة ماتشي.

- آآه. تذكرتك. العجوز الذي لامني ولام الشوجن والساموراي.

- نعم.

- لماذا وقفت أمام الحصان. كنت ستفقد حياتك.

- اسمع. والد ماتشي ذهب لغابة المنتحرين.

- ماذا؟ لماذا؟!

- إنه الفقر والجوع. لقد نسيتهم يا هيراواكا! قرر أن يموت حتى يوفر بعض الطعام لابنه الصغير وزوجته أم ماتشي. هيراواكا الطيب. انتهى عصركم. ارحم اليابانيين وعد بنا للإمبراطور.

اعتدل العجوز وقال:

- أنا بخير. رضوض فقط. والآن. اذهب. اتركني واذهب. معسكر الساموراي فيه

نار تشتعل.

تركه هيراواكا وامتطى حصانه وأسرع به لمعسكر الساموراي.

ميشيما دفع فوكوزاوا بقوة فأبعده عن طريقه، ثم تقدم إلى حافة المنصة وصاح مخاطبًا محاربي الساموراي:

- أبي الشوجن سادا في مرض الموت. وقد تنحى عن منصبه صباح اليوم، وقرر تعييني لأتولى المنصب. يا محاربي الساموراي. أنا الشوجن الجديد. أنا ميشيما بن سادا. ألا تعرفونني؟! أنا بطلكم الفارس ميشيما الذي قضى حياته بينكم! أتعصون أمري؟!

كثيرون ينحنون له بما فيهم من هم في المنصة حتى فوكوزاوا. يتابع الشوجن ميشيما خطبته:

- أنا ميشيما بن اليابان. الآلهة قذفوا في المحيط برمح مرصع بالجواهر، ثم رفعوه إلى السماء، فتقاطرت من الرمح، قطرات لؤلؤية هي جزرنا اليابانية المقدسة. وأنا لؤلؤة يابانية أفدي اليابان بروحي. أنا الشوجن ميشيما ولن أسمح للغرباء بدخول بلادي ليلوثوها بمعتقداتهم وبأطماعهم. أنا الشوجن ميشيما، معكم يا محاربي الساموراي، سنعيد عهد الشوجن القوي، العهد الذهبي. سنعيد لليابان مجدها. فاليابان فوق الجميع. اهتفوا معي.. اليابان فوق الجميع.

عشرات من الساموراي خاصة العشرين التابعين له، والقائد روسو. يهتفون خلفه ثلاث مرات.. اليابان فوق الجميع. ثم يتقدم روسو وصاح:

- يحيا الشوجن ميشيما.

ردد المتحمسون خلفه ثلاث مرات:

- يحيا الشوجن ميشيما.

ورغم كل هذا، فمن يصيحون مؤيدين للشوجن ميشيما، أقلية وسط الصامتين!. ميشيما ينظر في غيظ لمحاربي الساموراي الممتنعين عن الهتاف له، والناظرين له في عدم رضاء. أسرع فوكوزاوا ووقف في مقدمة المنصة وصاح في الساموراي:

- هل تثقون في أنفسكم؟ هل تثقون في اليابان؟ هل تثقون في الإمبراطور؟ إن كان هذا فلا تخشوا الغرباء. فنحن سنتعلم منهم ما ينقصنا ونتفوق عليهم. هل تحبون اليابان؟ انظروا حال اليابانيين الآن والفقر والفوضى تعصف بهم. انظروا لحالنا الآن ونحن جنود اليابان قد قاربنا أن نحارب بعضنا! هل ترضون بأن تأسروا جنود الإمبراطور؟ إنهم جنود الإمبراطور! جنود اليابان كما نحن جنود اليابان. هل ستخرجون عن طاعة الإمبراطور؟

المستشار الأول فاجأ حراسه واندفع للأمام يصيح في محاربي الساموراي خاصة:

- كل من يقف أمام أمر الإمبراطور، خائن. ولن يسامحه الإمبراطور الشاب القوي الجديد. ما يأمر به ميشيما، هو انقلاب على الإمبراطور.

ميشيما في عصبية وذهول يصيح:

- لا. أنا الشوجن تابع للإمبراطور، لكن يترك الغرباء يدخلون اليابان؟! لا.

فجأة تقدم أحد الحراس يفك أغلال القائدين، فتقدما لميشيما وانحنيا له

احترامًا، ثم هبطا من المنصة واتجها ناحية جنودهما وصاح كل منهما:

- لن نقاتل سيدنا إمبراطور اليابان.

ثم تقدما ناحية جنود الإمبراطور وخلفهم جنودهم. فناء المعسكر الواسع، حدثت به تحركات كثيفة العدد من محاربي الساموراي. من على المنصة يتابعون في تباين. ميشيما في دهشة وانزعاج. المستشارون وفوكوزاوا في رضاء. القائدان وخلفهما محاربوهما تقدموا وحنوا رؤوسهم لأعلام الإمبراطور، ثم وقفوا بجوار جنود الإمبراطور مؤيدين لهم. جنود الإمبراطور صاروا في عدد يماثل أعداد محاربي الساموراي التابعين لميشيما.

ميشيما صاح فيهم:

- خونة. خونة. أنا الشوجن ميشيما. أنا اليابان.

يدخل هيراواكا على حصانه. يشاهد الفوضى و الصياح المتنوع والفوضى وبعض المحاربين أشهروا السيوف على بعضهم. يمر بحصانه بصعوبة وسط الزحام يصل للمنصة. يراه ميشيما فيفرح به وكأنه المنقذ. يصيح في الجميع:

- الصمت. الصمت. أتى هيراواكا الفارس ابن الشوجن وأخو الشوجن. هيراواكا معي. معي أنا. هيراواكا سيقرر لمن سينتصر.

ميشيما يساعد هيراواكا ليقفز على المنصة بدلًا من الصعود من الدرج. ميشيما يحتضن هيراواكا وينظر في شماتة لفوكوزاوا. فوكوزاوا قلق. الصمت يسود. المحاربون يمنعون من يصيحون ليستمعوا لهيراواكا. يحاول إندو أن يتحدث فيثور عليه ميشيما ويمنعه. ثم يشير لهيراواكا ليتحدث للمحاربين. يتقدم

هيراواكا وهو يستجمع نفسه. يقف على حافة المنصة والمحاربون ينظرون إليه في تشوق. القلق يفور داخل نفس هيراواكا، فيلتفت لينظر لأخيه ميشيما الذي يشير له مشجعًا ليتكلم. يتكلم هيراواكا:

- لقد انتهى عصر الساموراي.

ميشيما يفزع ويفزع معه روشو. ويفرح فوكوزاوا ومن يعارضون ميشيما. يستكمل هيراواكا خطبته:

- اليابان في انحدار. رجل عجوز من أحب الناس لي، ذهب لغابة المنتحرين ليوفر لقيمات لابنه وزوجته العجوز. انتهى عصرنا. فلنترك الفرصة للإمبراطور ليتحمل المسئولية. يا محاربي اليابان لا تتقاتلوا ضد بعضكم. نحن جميعًا جنود اليابان. جنود الإمبراطور.

يلتف هيراواكا ويذهب لميشيما متأسفًا ليعتذر. يشير له ميشيما ألا يفعل. ينظر ميشيما حوله. ينظر للسماء. ينظر للساموراي. ثم ينظر لأخيه هيراواكا ويقول في نبرة حازمة حزينة:

- حتى أنتَ يا هيراواكا؟! إذن على ميشيما أن يرحل.

صمت يسود وميشيما يدخل لمبنى القيادات. يتوقف ويشير للحراس بفك المربوطين. يدخل المبنى يسرع خلفه هيراواكا وفوكوزاوا ويدخلان المبنى. في الداخل يأمرهما ميشيما بالرجوع. يدخل حجرة ويغلق الباب خلفه. هيراواكا وفوكوزاوا يعودان للمنصة. الراحة النفسية في وجوه الجميع، تداخلت متفاهمة بين محاربي الساموراي وجنود الإمبراطور. المستشار إندو يحيي هيراواكا، لكن

هيراواكا يبتعد عنه ويأخذ فوكوزاوا من كتفه وينفرد به. يقول له:

- ميشيما سينتحر.

- ربما.

- ليس ربما. سينتحر.

يظهر ميشيما في كيمونو أبيض. وعصابة بيضاء تربط جبهته. يتقدم وخلفه خادم يحمل صينية على وسادة صغيرة بيضاء عليها خنجر في جراب أنيق. وكوب من الخمر. الكل في ذهول. يسرع إليه روسّو، يطلب أن ينتظر حتى يصاحبه في الانتحار. يرفض ميشيما ويأمره بالابتعاد. يقترب منه هيراواكا ويصيح فيه:

- لا. لا.

يسرع هيراواكا ناحية أخيه لمنعه. ينظر له ميشيما نظرة قوية ويمد يده وكفّه مفتوحة والأصابع لأعلى، فيتوقف هيراواكا. يقول له ميشيما في تأكيد:

- ستكون أنت مخلصي من آلامي.

يصيح هيراواكا فزعًا:

- لا. أنا لا. ميشيما. لا.

- بل أنت. أنت الشوجن القادم. يجب أن تكبر وتتعود على تحمل المسئولية.

- لن أكون الشوجن إن انتحرت. سأترك المنصب لفوكوزاوا. هو الأقدر على

التفاهم مع الإمبراطور.

يتوقف ميشيما وينظر لهيراواكا في ضيق. ثم يعود ليسير للأمام. وعلى حافة المنصة يجلس القرفصاء فيضع الخادم الصينية أمامه. يرفع ميشيما وجهه ناظرًا لمحاربي الساموراي. يقول في صوت عميق حكيم:

- أنا ميشيما. أنا روح اليابان التي لا تقهر. أقول لكم. الساموراي وإن خبا وهجها.. ستعود. فما اليابان إلا الساموراي.

يتناول ميشيما كأس الخمر ويشرب منها جرعة كبيرة. يعيد الكأس ويفك الكيمونو ويكشف صدره. ينظر لهيراواكا الواقف بجانبه ويشير برأسه ليستعد. هيراواكا ووجهه في أبلغ تعبيرات الحزن يحرك رأسه ويمتشق سيفه ويفتح ساقيه ويقف تمامًا على يسار ميشيما وخلفه بخطوة قصيرة. يرفع السيف وهو قابض عليه بقبضتيه. ملامحه تتشنج وتنضم لبعضها فكأن وجهه قد تضاءل. ميشيما يمسك بجراب الخنجر ويشهر الخنجر الذي يضوي معدنه مع الشمس. يعيد الجراب. يتأكد من انفتاح الكيمونو. يمسك مقبض الخنجر بقبضتيه مَعا. وعلى يسار بطنه يغرس الخنجر بقوة وهو يزوم ويجذب الخنجر المغروس في أحشائه ناحية اليمين وهو يمزق نفسه ويزوم وجسده يهتز بارتعاشات. حتى يصل الخنجر المغروس لأقصى اليمين. دماء تتسرب وفم ميشيما ينفتح لآخره. يرفع ميشيما رأسه بميل ناحية يساره ناظرًا لأخيه هيراواكا المتشنج والسيف معلق في الهواء ينتظر. يهز ميشيما رأسه وملامحه تستجمع كامل شجاعته. يعيد وجهه للأمام ويحني الرقبة ليعطي الفرصة لهيراواكا الذي استجمع كل قواه العضلية والنفسية وهبط بسيفه في ضربة صاعقة.

Telegram:@mbooks90